وسلاماً على مريم

رواية

تأليف

منار حجازى

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

حجازى،منار

وسلاماً على مريم: رواية/منار حجازى – .- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٢٨٠ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٦ ٤٩٧ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

obeikan.com

وسلاماً على مريم

رواية

تأليف

منار حجازى

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضوا مجلس الإدارة

المشرف

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٦٦٣٥

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٩٧-٦

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : وسلاماً على مريم

المؤلف : منار حجازى

الغلاف : إسلام البلاط

لوحة الغلاف: إهداء من الفنانة: نهاد طلعت الشمبكي

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikan.com

الإهداء

إلى كلِّ نفسٍ باحثةٍ عن نفحة الرحمن بداخلها

إلى كل من يحمل بين ثنايا قلبه ذرة حبٍّ لي

إلى روح أبي وأمي

إلى زوجي الحبيب

إلى أحلى حاجة في حياتي،

أولادي مريم وسلمى وعمر

obeikan.com

obeikan.com

تصحي وتنام لا يشغل بالها الا تخيل هذه اللحظة، لحظه لقائهما الاول بعد غياب أكثر من ٢٠ عاما، وبعد سهر كل هذه الليالي لا ينفكان في أحاديثهما سوي تخيل هذه اللحظة، هل ستكون في مطار، عندما تسافر اليه، هل سيلتقيان في اي من البلاد التي حلموا بيها معا، جزيرة علي بحر موجه ابيض مائل للزرقة وتتدرج زرقت مياهه في الغمقان حتى تتصل بسماء صافيه تتلألأ بنجوم فضيه لامعه ، قمر هذه الليلة بدرا كتلك الليالي التي شهدت حبهم في عنفوانه،

هذا الجسد الذي ستذوب في حضنه، وشعرها الأسود الطويل الناعم، والذي سجن دهرًا وكتب له القاضي إفراجًا مؤقتًا حتى يحضر فرحها، يتطاير فرحًا وشوقًا لهذا اللقاء، وهذا الفستان القصير مفتوح الصدر وبدون أكمام الذي اشترته خصيصًا لترتديه له كما كانت دائمًا، وكما تمنت الآن، وهذا العطر الذي قررت أن تستحمى به قبل اللقاء، من شعرها إلى أقصى قدميها..

هو من طلب منها ذلك

قال لها ذات يوم:

عطرك لم تغب رائحته عن أنفي منذ آخر لقاء، عطرك الذي كنت أراه في المحلات وأنا أسير هائمًا على وجهي حزينًا في بلاد الغربة، أراه ...أضحك لدرجه الجنون، ينظر لي الناس في ذهول،

ما الذي يضحكه فجأة هكذا، وأصمت للحظة مغمضًا عيني كي أراكي، أضمك عندما أشتم رائحته من البائع كأني لا أعرفه !!لا!! فأنا أتنفسه ليل نهار، أضعه على يدي وأقربه إلى أنفي فأغيب عن الزمان والمكان لثواني، مستدعيًا الماضي بكل أحاسيسه، هذا العطر هديته الأولى لي، عندما أتممت عامي الخامس عشر، ومنذ تلك اللحظة لم أغيره عمري، ترجع إلى اللقاء الأول، والذي سيطر عليها كليًّا، سأجري عليه، مبتسمة طائرة، ملقية نفسي بكامل قوتي وقدرتي العقلية سليمة، في حضن شديد، فاردًا هو ذراعيه مستقبلني في شوق وعشق استمر كل هذه السنين، لا أعلم كم سأمضي في حضنه، كيف أفلت منه وأنا أنتظره انتظار الأم لابنها بعد عقم عشرات السنين؟؟

سأنفك من حضنه فقط لأنظرإلى عينيه ووجهه بين يدي، أنظر إليه فرحة،أغمض وأفتح، وربما أضرب وجهي بكلتا يدي، حتى أتيقن أنها حقيقة هذه المرة وليست خيال كل تلك الشهور الأخيرة، ينظر إليّ وعيناه مليئة بالدموع غير مصدق قائلاً لي:

- حياتي وحبي وعمري كله، ابنتي وحبيبتي، بعد كل هذه السنين، أنت فعلاً بين يدي الآن؟؟؟

ثم لا يستطيع التفكير ولا الانتظار، وفي هذا المكان والذي لا تعرف اين هو تحديدا؟؟ ولكن سيكون بالتأكيد مكانًا عامًّا، لايستطيع الانتظار، ويضع شفتيه على شفتيها كما كانا

منذا الأزل، ليغوصا معًا في قبلة تخلع القلوب، وتجعل السحاب يتكاثر فجأة محدثًا برقًا ورعدًا شديدًا، قلبها كاد أن يتوقف من مجرد تخيل اللحظة، تبعد شفتيها عنه حتى لا تصاب بالإغماء، وتنظر إلى عينيه وهي ما زالت في أحضانه أمام كل البشر، متسائلة:

أحقًّا أنا هنا وأنت، أحقًّا التقينا؟!

غير متحدث ببنت كلمة، ناظرًا إلى عينيها، واخذًا بكلتا يديه جسدها كله، وفي حركة مباغتة يحملها من على الأرض لافقًا إياها في شكل دائري، تضحك بصوت عالٍ مع شهقة خفيفة بها الكثير من الدلع، والفرحة المتناهية.

تاركة نفسها بالكامل ليديه، يمسك رأسها بكلتا يديه، عيناه مليئة بدموع الفرحة، ناظرًا يمينه وشماله، كأنه يريد أن يقول لكل البشر من حوله، هذه حبيبتي ابنتي، هذه حلم عمري كله، تغمض عينيها بشدة حتى لا يتوه الحلم منها، تراهما الآن في شرفة فندق ذات طابع أسيوي، تحيط الأشجار الشاطئ بالتفاف كأنه لوحة فنان عاشق، ماهر، وضع الغرفة قبالة البحر، والأشجار والنخيل على جانبيه، تري نفسها راقدة في حضنه على كنبة مريحة، صنعت خصيصًا لهذا اللقاء، واضعة رأسها على صدره، ناظرة إلى موج البحر الساكن احترامًا لهذا المشهد، يعبث ببطء في خصلات

شعرها الأسود المنسدلة حتى كتفيها ، لا يتكلمان، قلوبهما هي من تصرخ فرحًا بين ضلوعهما، مستدعية كل المشاعر الفياضة في حفل راقص، داعية كل الحواس لاحتساء كأس من خمر الحب معتق منذ عشرين سنة، وأن لشاربيه الاستمتاع به، ينزل يده ويعتدل في جلسته لينظر إليها، عيناه تخرجان أشعة شمس كانت مكبوتة فخرجتا للكون بكامل طاقتهما، تشيعان عليهما بفيض عشق مكتوم، تظل عيناه تفيضان حبًّا وحنانًا يغلفهما كاملا، فتفقد القدرة على التفكير والتركيز، كأنها دخلت للتو حجرة ساحر مارس عليها سحره في تنويم مغناطيسي غريب، فأذابها بداخله حتى أصبحا كتلة حب واحدة لا ينفصلان، ثم يفاجئها بقبلة وهو يهوي بها إلى الوراء مستلقيين، لطالما أحبت قبلته، ولكن هذه المرة كان لها طعم خاص، فلا خوف ولا ترقب ولا سرعة في الخفاء، فهي الآن وحدها بدون أي قواعد أو قيود أو قوانين، وهو وحده ملكها كما كان دومًا، لا تعرف كم طالت هذه القبلة فهي تمنت أن لا تنتهي أبدًا، طالبة من الزمن أن يتمهل،أو يتوقف، كل ما تريده الآن أن تظل شفتاها بين شفتيه إلى آخر الزمان، وألا تقوم من بين يديه حتى تقوم الساعة.

●●●

مريم

قبل هذا المشهد ب ٤٠ سنه في ليله شتوية من شهر نوفمبر وفي منتصف شهر رمضان في اوائل السبعينات،

تصرخ امال من الام الوضع التي كانت تنتظرها منذ ايام صعاب، ويخرج السيد محمد زوجها مرتبكا ليخبط علي ام مكرم الجارة في الشقة المقابلة، فيخرج السيد جرجس ليفتح الباب في استغراب، ف الطرق شديد وفي هذا الوقت يكون السكون قد غلف هذه المنطقة الجديدة المتطرفة بحي مصر الجديدة، وتحديدا في منطقه الكربة شديده الأناقة المعمارية الفريدة، والتي الهمت ساكني المعادي والمقطم والهرم وبعض اعيان الارياف بالانتقال اليها،

البيت الذي يقطنه السيد جرجس، والاستاذ محمد وعائلاتهما في إحدى شوارع الكربة الجانبية والذي يشتهر بكثافة اشجاره على الجانبين حتى تلامسا فغلفا الشارع بمظلة طبيعية في منظر خلاب، تحاول الشمس نهارا جاهده ارسال اشعتها، متسرسبه بكسوف بين الاوراق والفروع، محاوله النفاذ،

والقمر مساء ينظر اليه نظره المحب الولهان،

obeikan.com

البيت عبارة عن فيلا من طابق واحد، لها سور وحديقة صغيرة في المدخل، وحديقة خلفية أكبر قليلاً، بها بوابة تنفذ على شارع آخر خلفي..

بنى والد السيد جرجس هذا البيت على شقتين متجاورتين، وبه سلم داخلي لسطح بعرض المنزل له سور صغير، كان ينوي السكن به، شقة له وشقة لابنه الوحيد جرجس.

قادمًا من أقصى الصعيد حاملاً تجارته وزوجته وابنه الوحيد إلى القاهرة، هاربًا من جو عائلي ملغمًا بمشاكل كثيرة، وعندما مات الأب قبل أن يتزوج جرجس، وماتت بعده أمه بعد أن اطمأنت عليه وزوجته فتاة قاهرية صالحة اقترحها قسيس كنيستهم المسماة البازيليك،والقريبة جدًّا من بيتهم وبعد أن أنجبا ابنهما الوحيد مكرم، توفت الجدة، تاركة العائلة في ظروف مادية صعبة، اضطرا على آثارها السيد جرجس بعرض الشقة المقابلة للبيع حتى يتسنى له بعض المال لتشغيل تجارة والده في الذهب التي تركها بالكامل له، وعندما عرّفه صديقه السيد مصطفى، بالمهندس محمد كمال، مهندس بشركه قناة السويس، والذي تزوج حديثًا، وافق السيد جرجس لما وجده من حسن خلق واحترام للمهندس محمد، كما أنه الوحيد من بين الشارين الذي كان يملك المبلغ كاملاً بدون فصال أو تقسيط.

المهندس محمد وزوجته السيدة أمال جيران من منطقه الهرم، تزوجا زواجًا تقليديّا بحكم الجيرة ومعرفة الأهل بعضهم ببعض، وبالرغم من هذا فقد أحب المهندس محمد زوجته الشابة حبًّا جمًّا، ونظرًا لظروف عمله بقناه السويس انتقلا للعيش بمنطقه مصر الجديدة أقرب للسويس قليلاً من الهرم أو هكذا أقنع أهله وأهل زوجته، وإن كان السبب الرئيسي هو البعد عنهم ليبداء حياة زوجية سعيدة بعيده عن تدخل الأهل.

عندما وضع المهندس محمد أثاثه في شقته الجديدة، كان مكرم الابن الوحيد للسيد جرجس قد تم عامه الرابع.

أحبه المهندس محمد كثيرًا هو وزوجته، وأحبا عائلة السيد جرجس، وأصبح البابان يغلقان مساءً فقط وقت النوم فالزوجان نهارًا في عملهما والزوجتان ومكرم معهما يقضون النهار سويًا، يشربون القهوة في الصباح، ويتسامرون في كل المواضيع، وكثيرا ما كانوا يصنعون نفس الطعام،حتى أيام الصيام لكليهم، كانوا يحرصون على أن يكون كل بيت مراع الطقوس الدينية لكل منهم، وخصوصًا أن العادات والتقاليد تكاد تكون واحدة في مصر، مسلمين ومسيحيين..

- خير يا محمد، الست أمال بتولد ولا إيه؟ سأله السيد جرجس في لهفة:

- أيوه يا جرجس وعماله تصرخ، رد المهندس محمد منفعلاً.

- يا أم مكرم، صرخ جرجس في انفعال تاركًا محمد على الباب، ومناديًا لمكرم:

- مكرم، مكرم، اصحَ والبس بسرعة، خالتك أمال بتولد، قامت الست أم مكرم تلف عليها شال أسود طويل، يغطي كتفيها العاريتين من قميص نوم ستان أسود بجمالات رفيعة، فقد كانت سيدة شديدة الأناقة صيف شتاء، فهي خريجة مدارس فرنسية وحاصله على ليسانس الآداب قسم لغة فرنسية، قصيرة القامة نحيلة، ذات شعر أسود ناعم وعينان في لون البندق الغامق، جمالها جمال مصري خالص..

وقف جرجس وهو يغلق أزرار قميصه على عجل قائلاً:

- متقلقش إحنا حافظين أنا ومكرم حنعمل إيه..

أخذ بعصبية ناتجة عن خوف وقلق مفاتيح سيارته الـ١٢٨ الحمراء، وشد مكرم من قفاه مبتسمًا لمحمد مطمئنًا:

- مش كده يا مكرم، إحنا حافظين.

قالها وهو يشد مكرم أمامه ليسرع..

يرجع محمد إلى شقته، فيجد الست أم مكرم، إيفون اسمها الذي نسيته منذ ولادة مكرم منذ أربع سنوات،إلا قليلاً من يتذكره وينادیها به..

- يا عدرا خليكي معاها، يا عدرا ساعديها، ماسكة بيد أمال، مغمضة عينيها تتمتم بكلمات تخرج منها بين همس وتضرع:

- متخفيش، ربناحيقومك بالسلامة وستنا مريم معانا، متخفيش..

تقولها وهي ترتعد خوفًا وجسدها النحيل يهتز، في حين ينظر إليها زوجها الشاب مرتبكًا لا يعرف ماذا يفعل، يخرج من الغرفة ويدخل في عصبية، ثم يذهب إلى الباب المطل مباشرة على باب حديقة الفيلا، فيجد الشارع خاليًا تمامًا إلا من صوت الرياح الشتوية اللطيفة والتي تحرك غصون الأشجار في خفة وتناغم يحدثان صوتًا مريحًا للأعصاب، ولكن أعصاب المهندس محمد كانت غير متوافقة الآن مع هذا الجو الساحر، فكان كل ما يشغله هو رؤية السيد جرجس وقد وصل والحكيمه ومن خلفهما مكرم يحمل شنطتها المعقمة، وبها كل الأدوات والتي ستساعد زوجته على خروج طفلهما الأول للحياة يشعل سيجارته ويذهب إلى البار الصغير المخفي بعناية في إحدى الشفونيرات بحجره الصالون، والتي تضيئ بلون احمر منعكس من المرايات المغلفة للشيفونيرة

بالداخل بالكامل، ويخرج زجاجة خمر مستوردة كان قد أحضرها له زوج أخت آمال عديله السعودي الجنسية هدية من المطار في رحلته الأخيرة للقاهرة، ثم ما يلبس يتذكر أنه في رمضان، وهو لا يشرب احترامًا لهذا الشهر الكريم، يدخل الزجاجة ويغلق باب الشفونيرة في عصبية واضحة، ويطفئ السيجارة التي أخذ منها نفسًا واحدًا مسرعًا، متجهًا إلى الباب عندما سمع صوت سيارة السيد جرجس قد وصلت.

- يا الله يا مس نعمة بسرعه الله يخليكي، يقولها بتودد المهندس محمد للحكيمة نعمة..

تتحرك ببطء وثقة زائدة الحكيمة نعمة، فهي ليست بداية ولا مولودة بجلباب أسود كما تظهر الأفلام المصرية في هذا الوقت، ولكنها خريجة مدرسة الحكيمات المصرية ومنحتها المدرسة فترة تمرين لمدة ستة أشهر في مستشفى كتشنر بلندن، ورجعت تمارس مهنتها باقتدار، محاولة تحسين وضع الحكيمة في أعين الناس، تعمل نهارًا في مستشفى كبير، وتعلم طلبة كلية الطب المجاورة، ويعاملونها بكل تقدير واحترام، فهي رئيسة التمريض وقضت ستة أشهر في بلاد الفرنجة كما يقولون، وفي باقي يومها تساعد نساء الحي أو اللاتي مازلن غير مقتنعات بالولادة في المستشفيات، وتأخذ أجرًا مناسبًا كل حسب حالته، فكثيرًا ما رفضت تقاضي

أي أجر من ولادة زوجات حارسي العقارات أو فقراء الأحياء المحيطة، ولذلك اشتهر سيطها في محيط حي مصر الجديدة كله والمناطق القريبة..

- دي بكريه، لسه أودامها كتير، متخفش، ترد عليه في ثقة وهدوء مستفز.

دخلت مس نعمة الحجرة حيث ترقد أمال على السرير تكتم صرختها فتعض على شفتيها، وتتلوى كشاه لدغها عقرب سام:

- إزيك يا مس نعمة، حمد الله على السلامة، كويس إنك جيتي بسرعه، قالت إيفون وهي تترك يد آمال وتقوم من السرير تاركة المهمة الآن لمن يستطيع المساعدة حقًّا..

- أهلاً يا أم مكرم إزيك يا حبيبتي، أربع سنين يا مدام إيفون من ساعة ولادة حبيبي مكرم، وإنتي قفلتي الباب، قالتها وهي تضحك غامزة لها في دلال مصطنع،إيه ما تشدي حيلك شوية دا الولد قرب يتخرج.

نظرت إيفون في تحسر وأسى، نشكر ربنا يا مس نعمة، نشكر ربنا عطاياه مغرقانا، ومكرم بالدنيا، والله مش بأيدينا وحاولنا كتير، بس ربنا مش رايد لنا غير مكرم، نعمل إيه، ضاربة يدها على يدها الأخرى في استسلام لقدر الله والرضا به ظاهريًّا، قائلة:

- المهم بس دلوقتي أمال..

- متخافيش دي بكرية، إنت نسيتي ولا إيه، دي ممكن تقعد للصبح أو الضهر كمان،ردت عليها في ثقة الحكيمة:

- لا لا إن شاء الله يجيب لها ساعة سهلة، والعدرا معاها، العدرا معاها، رددتها إيفون وهي تخرج من الحجرة كأنها تعلم بدون طلب أن تذهب إلى المطبخ لغلي الماء، وتخرج من الدولاب ملابس الطفل والشراشف التي جهزتها مع أمال منذ أكثر من شهر عندما بدأت شهرها التاسع،

جلس المهندس محمد والمقدس جرجس ومكرم في حجره المعيشة المقابلة لغرفه النوم التي يصدر منها كل حين صرخة مكتومه لأمال، وعند آذان الفجر تمامًا خرج صوت الوليد باكيًا صارخًا، وصوت زغرودته مصرية أصيلة من إيفون فرحًا وتهللا بقدوم الوليد..

- بنت بنت. قالتها وهي تفتح باب الغرفة في نفس لحظة نهوضهم هم الثلاثة..

- ألف مبروك بنت زي القمر.

نظر المهندس محمد للسيد جرجس، عيناه دامعتان من الفرح حاضنا إياه حضن انفعالي مربتًا على كتفيه،

ناظرًا إلى مكرم في ضحكة بلهاء قائلاً:

- بنت يا مكرم، جبت لك بنت تلعب معاك

مريم....

قالها مكرم في عفوية طفولية شديدة:

- مريم؟! خلاص والله ما حارجع لك كلمتك، فرحًا رد عليه المهندس محمد:

خلاص سمتها مريم زي ما مكرم قال؟

وأخذ يصفق وينظر إلى السماء، مريم، اللهم لك الحمد والشكر يا رب..

خرجت مس نعمة من الحجرة وهي ترتب شعرها وكأنها قد خرجت للتو من حجره صالون السيدات.

- تسلم إيديك يا ميس نعمة، يا أحسن حكيمة في بر مصر كلها، طمنيني أمال كويسة؟؟ سألها المهندس محمد.

- أمال والبنت زي الفل وزي القمر كمان، قالتها الحكيمة وهي تعطي لمكرم حقيبتها ليحملها لها كأنه مساعدها.

الست إيفون عارفة كل اللي مفروض تعمله،أنا فهمتها كل حاجة خلاص، ومش حاوصيك، الطفل ينزل من هنا، نحط مكانه

obeikan.com

فرخة بلدي بشربتها على طول، والرضاعة أهم حاجة الرضاعة، لبن السرسوب قالتها محذرة ناظرة بثقة لإيفون، يا ست أم مكرم وإنتي ست العارفين، دا أهم حاجه للطفل وفوائده يستفيد بيها عمره كله مبتسمة واثقة ثقة المعلم الذي يلقي درسًا بسيطًا لطلبة أغبياء، لو سمحت يا أستاذ جرجس تعالى رجعني، ألحق أريح ساعتين قبل ميعاد المستشفى، موجهة حديثها لجرجس.

أخرج المهندس محمد خمسة جنيهات كاملة ودسها في جيب بالطو مس نعمة متمتمًا بكلمات لم تسمعها، ولكنها فهمتها وشكرته بشدة،

- عقبال المولود اللي جاي، ومتتأخروش بقى زي جيرانكم، قالت وهي تشعر ببعض الإحراج إنها تسرعت في هذه الكلمة، وأنها غير مناسبة عندما لمحت نظرة حزن في عين إيفون وجرجس،

- ولدت مريم في فجر يوم من شهر مبارك، وسميت على اسم أطهر نساء العالمين، وحولها عائلة كبيرة وأخ دق قلبه لها أول ما وقع نظره عليها.

●●●

مكرم الأخ

شعر مكرم بإحساس الأخ الأكبر بعد أن كان وحيدًا أربع سنوات كاملة، وكذلك أمه السيدة إيفون، فقد أحبت مريم منذ ولادتها حبًّا جمًّا واعتبرتها حقًّا ابنتها التي ترجتها من السماء كثيرًا، وقد تبارت الامهاتان ومكرم في عناية ورعاية مريم منذ اليوم الأول، فكثيرًا ما كانت تأخذها إيفون ليلاً لتنام في حضنها بعد أيام من الولادة لتستطيع أمال النوم، وكانتا يقسمان الوقت بينهما في الطبيخ والغسيل لكلتا العائلتين معًا لتفرغ أحدهما تفرغًا تامًّا لمريم.

شبت مريم على هذا الحب فقليلاً في الدنيا من تكن لها والدتان وأخ محب بفطرته لها منذ اليوم الأول كمكرم..

وحتى بعد أن أنجبت أمال بعد سنتين من ولادة مريم ابنها أحمد وبعده بعام ابنها الثاني إبراهيم، كانت مريم هي الطفلة الوحيدة المدللة للعائلتين..

واعتبر مكرم الأخ الأكبر لأطفال آمال الثلاثة، ولكن كان لمريم نصيب الأسد في الاهتمام، ولطالما باركت العائلتان هذا الاهتمام الذي كان باديًا لهما أنه بدافع الأخوة فقط، كما أن اختلاف الديانة كانت سببًا أساسيًّا لاطمئنانهم أنهم أخوه ليس إلا..

تابع مكرم مريم منذ خطواتها الأولى، وفرحته كلمتها الأولى، وكانت عندما تراه وهي لا تزال ذات العامين تجري عليه فاردة ذراعها بتناديه مامم، فكانت لا تستطيع نطق الكاف بعد..

بعد وجود أحمد وإبراهيم انشغلت امال بتربيتهما ورعايتهما وهما مازالا في المهد وتركت مريم لرعاية إيفون كاملة، فكانت إيفون تصحبها معها لزيارة الأهل والأصدقاء، وكانت إذا سافرت إلى الإسكندرية في المصيف تذهب مريم معها..

وفي أحد أيام الأحد نهارًا، وكانت أمال قد أخذت الولدين للتطعيم وزيارة الطبيب الخاص بهما، وكانت إيفون على موعد صلاتها الأسبوعية في كنيستها البازيليك معها مكرم والمقدس جرجس.

قالت في شيء من التردد:

- حنعمل إيه يا جرجس، ناخدها معانا الكنيسة ولا ممكن أمال تزعل؟

- وإنتي مقولتلهاش ليه؟ وبعدين مهي عارفة إننا بنروح نصلي النهاردة، قالها جرجس بشيء من عدم الاكتراث، وهو يرتدي ملابسه ويضع عطره المميز:

- هي كانت نازلة مستعجلة وأكيد مخدتش بالها، ردت إيفون:

- خلاص، معندناش حل تاني، وبعدين عادي يعني ح يحصل ايه؟

- لو جت معانا، دي عيلة صغيرة متفهمش.

ولكن عندما خطت مريم رجلها كنيسة البازيليك رائعة التصميم الخارجي والداخلي، والمزينة جدرانها بصور السيدة العذراء والسيد المسيح وكثير من صور القديسين، بألوان زاهية رائعة كأنها خطت أمس..

والذي يميزها أيضًا ذلك الهدوء الروحاني ورائحة خشب الصندل التي تشعرك أنها نافذة من الجدران والمقاعد الخشبية سرت رعشه في جسد مريم ذات الأربع أعوام حينذاك وشعرت شعور لن تنساه ابدا، لم يفهمه عقلها في هذا اليوم، ولكنه اختزن في مكان سري في اللاوعي، منتظرًا استدعاءه في لحظه ما. وكانت قد حكت لها إيفون كثيرًا قصه السيده العذراء وابنها، وأن المسيح هو روح الله، وكيف أن الله منحه خصائصه في إحياء الموتى، وشفاء الأمراض وكثيرًا من المعجزات.

لم يكن المهندس محمد حاضرًا كثيرًا، فكان عمله في قناة السويس يتطلب سفره كثيرًا طوال الأسبوع، وأحيانًا يأتي للمنزل لقضاء يوم الجمعة فقط ويسافر مرة أخرى السبت، لم تتذمر أمال من هذا الوضع، لأنها كانت مشغولة بالولدين كثيرًا، وقد أحبتهم حبًّا جمًّا، وكانت تود لو تقضي معهما كل وقتها، تاركة مريم لإيفون ومكرم، ومحمد الزوج لعمله بالسويس.

●●●

obeikan.com

طفولة مريم

ولما كانت إيفون تعمل مدرسة في مدرسة الراهبات الديليفراند والقريبة جدًّا لمنزلها، اقترحت إيفون على آمال أن تدخل مريم معها المدرسة وتتولاها في الدراسة وفي الذهاب والإياب لم تكن إيفون تنوي العمل حتى فكرت في مريم، وكيف تستطيع أن تمضي معها أغلب الوقت، قبل ميعاد دخول مريم المدرسة بسنة كاملة، تقدمت إيفون للعمل بمدرسة راهبات الديليفراند ونجحت باقتدار لذكائها وحبها للتعليم وعلاقتها الطيبة بالأطفال وأهاليهم.

وعندما حان ميعاد تقدم مريم للمدرسة اقترحت على آمال أن تقوم هي بهذه المهمة، فرحبت آمال بشده، فهذا سيتيح لها وقت أطول للمكوث مع أحمد وإبراهيم.

كان مكرم منذ تم عامه التاسع، وهو ينزل في إجازته الصيفية مع أبيه في تجارته فقد كان يملك محلا لبيع المصوغات الذهبية بالصاغة، ومن ثمّ افتتح فرعًا بالكربة قريبًا من منزله.

كان مكرم يرجع في الخامسة مساءً، لا يشغله سوى رؤية مريم وكان كل يوم يعد لها لعبة مختلفة، يأخذها مرات أمامه على عجلته ويلف بيها الشوارع الجانبية للكربة، وكان يأخذ من أبيه بعض القروش القليلة جراء عمله في المحل، فيضع في

حصالته نصفهم، والنصف الآخر ينفقه يوميًّا على مريم، فأول مرة تذوقت الأيس كريم بالكريمةاللباني الشهية وعليها بعض من قطع الفواكة، كانت من عزومه لمكرم في المحل الشهير على الشارع العمومي لمنزلهم والمسمى (ماجك)، وكان بالفعل له جراء السحر في فمها، أحبت طعمه لدرجة الإدمان، وكانت دائمًا ما تترجى مكرم بأن يذهبا لتناوله كل يوم.

وكانا يقفان عند الكشك الخشبي المزين بكل أنواع الحلويات والبسكوتات والشوكولاتة، ويضحكان مع عم محروس صاحب الكشك والذي كان دائمًا ما يعطيهما بعض الحلوى واللبان مجانًا،إكرامًا لأبويهما، والذي كان يعرفهما جيدًا بحكم الجيرة..

- يا بني أنت تشتغل وتتعب وتيجي تصرف فلوسك على حلويات لمريم كل يوم، قائلاً: عم محروس مداعبًا مكرم،

يضحكان ويأخذان كيس الحلويات ويذهبان للجلوس قليلاً في الحديقة المفتوحة أمام كنيسة البازيليك،

وكثيرًا ما جلسا على السلالم الأمامية للمنزل يقرأ لها قصصًا بالفرنسية، فهو الآن ذاهب إلى الصف الرابع بمدرسه الفرير، وكان قد أتقن اللغة منذ نعومة أظافره من أمه التي كانت تحادثه بها دومًا، كانا يجلسان معًا كثيرًا صيفًا وشتاءً، وكثيرًا ما

قضا فترة الغروب فوق السطوح يتابعان معًا غروب الشمس من بين مظلة الشجرات الطبيعية التي أمامهما،أسقط مكرم كثيرًا من شخصيته العاطفية الخلوقة الطيبة على مريم، فكان يعطف على الفقير ويعطي بعضًا من قروشه القليلة لمحتاج يسألها لمساعدة، أو طفل صغير فقير يجلس على الرصيف، فيأخذ من مريم كيس الحلويات ليعطيه بعضًا منه، وعندما تنظر له مريم بطفولتها غاضبة، يقول لها: (دي عطايا ربنا وكلنا ولاده، اللي معاه يدي اللي معهوش).

كان مكرم يظهر بأنه أكبرمن سنه الحقيقي بكثير، جراء تحمله المسؤولية التي ألقاها على عاتقه والده منذ الصغر، وعلي الرغم من أن عمره آنذاك لم يتعد العشر سنوات، فإن عواطفه كانت جياشة، فكم من مرة تأثر بمشاهدة فيلم أمه المفضل (نهر الحب) وتفاعل مع آمال وقصه حبها لخالد، وأشفق على ابنها وبكى عند مشهد رؤيته لها في الحديقة أمامه بعد أن أقنعوه أنها ماتت، أثر هذا الفيلم في حياه مكرم كثيرًا، فأصبح كارهًا للظلم، مرهف الأحاسيس، محبًّا للمشاعر العاطفية الفياضة، وكثيرًا ما كتب شعرًا عاطفيًّا باللغة الفرنسية ينفس فيها مشاعره آنذاك، وكان بعد أن بدأ هذه الموهبة، لا يتخيل أمامه سوى مريم ليكتب إليها شعره الفياض، وكذالك كانت مريم منذ حداثة سنها

وتطور مشاعرها في سنوات عمرها الأولى، لم تجد سوى مكرم أخ وصديق وشيء آخر لم تكن تعرفه بالتحديد.

كانت ذات يوم جالسة تلعب في بيت إيفون منتظرة عودة مكرم من مشوار ارسله والده لقضائه، فغاب عنها طوال الفتره بعد الظهر، وأرسلتها إيفون طوال الفتره لسبب لا تعرفه الى هذه الام المشغولة منفوخة البطن.

- روحي يا مريومة شوية عند ماما أمال، قالتها وهي مبتسمة بدلع ومن خلفها جرجس يقرصها في وسطها في لقطه لم تفهم مغزاها مريم في هذا السن..

- لا مش عاوزة، قالت مريم وهي تجري داخل الشقة، ينظر جرجس لإيفون في لهفة وشوق واضحين، مشاورًا لها أن تتصرف بسرعة، فالمشوار الذي ارسل مكرم فيه لا يتجاوز الساعة، وها قد انقضى عشر دقائق منها في إقناع مريم للذهاب شويه عند ماما امال. ولم تقتنع إلا عندما أخبرتها أن مكرم سيجيء لها هناك، في بيت ماما امال..

فذهبت وانتظرته في الشرفة، وعندما استدارت لتدخل الغرفة في تململ واضح لفت نظرها انشغال أمها بأخيها الوليد، فلم تجد نفسها إلا أنها تبكي بشدة رافضة هذا الانتظار والبعد عن إيفون وبيت مكرم لسبب غير معلوم..

هكذا كانت مشاعرهما الأولى لبعضهما البعض، شيء غير مفهوم ولكنه تعلق شديد يظهر للداني بأنه مشاعر أخوة واهتمام أطفال جيران ليس إلا، ولا يعلم الداني والقاصي بأن ثم حبّا وليدًا قد بدأ بأخذ أول أنفاسه في الحياة.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

خمس سنوات

عندما كبر أحمد ومصطفى قليلاً واللذان كانا يعتبران كالتوأم لقرب عمريهما، فهي سنة واحدة تفرق بينهما، كانا يعتقدان أن مريم أخت مكرم وبنت إيفون وجرجس، وبعد أن كبرا وحان ميعاد دخولهما المدرسة، أصر المقدس جرجس والذي أصبح مقدسًا بعد أن ذهب للحج بالقدس في منتصف السبعينيات، وعندما ازدهرت تجارته وفتح فرعه الثاني، أن يذهبا مع مكرم إلى مدرسة الفرير، ليعتني بهما ويكون لهما أخ أكبر في البيت وفي المدرسة. وهكذا حمل المقدس جرجس مكرم عبئًا جديدًا وحملا كان لا يفضله ليتفرغ لمريم كل الوقت.

سارت طفولتهم هم الأربعة جميلة وبها الكثير من الأحداث والذكريات..

سواء في ذهابهم إلى نادي هليوبوليس مع مكرم ليتابع تمارين رياضته المفضلة السباحة ومن بعدها التنس والإسكواش، وعندما شب أحمد ومصطفى أيضًا في عمرهما، كانا يقضيان معظم الصيف في النادي لممارسة تمارينهما.

وكان المقدس جرجس يوصلهما صباحًا إلى النادي في سيارته الحديثة والتي فرحوا بها جميعًا لاتساعها، وكانت من

فئة المرسيدس، وكان في كل مرة تتقدم أسرة منهم في شراء شيء جديد، حتى تقنع الأخرى بشراء أختها، وأقنع المقدس جرجس المهندس محمد، و الذي اصبح الان بعد ان ترقي في عمله مهندسا عاما للمشروع ،يذهب الي الموقع يومين فقط في الأسبوع وباقي الأسبوع يعمل في فرع الشركه بالقاهره.

- مش كفاية بقى الـ١٣١ دي، دي بدأت تفتح بقها وحتبهدلك، أنا بعت عربيتي بسعر حلو أوي، وجبت المرسيدس، تعال أفرجك عليها، والتاجر اللي خد ٣١ بتاعتي عاوز ياخد بتاعتك وبسعر أعلى، إنت مكنتش بتسافر بيها فيعني تعتبر مش ماشية، قال المقدس جرجس محاولاً إقناع المهندس محمد..

وبالفعل لم تمض أيام حتى أصبحت العربتان المرسيدس ذات نفس اللون الأسود تقفان أمام باب الفيلا. فقط ما يفرقهما عن بعضهما البعض والتي يميز كل منهما سيارته عن الأخرى، هو ذلك الصليب الخشبي الكبير في عربة المقدس جرجس، وتلك السبحة الزرقاء الكبيرة في عربة المهندس محمد.

وكان في بعض الأحيان يصلهم المقدس جرجس صباحًا، ويرجعهم مساء المهندس محمد أو العكس.

وحاولت الأمان إقناع مريم بممارسة أي رياضة مع أخواتها، ولكنها ما تلبث أن تلعب يومين أو ثلاثة بالكثير ثم تتذمر ولا تحب أن تكمل فيها..

ولاحظت إيفون ميل مريم لمسك القلم والتخطيط على الورق منذ استطاعت مسك القلم، فكانت تخطط علىالحائط، في بيت امال، فكانت تنهرها وتعاقبها بالضرب بالشبشب، وعندما تسمع صراخها إيفون تجري إليها وتبعد الشبشب من يدها آخذة مريم في حضنها باكية،

- بتشخبط على الحيطة، قليلة الأدب، قلتها وهي تنفض يديها، نظر إليها نظرة غيظ وانفعال رأتها إيفون أنه مبالغ فيه، طفلة صغيرة مش فاهمة، فهميها بشويش، وقلت لك ميت مرة: أرجوكي بلاش ضرب، إيفون في حالة من الحزن على حبيبة قلبها وابنتها التي كانت لا ترجو من الدنيا سواها.

قالتها وهي تأخذ مريم من يدها ذاهبة بها إلى منزلها واعده أيها بشراء كراسات رسم وأقلام لترسم فيهم كما يحلو لها..

منذ ذلك اليوم تنبهت إيفون إلىأن مريم تهوى الرسم، ومن بعده كل الفنون ذات الطابع الحسي، مثل الموسيقي والغناء..

فبدأت إيفون في الاعتناء بمواهب مريم وتنميتها، كانت تبحث لها دائمًا سواء في المدارس الصيفية أو أي كورسات تابعة للكنيسة حتى تسرع بالاشتراك لتدخل مريم فيها..

وعندما كانت تعترض آمال لمجرد إحساسها أنها أمها الحقيقية، وأنها تحب أن تعرف قبل أي تصرف من قبل إيفون، وكذلك عندما كانت تعترض على تلك الأموال المهدرة في التراب على حسب تعبيرها، كانت إيفون تخبئ عنها كثير من مثل هذه الكورسات، وتذهب لأخذها من النادي مدعية أنها ستذهب معها في مشوار وتذهب بها إلى الكورسات، او تقول لامال ان هذا الكورس مجانا، أو أن المعلم صديق لهم من الكنيسة ولم يأخذ منها أي أجر.

●●●

opelkan.com

مريم في الرسم

كثيـرًا مـا نبهـت إيفـون آمـال بإحساسـها بحبهـا للولدين أكثـر مـن مـريم، وأن البنـت مـا زالـت لا تعـي ذلك،وأنهـا يجـب أن تراجـع نفسـها وتعطيهـا مـن هـذا الحـب والعطـف والخـوف الفيـاض علـي احمـد وإبراهيـم..

- كفايـة عليهـا حبـك إنتـي، حابقـي أنـا وإنتـي، قالتهـا آمـال في استخفاف وهـي تقـوم لوضـع بـراد الشـاي علـى النـار، زاد اهتمـام إيفـون بمـريم لتنميـة مواهبهـا الفنيـة لربمـا كان تعويضًـا لهـا عـن إهمـال آمـال لهـا واهتمامهـا بالولديـن..

وكم فرحت إيفون عندما نبهها مدرس التربيه الفنيه بمدرسة راهبـات الديليفرنـد، أن مـريم تمتلـك حسـا عاليـا في الرسـم، وأنهـا حقًّا موهوبة وينتظرهـا مستقبل باهـر..

علـي الرغـم مـن ان إيفـون كانـت تصحـب مـريم لـدروس تعلـم البيانـو علـى يـد سـيده ايطاليـه تدعـى ماريـا، والتـي كانـت تحـب مصـر والمصريـين لدرجـه العشـق، ومنـذ أواخـر الخمسـينيات نزحـت مـن بلدتها رومـا واسـتقرت في هـذا الحـي المتطـرف بعيـدًا عـن زحـام القاهـرة، والمسـمى حينـذاك هليوبوليس، وتحديـدًا في منطقه الكربة،

فكانت إيفون تصطحب مريم يومين في الأسبوع لدرس البيانو عند السيدة ماريا، ويومين آخرين تذهب بها إلى مدرسة بحي الظاهر البعيد عن الكربة، لتعطيها دروس في الرسم، وكذلك كانت تنتظر إعلان كورال الكنيسة لانعقاد وتدريب الصبية والفتيات على حفظ وغناء التراتيل الخاصة بهم وتعليمهم علم الصوتيات المسمى (الفوكال) للاشتراك لمريم، ولما كان الجميع يرون مريم كثيرًا مع إيفون فلم يسألهاأحد إذا كانت مسيحيةأم لا؟

هكذا تسنى لمريم، ومنذ هذا السن الصغير، أن ترتقي بمشاعرها وإحساسها برقي الفنون التي تتعلمها..

وسرعان ما ظهرت براعة وموهبة مريم في الرسم عندما رسمت وهي في السادسة من عمرها لوحة فنية تعبر عن ملحمة السادس من أكتوبر، والذي كان حينذاك قد مر عليه فقط ثلاث سنوات، وقد رشحت المدرسة اللوحة لإحدى مسابقات الرسم على مستوى مصر الجديدة، وفازت لوحة مريم بالمركز الأول.

ولا تنسى إيفون هذا اليوم، والذي قررت المدرسة عمل احتفال خاص للطفلة ذات الستة أعوام صاحبة اللوحة المبهرة، وأعطتها فيه جائزة عبارة عن ميدالية كبيره ذات لون برنزي أعطتها لها الأخت سليفا، كبيرة راهبات مدارس الديليفرند في بر مصر كلها، وهذا حدث نادرًا ما يتكرر..

المرحلة الإعدادية

وعندما أنهت مريم المرحلة الابتدائية، وفي صيف انتقالها للمرحلة الإعدادية، كان مكرم ما زال يتلمس طريقه في المرحلة الثانوية، كبر مكرم وكبر حب مريم في قلبه يومًا بعد يوم..

وبالرغم من أنه مر كثير منذ أن كان في منتصف مرحلته الإعدادية ببعض العلاقات العابرة، والتي كانت فقط ليتمشيا مع عادات أصحابه في مدرسه الفرير الفرنسية، وكذلك في تدريباته الرياضية في نادي هليوبوليس العريق، ولأن مكرم كان فتى رياضيًّا منذ صغره، فقد كان يتمتع بقوام رشيق، وبشرة خمرية تميل إلىالسمرة صيفًا بفعل خروجه للعمل مع أبيه كل صباح ثم عودته مباشرة للنادي لمتابعة تمارين السباحة والتنس والإسكواش، وكانت عيناه أكثر ما تميزه، فكانت ذات لون بندقي فاتح ولهما عمق بسحر غريب، ورموشه سوداء كثيفة جدًّا،وشعره أسود كثيف مجعد بعض الشيء، وارثًا إياه من عائلة أبيه بالصعيد..

أعجبت به الفتيات فهو يشبه نهر النيل بخمرته وغموض عينيه، لم يحب مكرم أي من الفتيات اللاتي عرفهن، فكلهن كانت محطات عابرة، ولكنه اكتسب كثيرًا من خبرات الحياة من مثل هذه المواقف وكذلك من العمل منذ أتم التاسعة مع أبيه في تجارته..

كان كثيرًا ما يذهب لأصحاب مريم بعد أن يكون قد اطمأن علىأحمد وإبراهيم بوصولهما البيت، فيطير بعجلته ليحضر مريم من المدرسة في الأيام التي يكون لديها نشاط إضافي بعد المواعيد الرسمية ينتظرها على الباب متلهفًا، مع أنه يراه كل يوم صباحًا مساءً، تخرج في دلال لافحة شنطتها وتمشي في خيلاء، ناظرة إلى عينيه كأنها تحتضنهما..

وتركب على المقعد الخشبي الصغير والذي صنعه مكرم خصيصًا وثبته على عجلته ليجعل لمريم مكانًا مريحًا لتركب معه،

يأخذ منها الشنطة ويضعها في السلة المثبتة في مقدمه العجلة، وتقفز هي قفزة واحدة لتجلس خلفه ماسكة وسطه بكلتا يديها، يجري فيطير شعرها الأسود الطويل، والتي تفك رابطته بمجرد الخروج من باب المدرسة فممنوع لديهم الشعورالمنسدلة، تحتضنه وتضع رأسها على ظهره وتغمض عينيها فترى الكون كله يرقص معها في فرحة ونشوة عامرة، وتشعر بقلبها يحاول القفز من صدرها ليخرج سابقا ايهما.

كانا في هذه المرحلة لا يتكلمان إلا بلغة العيون، فما كان في صدر كل منهما يخشى البوح بمكنونه؛ لأنه يعرف أنه طريق مسدود، أو لربما كان يظن كل منهما أنه صاحب هذا الشعور بمفرده وأن الطرف الآخر مؤكدًا، ليس لديه نفس الشعور..

بعد انتهاء الاحتفال بتخرج مكرم من المدرسة ونجاحه في الثانوية الفرنسية، اجتمعت العائلتان لمناقشة مصير مكرم واختيار جامعة له في حقيقة الأمر كان المجموع ومكتب التنسيق هو صاحب الكلمةالأخيرة في هذا الأمر..

- مش كنت شديت حيلك شوية يا ميكي وجبت مجموع طب ولا هندسة؟

قالت آمال وهي تساعد إيفون في تنظيف السفرة والمنزل من جراء الاحتفال:

- والله يا خالتي آمال لا بحب طب ولا هندسة

- طب إن شاء الله ناوي على إيه يا مكرم يا حبيبي، مجموعك يجيب إيه؟

يجيب تجارة ، أو آداب أو حقوق بس، مبتسمًا رد مكرم على المهندس محمد:

- طب إيه رأيك تدخل بحرية ولا حربية ولا شرطة، بحب لبسهم أوي وشكلهم في البدل بيبقى (فنتستيك)...قالت مريم في دلع ودلال:

- لا صعب أوي يا مريومة، المسيحيين فرصهم قليلة أوي في الكليات دي، ولازم واسطة جامدة جدااا، أو رشوة كبيرةللأسف.

obeikan.com

رد عليها المقدس جرجس في أسى وحسرة:

- إيه يا أمي مش حتقولي لي رأيك؟

نظر مكرم إلى إيفون:

- يا حبيبي اللي إنت عاوزه ويريحك أعمله، خالك ماجد اتصل النهاردة وقالي لو تحب تروح تدرس عندهم في فرنسا، هو مستعد ومرحب جدااا، وإنت معاك الشهادة ومش حتغلب..

- بتتكلمي جد؟ إنتي عاوزاني أسافر وأسيبكم؟!

- ليه تسبنا وإحنا حنيجي معاك، قالت إيفون في ثقة وخيلاء مصطنع:

- الكلام دا بجد يا بابا؟

- لسه دا مجرد اقتراح وبندرسه، قال جرجس

- إزاي الكلام دا يا جرجس، سفر إيه وتسيبونا إزاي؟؟؟ باستغراب شديد سأل المهندس محمد:

- إنت عارف يا محمد يا أخويا إيفون إخوتها كلهم في فرنسا، وأنا مليش حد، ولازم العيلة تتجمع بقى..

- وإحنا مش عيلتكم ولا إيه؟

obeikan.com

مستنكرة قالت آمال:

- إزاي يا ست أم أحمد، إنتو أكتر من إخوات

قالها جرجس وهو ناظر للأرض مفكرًا

وأمال تلملم باقي الأطباق هي وإيفون..

●●●

obeikan.com

obeikan.com

البداية

ولكن ما حدث في هذه اللحظة لمريم لم تكن تتخيله، فبمجرد شعورها أن حياتهم سوف لا يوجد بها مكرم وإيفون جعلها تضطرب بشدة، وخيم على صدرها الصغير آنذاك حزن وغم كادت أن تفقد وعيها منه..

أحست إيفون بأن مريم ليست على ما يرام من مجرد نظرها إلىوجهها..

- متطلعو يا ولاد تقعدوا فوق السطح شوية ولا في الجنينة، تشمو الهوا لحد ما نخلص تنضيف.

فوق السطح في ليلة كان القمر بدرًا، كأنه لؤلؤة بيضاء طفت على سطح بحر عميق، مع نسمة صيفية شديدة اللطف.

نظرت مريم ذات الثلاثة عشر ربيعًا، إلى عين مكرم والذي كان منذ ثوان قليلة أخاها الأكبر، غير فاهمة ماذا يجري بداخلها، ما هذا الإحساس الذي يخالج قلبها فيجعل اوصالها ترتعش، فقط لمجرد أن تخيلت أن مكرم من الممكن أن يسافر إلى أخواله في فرنسا ويبعد عنها، فالحياه منذ وعت عليها يوجد فيها مكرم، في كل حدث، في كل موقف، في كل ثانية، يجلسان على الكنبة الخشبية المتهالكة من جراء عوامل الجو، فهي في مكانها هذا منذ وعى مكرم على الدنيا..

- مكرم؟؟ قالت مريم وهي مثبتة نظرها عليه...

- أيوه، رد مكرم وهو ناظر للقمر في استسلام تام لتلك المشاعرالمكبوتة في صدره والتي ظهرت فجأة على عقله وقلبه، كأنها فيضان قد جاء في غير موعده..

- أنت فعلاً ممكن تسافر؟ تسافر، وتسبني؟؟ قالت مريم وهي ترتعد فرائسها كلها، وعينها أصبحت مليئه بدموع لم تستطع حبسها، اعتدل مكرم في جلسته، وأصبح جالسًا أمامها تمامًا، ولم يشعر سوى بأنه قد جذبها إلى حضنه وأحاطها بكلتا ذراعيه بقوه كأنه يحميها من مجهول مخيف..

ولم تشعر مريم سوى بأنها قد رأت بحرًا هادئًا مريحًا جميلاً تمنت منذ الأزل الغوص فيه، دخلت في حضنه كأنها تحتضن الدنيا بأسرها، لم تسمع لدقات قلبها المتزايدة في تلك اللحظة، ولا التغيرات الغريبة التي تحوم في جسدها، ولا الثلج الذي شعرت به في راسها والذي أحدث تنميلاً غريبًا، كادت أنفاسها أن تختفي، لم تدر كم دام هذا الحضن، حضنهما الأول، أفاقت عندما فتحت عينيها لتنظر إلى السماء فترى القمر المكتمل، وقد ظهر فيه وجهه مبتسمًا حنونًا مباركًا لها هذه اللحظة التاريخية السعيدة في حياتها، وعندما تباعدا قليلاً، أمسك مكرم رأسها وطبع قبلة عذبة رقيقة تقول كل كلمات الحب والغزل التي سطرت في أساطير الحب العفيف،

نظرا إلى أعين بعضهما في ثبات غريب..

وتحركت مريم للنهوض، قائلة:

- اوعدني، متسافرش، متسبنيش.

- مقدرش أسيبك أبدًا يا حبيبتي..

قالها وهو ممسك يديها بكلتا يديه، وناظرًا في عينيها، وعندما نطق كلمه حبيبتي، أحست مريم أن السماء والأرض اندمجا وكونا مجرة جديده ليس بها قانون للجاذبيه، وأنها لا تعرف إذا كانت على أرض ثابتة، أم طائرة وسط سحاب أبيض مشبع برائحة عطر نفاذ.

«حبيبتي» ، كلمة قلبت لها كل الموازين، فلطالما أحبته منذ وقع معنى الحب في قلبها، تمنت أن تسمعها منه ليالي طويلة، وكانت لديها أحاسيس متضاربة، هل هذا هو الحب؟ هذا حب أخوة، أم حب مليء بالمشاعر المكبوتة، حب محرم، مُجرم؟ ليس له مستقبل، وُئد كما وئدت البنات أحياء في الجاهلية..

وهو..

كيف نطقها؟؟ كيف ضمها إلى صدره فأحس باحتواء الكون كله له ولها، احس بانعكاس القمر على عينيها، فأخرجت شرارة فجرت كل مشاعر الحب النائم قصرًا بين ضلوعه.

قبلها على جبينها مستجمعًا حركه المدارات بين الكواكب والأرض، فأوقفها بوضع شفتيه ملامسًا جبينها، كتم الوقت أنفاسه لتلك الثواني، وتعطل الكون كله، آخذًا شهيقًا طويلاً بطول القبلة، ثم سرعان ما أنهاها ليرجع الكون لحركته من جديد.

- حبيبتي..

كم لهذه الكلمة من مفعول ساحر!!

فلتت يديها من بين راحتي يديه ونزلت مسرعة خشيه ان تفقد الوعي أمامه، هكذا شعرت..

لم تدر كيف نزلت السلالم ووقفت في الطرقة الفاصلة بين الشقتين، ناظرة إليهما، أين تدخل؟؟في بيت مكرم وإيفون وعم جرجس، شعرت أنه قد تغير عليها البيت الآن بوجود هذا الحبيب فيه، شعرت بغصة في قلبها لم تفهم معناها..

وما لبثت أن دخلت إلى بيتها الأصلي..

لم يستطيعا النوم كلاهما هذه الليلة، وجلسا كل في شرفته معلقًا عينيه على الدائرة اللؤلؤية المدلاة أمامهما من السماء، كأنها خزانة كبيره تحوي أسراره.

#العشق.

انطلق القلبان بعد أن حضن الحبيب حبيبته.. فشعرا بأن زلزالًا مهولًا قد أصاب الأرض من تحت قدميهما.. وعلى أثره انكسرت كل القضبان..

وتحطمت الزنازين وانتحر السجّان..

ووجدا بعضهما وجهًا لوجه منطلقين..متشابكي الأيدي.. ومحلّقان إلى مكان سرّي بعيد في سماء غير معروفة إلا لقلوب العشاق..

وعندما وصلا جلسا سويًا على حافة شاطئنهر من لؤلؤ..

يُحدقان إلى بعضهما البعض.. يتحدثان عنهذا الشعور الرائع لحضن العاشقان..

وكيف أنه طريقهم الوحيد للخلاص..والانطلاق.. والطيران..

مشفقان على بعض القلوب التي لا تعرفمعنى الحب.. معني العشق والذوبان..محرومون من التحليق والعوم في بحر اللؤلؤالفتّان..

والجلوس في سماء سرية بها كل أنواع الجنان..

لحظة عشق حقيقيه تساوي حياة في هذاالزمان..

ذالك العشق الذي يفقد الهوية والاتزان..

عشقًا نقيًا خالص ليس له به شوائب أو نقصان..

عشقًا يظن البعض أنه ليس موجود سوى في الأحلام..

لم يشعر بلذته إلا المَفتون حقًا.. المعشوق عشقًا يجعل أرضه سماء..

يُريه القمر فجرًا.. والشمس قررت تغيّرالمسار.. ظلت مبتهجة بعشقه ناسية أن عليها الانصراف..

العشق الذي يُبرّئ نفسه من أي مطالب أو لذّات..

طاهر من أن يُدنّس برغبة جسدية حمقاء..

عشق روح لروح، هائمين فوق السحاب..

يعرفان أن لهما موعدًا للقاء.. من الممكن أن لا يكون في هذا الزمان..

ولكنه وعد مكتوب لهما من قبل الزمان.

يعرفه القلب على بُعد مئات الأعمار..

ويظل يبحث عنه في الأرض والسماء والمجرّات..

متيقناً العثور عليه، فهو شريانه الذي يمده بالحياه. حتى ما بعد الحياة.

وعندما انفصل الجسدان..

معلنين انتهاء هذا الحضن الفتّان..

انتفضا القلبان.. وسارا بخطوات مضربه سريعه حزينه.. يعلمان رجوعهما للسجّان..

دخلا القفص وأصلحا بأنفسهم القضبان..

وجلسا في ركنهما في حسرةٍ.. متعلقان بامل زياده الشوق لدي الحبيبان..

آملين في حضن سريع خاطف.. قبل الوداع..

يُعيدهما ولو ثوانٍ إلى السماء والطيران..

●●●

obeikan.com

الاهتزاز النفسي

بعد هذه الليلة، حدث للاثنين اهتزازا نفسيّا كبيرًا ، ما بين إحساسهما بالحب، وبمدى استحالة أو حرمانية هذا الحب، ولأن تضاد الشعورين كان هائلاً، تعمدا أن لا يتلاقيان، كأنهما متفقان على هذا..

فكانت مريم تتأخر في النوم متظاهرة بذلك حتى تسمع صوت مكرم وعم جرجس يغادران للعمل، ومن ثم تقوم لتذهب أحيانًا عند إيفون، أوتجلس أحيانًا لترسم أي شيء ليس له معنى، جاوبت بذلك عندما دخلت عليها آمال متسائلة، وكان مكرم يرجع من العمل أحيانًا على النادي،وأحيانًا على لقاء أصحابه في محل (ومبي) في شارع السباق بالمريلاند، وكان يجاري أصحابه في هذا الوقت لعمل أي شيء حتى يبعد الفكرة كاملة عن رأسه.

فكانوا يدخنون الحشيش والذي يأتون بيه من صبي قهوة(عماد) في عين شمس، كما أنهم كانوا يأتون ببعض فتيات الليل لقضاء سهرات حمراء معهم في شقه صبحي، صديقهم والذي نزل للتو بعد أخذه للثانوية العامة من دولة الكويت، تاركًا والديه اللذين يعملان مدرسين في أحد المدراس هناك، ونزل هو للسكن بمفرده للدخول إلى الجامعة في مصر.

فأصبحت الشقة هي ملتقى الشلة لفعل كل الممنوعات من شرب خمر ومخدرات وعاهرات..

بالرغم انغماس مكرم منتصف الصيف تقريبًا مع هذه الشلة ومحاولتهما الفرار من بعضهما البعض أو محاولة الفرار من مجرد التفكير في هذا الحب الممنوع عقليًّا، والمسيطر عليهما كليًّا،

فإن ذات مساء اجتمعت الأسرتان على عشاء مرتب للاحتفال بإفطارالسيدة العذراء كما هم معتادون منذ سنين، فكانت آمال تنهمك في صنع عرق اللحمة بالصوص البني اللذيذ الذي كانت تتقنه، وكانت إيفون تصنع كعكة الجيلي بالفواكه في هذا الوقت من الصيف كل عام.

كانت تلك المرة الأولى التي تتلاقى أعينهما في جلسة طويلة بعد ما حدث تلك الليلة فوق سطح المنزل، غير أنهم قد جمعت بينهما الصدف في لقاءات سريعة عابرة بدون حديث مباشر في خلال تلك الفترة..

حاولت جاهدة ألا تلتقي أعينهما ولكنها محاولة باءت بالفشل عند أول نظرة لهما معًا، نظرة غاص كل منهما في عين الآخر، ودار حوار صامت طويل، ما بين عتاب ولهفة وعشق مكتوم..

لاحظت إيفون صمت مريم غير المبرر بالنسبة لها، حيث أن مريم هي بهجه المنزل وسبب سعادة الجميع بما تنشره من إيجابية وانطلاقة وحب للحياة ظاهر على كل تصرفاتها، كما أنها كانت معتادة على عزف بعض الألحان على البيانو الأسود العتيق في بيت إيفون، وكانوا كثيرًا ما يدندنون جميعًا إحدى أغاني عبد الحليم أو أم كلثوم في نشاز واضح من المقدس جرجس والمهندس محمد، ويختتمون السهرة بمشاهدة فيلم السهرة يوم الخميس مساءً،

- مريومة مالك؟؟

- سألتها بالفرنسية التي اعتادا التحدث بها معًا، مما كان يغضب أمال أحيانًا..

- أبدًا إيفونا، شوية صداع.

كانت مريم تنادي أمال بماما وتدلع إيفون بإيفونا دائمًا.

جلس الجميع على طاولة العشاء بما فيها ما لذ وطاب في كل الأعياد والسهرات.

وسرعان ما بغتهم المقدس جرجس بمفاجأة أربكت مريم ومكرم بشدة..

- اعملوا حسابكم يا أولاد بعد بكرة الفجر حنسافر كلنا سوا العجمي، الصيف قرب يخلص وإحنا لسه مصيفناش.

نسيت مريم تمامًا في خضم احاسيسها التي بدأت تتفتح سفرية العجمي كل صيف، فمنذ وعت على الدنيا وهم يسافرون كل صيف لقضاء ١٠ أيام كاملة في فيلا العجمي، والتي اشتراها المقدس جرجس منذ منتصف السبعينيات عندما تيسرت أحواله المادية، وبالتحديد في منطقه الفردوس والتي يقطنها آن ذاك مشاهير وأغنياء مصر المحروسة، والذين نزحوا من مصيفهم المعتاد في عشش راس البر بعد أن بدأت تزدحم بمستويات لم يعتادوا على وجودهم في راس البر من قبل..

شهدت هذه الفيلا ذكريات الطفولة للأطفال الأربعة، وقضوا في بحر العجمي نهارًا وسهرات الشارع الرئيسي ليلاً أيام لا تنسى..

- بابا خليني أنا المرة دي، في شغل مهم في المحل، ولازم أستنى جواب التنسيق وأجهز الأوراق اللازمه للجامعة.

قالها مكرم وهو يستعد لمغادرة السفرة بعدأن تظاهر بالأكل وشكر آمال وإيفون على مذاقه الرائع، كما كان دائمًا حلو اللسان ومقدرًا للأفعال..

- إزاي يا ميكي تقول كده، هو المصيف ينفع من غيرك، قالها المهندس محمد في استغراب..

- إيه يا مكرم الكلام دا يا ابني، محل إيه؟!، ما عمك مرقص موجود والشغل عال العال، وكأننا موجودين وأكتر، ولسه جواب التنسيق لما يوصل يحلها ربنا، معانا وقت لسه متخفش.

- خلاص يا بابا زي ما تشوف حضرتك.

- طب معلش أنا حاستأذنكم، عندي ميعاد مع أصحابي، حنروح نلعب بولة إستميشن عند صبحي في البيت.

- طيب يا حبيبي، خليك بس لحد ما ناكل كيكة الجيلي اللي عملاها لك.

قالتها إيفون في محاولة لجعل مكرم يجلس قليلاً..

- معلش يا ماما أنا كلت وكله تمام، المره دي وعدت أصحابي أنزلهم، بكره الصبح حافطر بيها، صدقيني..

قالها مكرم وهو يطبع قبلة على جبين إيفون في حنية بالغة..

●●●

obeikan.com

منتصف صيف عام ١٩٨٣

فيلا الفردوس،

كانت زهرة مريم قد بدأت في الازدهار، وبدأت ملامح الطفولة في الزوال، لتحل ملامح أكثر قوه وإشراقًا وجمالاً، تطغى على ملامح مريم وجسدها، فكما كانت تقول أمال لإيفون، (خراط البنات خرطها).

وصلت العائلتان إلى الفيلا بالعجمي، وانهمك الجميع في التنظيف والترتيب حيث أنها لم تفتح من الصيف الماضي..

كانت الفيلا ذات الطابع المعماري المميز بطوبه الأبيض الكبير والخطوط السوداء التي تفصلهم،أهم ما يميز فيلات العجمي في هذا الوقت، مع شجيرات التين البرشومي المنتشرة في الأرض الخلفية للفيلا وفي الشوارع الجانبية، كانت الفيلا ثالث صف على البحر، فتأخذ بالمشي أقل من ٣ دقائق، وكان بالشاطئ كراسي وشمسيات للإيجار لمن يأتي من الخارج، أو لو كانوا من القاطنين فكانوا يشيلون كل يوم الشمسية والكراسي ويذهبون بها للشاطئ، وكم كان يتذمر الأطفال الأربعة من المشاوير اليومية للبحر حاملين كل منهم كرسيًا، وكذلك مشاوير الذهاب للفيلا عند نسيان شيء مهم أو نفاذ الماء أو العيش والجبن التركي والمسمى بالجبنة الرومي في القاهرة..

منذ وطأت أقدامهم فيلا العجمي الأسرتين تعرفوا على أصحاب الفيلا المجاورة، فقد كانا زوجين شابين، ولديهما توأم ولد وبنت أكبر من مريم بعام واحد، وكانوا يلتقون جميعًا في الصيف فقط وغير ذلك لا.

كان الأطفال الستة آن ذاك يلهون سويًا وينزلون البحر في النهار، ويتسابقون بالعجل في الشوارع الجانبية قبل المغرب ثم في المساء، يذهبون إلى الشارع الرئيسي لشرب الخروب المثلج من أشهر محل بالعجمي كله والمسمى بـ(خروب كليه الطب) أو شراء بعض الفطائر المحشوة بالسجق الإسكندراني الحراق، ويتبارون كل يوم في تناول الحلويات ما بين الأيس كريم أو الفطير بالسكر والقشدة أو الجاتوه المسمي بقارب الشكولاتة من المحل الشهير (مانا) والتي كانت تعشقه مريم، وكان مكرم يحرص على شرائه لها دائمًا، وكان بالرغم من أن مكرم يكبرهم قليلاً فإنه كان يجاريهم في كل الأفعال من باب المراعاة، ومن باب التعلق بمريم والذي كان لا يفهمه حينها..

ولكن صيف هذا العام كان مختلفًا لدىالأربعة الكبار على الأقل، مريم ومكرم، وفريدة وفريد،أو فرولة وفري كما اعتادواأن يطلقون عليهم..

كانت فريدة وفريد من أصل تركي، فجدتهم لأمهم كانت تركية الأصل، وكانت الأم شديدة الجمال، بوجه أبيض وعيون زرقاء وشعر أصفر ناعم منسدل حتى منتصف ظهرها، أورثت جمالها كلية لأبنائها.

بعد الانتهاء من التنظيف وترتيب الفيلا ووضع أغراضهم، كل في حجرته، فقد كانت الفيلا مكونة من طابق واحد كبير، به ثلاث غرف؛ غرفة لإيفون وجرجس، وغرفة للأولاد الثلاثة، أحمد وإبراهيم ومكرم، وغرفة للمهندس محمد وآمال ومعهم مريم.

كانت غرفة الأولاد بها سرير بدورين، وسرير مفرد لمكرم والغرف الأخرى تحتوي على سرير كبير للزوجين وكنبة سحارة تفرد لتكون سريرًا عند ميعاد النوم..

وفي المدخل ترابيزة سفرة فرفورجيه خضراء لها سته كراسي، وأنتريه عجمي خشب تنجيده قلماً الوان الطيف السبعة في خطوط عريضة، وحمام واحد، ولكن كان هناك بانيو قدم ودش خارج سور الفيلا حتى يستطيع القادم من البحر والرمل استخدامه قبل الدخول للفيلا، والتي كانت تحرص إيفون على جعلها تشع من النظافةالدائمة، هكذا هي تعشق النظام والنظافة والتوضيب..

وكانوا كثيرًا وحتى لا تضيع دقيقة من المصيف ما يستحم الأولاد جميعهم في هذا الصنبور الخارجي، وترك الحمام بالداخل للآباء والأمهات.

كانت إيفون وأمال تتباريان في لبس المايوهات الملونة الحديثة الموديل لهذا العصر، وكذلك الشابوهات الخوص العريضة المطرزة بحزام ستان به وردة بلون الشابوه، وكانت آمال ترتدي الباروكات والتي كانت تحضرها لها أختها المتزوجة من سعودي وتعيش هناك، وتزور لندن وباريس كثيرًا، فتحضر كل سنة هدايا قيمة من هناك لأمال وأولادها، أهمها الباروكات بأنواعها وألوانها.

أما إيفون فكانت لا ترتدي أبدًا الباروكات؛ لأن الله قد وهبها شعرًا أسود ناعمًا كثيفًا، وكان من العجيب والغريب أن ترث مريم شعر إيفون بالضبط وليس شعر أمها الحقيقة..

وكان أهم ما يميز فيلا الفردوس كما كان يربطون اسمها باسم المنطقة هي التراس العريض في الواجهة والتراس الخلفي، التراس الأمامي به أربع سلالم على جانبيه رابطة الشارع به، والخلفي به أيضًا سلالم تنزل على حديقة صغيرة وسط مجموعة من الفلل تمتلأ بشجر التين..

ومنذ هذا العام شاهد هذا التراس الكثير والكثير من الأسرار..

ذهب أحمد وإبراهيم حيث أنهما كانا أقل من عمل في التنظيف والترتيب، وكانا طوال الطريق من مصر للإسكندرية يغطان في نوم عميق، ذهبا لتأجير العجل في ساعة ما قبل الغروب.

ودخل الأزواج كل لغرفته للنوم قليلاً من جراء إجهاد السفر وترتيب البيت..

ووجد كلا من مريم ومكرم وحدهما وجهًا لوجه منذ ذالك الليلة فوق السطح..

كانت مريم مستلقية على سور التراس الخارجي، ظهرها للحائط وفي يديها جهاز كاسيت صغير متصل بسماعات للأذن كانت أهدته إليها خالتها، تضع به إحدى الشرائط وتستعد لتشغيله، تحاول تجنب النظر لعين مكرم الخارج لتوه من التراس، ناظرًا إليها:

- بتسمعي إيه؟ سألها مكرم كأنه كان قد فرغ للتو من حديث طويل معها، وكأنه لم يمضي علي اخر حوار لهما أكثر من شهر كامل..

- شريط جديد، لعمرو دياب بس فيه أغاني حلوة أوي.

ردت مريم أيضًا كأنها لم تشعر بأن سنين طويلة وليس شهر لم تحدثه..

نظرت في عينيه وكأنها تحتضنه حضنًا أحست به ذات ليلة مقمرة وأدمنته على الفور، ونظر إليها يريد أن يقول كل كلام الحب الذي سمعه وقرأه من قبل، ولكنه لم يستطع..

قطع تلك المحادثة الدائرة بالعين، شهقة وفرح فريدة وفريد اللذين انشقت الأرض غصبًا في تلك اللحظة وأخرجتهما فجأة ليقفا أمامهما مرحبين بقدومهما وبعد السلام والترحاب، اتفقا الأربعة على الخروج مساءً للتمشية في الخارج على الشارع الرئيسي.

دخلت مريم للاستحمام وخرجت لحجرتها مترقبة أن يكون أحد بالصالة، هذه أول مرة تشعر مريم بأنوثتها التي تفجرت فجأة مصاحبة مشاعر وأحاسيس حب ولدت معها، ولكنها لم تكن تستوعبه حتى وقت قريب، مغطاة بفوطة الحمام فقط ، تدخل غرفتها وتختار فستانًا قصيرًا مزركشًا بألوان بهية، بحمالات رفيعة على الكتف، تفرد شعرها في حركة دائرية تاركة الماء ليبقى على طبيعته الناعمة بكسرة بسيطة، وتضع حذاء رياضي خفيف، نظرت إلى وجهها في المرآة، ولأول مره تشعر بجمالها وجمال عينيها، وشاهدت خصلات شعرها الملفوف تتسدل على جبينها فيزيدها جمالاً..

ابتعدت قليلا لترى جسدها كاملاً في هذا الفستان القصير، ولفت يمينًا ويسارًا حتى تتأكد من ظبطته عليها، ثم سرعان ما تذكرت مشهدًا في فيلم لسعاد حسني تقرص وجنتيها ليحمرا وتعض على شفتيها لينضب الدم فيهما، فعلت ذلك بشدة، وضحكت ضحكة مليئة بالإثارة كأنها هي بطله الفيلم..

كم زادها إحساسها بجمالها رونقًا وجاذبية ظهرت على وجه مكرم، عندما خرجت متظاهرة بأن شيئًا لم يكن جديدًا فيها هذه المرة، وهي خارجه لتتمشى مساءً مع أخواتها وأولاد الجيران..

- يلا بينا، فين فيري ؟؟ تعمدت أن تسأل على فريد دون فريدة، كأن جهاز فطرة الأنثى بداخلها قد عمل للتو بدون معرفتها السابقة بقراءه كتيب تشغيله..

نظر مكرم إليها نظرة لن تنساها ما حيت، متجاهلا مشاعره في هذه اللحظة، متحديًا إصرارها على التجاهل المقصود لنظرات عينيه..

- تعالي نخبط عليهم

قالها معطيًا لها ظهره غير مبدي إعجابه بملابسها أومظهرها الأنثوي الجديد عليهما.. اغتاظت قليلاً، ثم سرعان ما استجمعت قوتها وعزتها بنفسها وجمالها، ومشت بخطوات ثابته مرفوعة

الـرأس، كأنـه حارسـها الشـخصي والـذي يمشـي أمامهـا لحمايتهـا ليـس إلا.

خرجـت فريـدة وفريـد جاهزيـن للتمشـية، وفجـأة اخـرج فريـد صفـارة طويلـة مـن فمـه مبديـا اعجابـا صريحـا بفسـتان مـريم وجمـال شـعرها، الـذي يـراه لأول مـره منسـدلا بـدون ضفائـر أو فيونـكات..

شـعر مكـرم بغصـة في صـدره وبـدأت مشـاعر الغيـرة تسـري في أوصالـه، وتمنـى أن يلكـم فريـد في هـذه اللحظـة في وجهـه بيـد، وباليـد الأخـرى يشـد مـريم إلـى حضنـه ويقبلهـا علـى شـفتيها قبلـة تكشـف مكنـون عشـقه المكتـوم لها..

ولكنـه خارجيًـا تصـرف باللامبـالاة لمـا سـمعه مـن إعجـاب فريـد بمـريم، وأخـذه لهـا ليتقدمـا السـير جانبًـا لجنـب، وخلفهمـا سـار مكـرم وفريـدة.

لـم ينسـاق مكـرم لـردة الفعـل المعتـادة لهـذا الموقـف، وهـو إبـداء اهتمامـه بفريـدة وضربـه لمـريم تحـت الحـزام، ولتكـن مبـاره بينهـم، مـن منهـم سيكسـب وكيـف..

فقـد كان مكـرم أكبـر وأعقـل مـن هـذا، وهـذا مـا شـعرت بـه فريـدة في محاولاتهـا المراهقـة لجذبـه إليهـا، فجـو الصيـف والبحـر سيسـاعدان علـي تدفـق المشـاعر حتـى لـو كانـت مؤقتـة بميقـات المصيـف..

مرت الأيام العشر على هذا المنوال، فمريم جالسة مع فريد أغلب الوقت، يتبادلان شرائط الكاست ويسمعان سويًا أحدث الأغاني الأجنبية وكتابه كلامهما على ورق والاحتفاظ به، وركوب العجل والتمشيه مساءً..

ومكرم يتابعها من بعيد متجاهلاً اهتمام فريدة به..

غير أن في آخر ليلة لهم بالمصيف وكانوا يجلسون هم الاربعه الكبار للعب الكوتشينه بالتراس الخلفي، عندما ندهت والدة فريد وفريدة عليهما، فقاما من فورهما تاركين مريم ومكرم وحدهما، فسكن الكون فجأة وتوقفت حركه الرياح، نظرت الأعين إلى بعضهما البعض في لهفه و شوق يغلي في العروق كغلي حمم بركان مجنون، فتحركا في اتجاه بعضهما، كأنهم منومان مغناطيسيًا والتحما في حضن عميق فتح الأرض تحت قدميهما ليغوصا فيه تاركين الأرض وما عليها، يتزودان بانفاسهما المندمجه معًا، ويلتحفان بدفء قلبهما. ومن ذلك الحين شهد هذا التراس الكثير من مشاهد حبهما وكان حارس أسرارهما مشاركًا السطح البعيد في هذه المهمة.

كان هذا أول اختبار حقيقي لمريم في حياتها، فمشاعرها ما زالت مشتتة، حائرة، غير مستقرة، يعلو قلبها بدقات عشق وهيام وفرحة ورغبة، ويهبط بدقات حيرة وقلق وعدم اطمئنان لهذا الحب المستحيل.

obeikan.com

شتاء ١٩٨٣

كان موعد مريم مع تحدي جديد في حياتها، فقد عاشت أغلب طفولتها في أرجاء كنيسة البازيليك، وذهبت مرات عديدة مع إيفون أحيانًا ومع مكرم أحيانًا لإشعال شمعة للسيدة العذراء في الكنيسه المسماه باسمها في منطقه الزيتون في شرق القاهرة..

لم تنس قبل أول امتحان للثانوية العامة لمكرم أن طلب منها أن تأتي معه..

- أنا عاوز أروح أولع شمعة للعدار، أصلي لها وأدعيها تكون جنبي بكره، تيجي معايا؟؟

- أه طبعًا، إد إيه أنا بستريح لما بروح الكنيسة دي وأولع شمعة للعدار انا كمان.

هذا غير تعليمها في مدرسة الرهبات (الديليفرند) ورؤيتها لصور السيد المسيح وأمه وكثرة الصلبان على صدر مدرستها، وفي أغلب أماكن المدرسة..

يضاف على هذا أنها لم تر الكثير من مشاعر ديانتهاالأصليه بداخل منزلها، فأبوها كان كبعض المصريين في السبعينيات يوجد بار صغير في منزلهم، والأم لم تكن ترتدي الحجاب الذي بدأ في

الظهور مع بداية الانفتاح، وسفر الكثير من المصريين لدول الخليج ما حدث وتحديداً في بداية الفصل الثاني من العام الدراسي لمريم منتصف المرحلة الإعدادية، أن اضطرت المدرسة لتعيين مدرسة لغة عربية وتربية دينية إسلامية فرضت عليهم من قبل وزارة التربية والتعليم في هذا الوقت، والتي كانت تحاول فرض سيطرتها على المدارس التابعة للكنيسة المصرية.

عندما رأت مريم أبله وفاء كما فرضت على طلبتها نداءها بلقب أبله وليس (مدام) أو (مد مازل) كما هو المتبع للمدرسات غير الراهبات والتي كانوا ينادوهن بـ (سير)..

عندما رأتها مريم في أول حصة أحست أنها سوف يكون لها شأن مهم في حياتها..

فقد كانت مريم مهما مر عليها من مواقف وأحداث في الحياة وسط بيت مسيحي وكنائس ومدرسة راهبات، إنها على خلاف طبيعتها الفطرية التي ولدت عليها، فهي مسلمه لأب وأم مسلمين، ولا تعرف أي مظاهر لهذا الدين سوى شهر رمضان بزينته وتجمع الأسرة أحيانًا وحدها أو الأسرتين وقت المغرب للإفطار، أو الجلوس لمشاهدة فوازير نيلي هذا العام وترد أغنيه المقدمة والنهاية على أواخر الشهر.

وكذلك تشغيل الراديو لسماع المسلسلات الإذاعية الممتعة حينما كانت تقف في المطبخ لغسل الأطباق، كما بدأت آمال تعويدها على المساعدة في أعمال المنزل منذ عدة أعوام، هذا غير أنها لاحظت أن خالتها المقيمة بالسعودية والمتزوجة من سعودي قد بدأت في ارتداء رداء أسود طويل بطرحة تغطي نصف شعرها الخلفي، بالرغم من ذهابها إلى سهرات أماكن سمعت اسمها مرات عديده بشارع الهرم هي وزوجها ووالداها والذين كانوا يرفضون بكاءها المستميت للذهاب معهم، رغم أن أبله وفاء كانت هادئة متزنة واثقة في نفسها وعلمها، حيث أنها خريجة كلية البنات قسم اللغة العربية، ودارسة في مدارس أزهرية ووالدها صاحب عمود كما شرحت لطالبتها في أول فصل لها.

فإن امتعاضها وطريقة معاملتها لراهبات المدرسة كان يظهر على ملامحها غضب عنها، لم تفهم مريم هذا الامتعاض ولا ضيق وفاء من وجودها في مدرسة راهبات في هذا الوقت، غير أنها فهمته ووعته كثيرًا بعد ذلك بمدة ليست بالكبيرة، تزامن وجود وفاء في هذا الوقت مع مشاعر مريم المضطربة نفسيًّا وعاطفيًّا والخلل العقائدي الذي عاشته أثر عليها تأثيرًا سريعًا ومباشرًا،

فكأنها شعرت أنه قارب النجاة الوحيد الآن الذي أمامها، فقربت من وفاء كثيرًا وأشعرتها بعينيها التي تترجم مشاعرها

الداخلية بوضوح مدى احتياجها إليها، ولأن كل من يقرب من مريم يقع في حبها بسرعة، فقد أحبت وفاء مريم حبًا جمًا، وقالت لها ذات مرة إنها رسالة الله لها، فقد كانت حزينة لوجودها وسط هذا الكم من الصلبان والصور، ولا تعلم لماذا وضعها الله في هذا المكان الذي لا يهتم من بعيد أو قريب بمواد دراستها، كم تمنت أن تكون في إحدى المدارس الأزهرية وسط طلبة يفهمون ويهتمون بما تدرس لهم، إلا أن وجود مريم وضح لها حديث للرسول الكريم ذكرته مرة واحدة لمريم (فو الله أن يهدي بك الله... رجلاً واحدًا خير من حمر النعم) ولم تفهمه في حينها، كما كانت تحتاج مريم لوفاء، كانت وفاء تستشعر رسالة الله لها في مريم وتعطيها حق حملها.

كانت مريم ذكية سريعة الاستيعاب، فكانت تنهل من النهر المتدفق بسلاسة عذبة من علم وفاء وقراءة الكتب الدينية المبسطة والتي فهمت وفاء ضحل مريم في تعاليم دينها، فبدأت معها من أول السطر، بتأني شديد وبسعة صدر لأسئلة مريم الكثيرة،كأنها كانت تستشعر أن وجود وفاء في حياتها لن يطول، أحبت مريم طريقة وفاء الهادئة المتزنة، فقد كان يترامى إلى سمعها من آن لآخرأحيانًا في البيت وأحيانًا في محطتين المترو التي بدأت في استخدامه وحدها منذ هذا العام، سواء بداخله أو في فترة انتظاره صباحًا وعصرًا في الذهاب والإياب للمدرسة، من أحداث

بـدأت تظهـر في المجتمـع المصـري منـذ فتـرة طويلـة، ولكنهـا بـدأت تشـغل مـريم آنـذاك، حتـى عندمـا قتـل رئيـس الجمهوريـة أنـور السـادات منـذ عامـين في حـادث المنصـة الشـهير علـي يـد الإسـلاميين المتطرفـين، وحديـث الشـارع المصـري عـن فكـر سـيد قطـب والـذي أعـدم ١٩٦٧،أي قبـل ولادتهـا بثلاثـة أعـوام، ولا هـروب عمـر عبـد الرحمـن إلـى أمريـكا بعـد أن أصبـح مفتـي الإخـوان في العـام ١٩٨١ والـذي أبـاح سـرقة وقتـل المسـيحيين، وحـوادث أخـرى كثيـرة، لـم تكـن تلفـت نظرهـا أو تهتـم حتـى لفهمهـا..

وحتـى عندمـا بـدأت كأنهـا تتعـرف علـى دينهـا في هـذه المرحلـة العمريـة المتقدمـة، سـاق لهـا اللّه مـن هـي وسـطية الديـن لا بالمتشـددة ولا الجاهلـة، فقـد كانـت تسـقيها العلـم رويـدًا رويـدًا بلطـف وحـب وسـلاسـة، كما كان يفعل الرسـول مع أصحابه في بدايات نزول الوحي عليـه، ولفهـم وفـاء بعـد فتـرة بظـروف مـريم وطفولتهـا بـين أسـرة مسـيحية، أوضحـت لهـا محبـة الإسـلام والمسـلمين لأصحـاب الكتـب السـماوية الأخـرى، ممـا زاد اطمئنـان مـريم وشـعورها بالفـرح والرضـا آنـذاك، تناقشـت مـريم مـع وفـاء والتـي كانـت تركـب معهـا المتـرو في فتـرة الذهـاب، ولكنهـا كانـت تنـزل بعدهـا بعـده محطـات، غيـر أنهـا كانـت تجلـس معهـا في كل الأوقـات الممكنـة لهمـا داخـل المدرسـة، وبالرغـم مـن أن مـريم كانـت قـد حكـت لوفـاء الكثيـر عنهـا، فإنهـا لـم

تقو على الاعتراف أمامها بمشاعرها تجاه جارها المسيحي، بدأت آمال ومحمد في رؤية التحول الذي ظهر في منزلهما، فهذه ربما أول صلاة تتم في المنزل عندما باغتتهم ذات مرة وبعد سماع الآذان بأنها تتوضأ وتصلي، كم فرحوا بها وشجعوها، واستشعروا النور الذي بات ظاهرًا في أرجاء منزلهم، كما شجعتهم مريم على أداء صلاتهم هم الأربعة، الوالدان والأخوان، وقراءة القرآن الذي كان يفتح فقط في رمضان، وأحيانًا يوم الجمعة بعد مسح الشقة وإشعال البخور كعادة قديمة ليس إلا، أحبت أمال وجود مريم الشبه دائم في منزلها، بعد أن كانت تقضي أغلب الوقت عند إيفون، فبطبيعة الأم كانت أحيانًا ما تغير من تعلق ابنتها بسيدة غيرها، وكانت المفاجأة السعيدة لمريم بعد هذا التحول الأسري بسنتين،أن ذهب الأب والأم بمساعده الخالة وزوجها السعودية للذهاب لأداء فريضه الحج لهما، تاركين أولادهم الثلاثة في رعاية جيرانهم المسيحيين، ورغم أن المهندس محمد قد أزال البار بالكمودينو الذي يحوي زجاجات الخمر العتيقة، ورجوع آمال من الحج على رأسها غطاء قطني أبيض، وحفاظهم من ذلك الوقت على الصلاة وأصطحاب الولدين أسبوعيًا لصلاة الجمعة بمسجد ميدان الجامع الشهير، إلا أن علاقتهم بإيفون ومكرم والمقدس جرجس لم تتأثر البتة، بل على العكس ازدادت صلابة باستمرار السنين، ولم تتغير أي من سهراتهم وتجمعاتهم وسفرهم

إلى العجمي سنويّا،سواء بحجاب آمال وعدم تباريها في شراء المايوهات والشابوهات مع إيفون كالمعتاد، وكذلك قلة الوقت الذي كانت تقضيه مريم مع إيفون أو استمرارها في الذهاب لدروس الموسيقى والرسم أو الذهاب معها إلى الكنيسة لإشعال الشمع للسيدة العذراء، ولكنها حافظت على التواجد اليومي في بيت إيفون للحديث قليلا أو لدراسة المواد المدرسية بالفرنسية والتي بالطبع كانت تساعدها فيهاإيفون بشكل مستمر..

ولم تتحدث إيفون لمريم في هذا التغير ولا صلاتها التي كانت تستأذن إيفون في الذهاب لبيتها لأدائها مع أمها حين يحين معادها، وأرجعت سبب مكوثها في منزلها أو عدم كثرة الخروج معاها مساء للتمشية، وشراء مستلزمات البيتين أسبوعيًّا من محلات الميدان الشهيرة، بأن مريم قد كبرت وأصبح لديها الكثير من المهام التي بدأت في الاعتماد على نفسها فيها، فقد كانت مريم لديها الكثير من صديقات المدرسة وبعض الجيران في الفلل والعمارات المحيطة، وبعض الأصدقاء في نادي هليوبوليس العريق من الجنسين، وكانت كل شلة على حدة يجتمعان، فصديقات المدرسة كن أحيانًا ما يمشين بعد المدرسة للذهاب لشراء أيس كريم ماجك الشهير، والذي يرتبط لمريم بذكريات طفولية لا تنسى، وأحيانًا يذهبن إلى محل ويمبي الشهير بشارع السباق بالمريلاند، فيتشاركن في

هذا الاختراع العجيب اللذيذ المسمى (البنانابوت) وهو عبارة عن موز على شكل قارب يحيط به أيس كريم من كل جانب وبعض صوص الشوكولاتة اللذيذ، أما صديقاتها من الجيران، والتي كان بعضهن معها بالمدرسة أو بمدارس حكومية عاديه وبمستوى مادي وثقافي أقل، كن يجتمعن أحيانًا للجلوس بداخل سورفيلا مريم، أو بالجلوس أمام بوابة إحدى العمارات بالشارع، وأصدقاء النادي كانت تلتقي بهم عندما تذهب مع أخويها عندما يذهبان لأداء تمريناتهم الرياضية الأسبوعية..

أو عندما تقرر آمال وإيفون المكوث في النادي صباحًا في الشتاء أو صيفًا في المساء..

كان لتلك الجلسات لأصدقاء مريم المختلفين وأحاديثهم وثقافاتهم المختلفة أثر في تكوين جزء مهم من شخصيتها، غير أن حدثًا مهمًّا حدث في آخر العام الدراسي وقبل انتهاء مريم من المرحلة الإعدادية في العام ١٩٨٤، وبعد أن قضت مريم مع وفاء أكثر من عام ونصف تقريبًا، فهمت وعلمت فيه كل ما كان ينبغي تعلمه منذ أن وعت على الدنيا، ولكن النتيجه أنها في نهاية المطاف قد علمت وهو المهم، حدث أن كانت مدرسة العلوم (مدام ماري) تشرح للبنات في هذا النهار الجهاز التناسلي للمرأة والرجل، ومفهوم العلاقة الجنسية بطريقه علمية بحتة، كما هو

مقرر في المنهج، غير أن المعلمة قالت معلومة خارج المنهج حدث على آثارها نتائج سيئة لمريم.

استرسلت المعلمة في الشرح وقالت فجأة إن من تعاليم المسيحية عدم وجود إنجيل في حجرة النوم للزوجين عند ممارستهم العلاقة الحميمة احترامًا وتقديسًا لكتاب الله، عكس المسلمين الذين يضعون المصحف فوق السرير!!!

قالت المدرسة والواضح أنها لم تكن تعي ما أهمية هذه المعلومة غير المبررة وغير الموجودة بالمنهج، أثارت هذه المعلومة الكثير بداخل مريم بخلاف درس العلوم نفسه، والتي ذكرته في نفسها فيما بعد هذا اليوم، وما تلاه من أحداث مؤسفة، فصادف أن كانت الفسحة المدرسية بعد حصة العلوم هذه، ولما كانت تلك المعلومة مازالت ترن في آذان مريم، ذهبت للتو إلى أبله وفاء تحكي لها ما سمعت، فما كان من وفاء إلا أنها استشاطت غضبًا وقامت من فورها للذهاب لمديره المدرسه، هكذا عرفت مريم بعد عدة أيام عندما سألت على غياب أبله وفاء كل هذه المدة، فعرفت أنها قد تركت المدرسة على أثر نقاش حاد احتدت فيه بشده علي المديره وقدمت استقالتها من فورها.

obeikan.com

الرسالة

في عصر هذا اليوم وعلى محطه المترو، وجدت مريم أبله وفاء واقفة منتظراها، وأخذتها في حضنها،

- وحشتيني جدًّا يا مريومة،،

- وحضرتك كمان، إيه اللي حصل، هو أنا السبب في إن حضرتك سبتي المدرسة؟

- بصي يا مريم، إنتي كنتي السبب في إني أفضل في المدرسة طول الفتره دي، وأكيد الموقف اللي حصل من مدرسة العلوم وأنا عرفته منك مكنش ينفع أسكت عليه، بس أكيد دا كان برضه رسالة ليا من ربنا إن أنا كده خلصت مهمتي معاكي، وإني مش حأقدر أقعد أكتر من كده، عاوزه بس أقولك كلمتين مهمين تخليهم حلقة في ودنك وتفتكريني بيهم دايمًا طول عمرك، أول حاجة بالنسبة للمعلومة اللي قالتها مدرسة العلوم دي، الله يسامحها بقى، بصي يا مريم، العلاقة اللي بين أي زوجين دي علاقة طاهرة ربنا محللها لهم، هي أصل الكون وسبب وجودنا في الدنيا، علشان هي السبب في وجود الأولاد ودوران الدنيا جيل وراء جيل، التناسل والتكاثر من أسباب تعميرنا للأرض واللي البشرية كلها قامت عليه، فليه نعتبرها

obeikan.com

حاجه مشينة ميصحش تحصل وفي كتاب مقدس جنبها، يمكن الأخوة الأقباط ليهم أسبابهم أو عاداتهم أو يمكن دينهم فعلا بيقول كده أنا معرفش، أو يمكن دا يكون رأي مدرسة العلوم لوحدها، أو تربيتها أو عاداتهم بتقول كده، بس الأكيد إن إحنا ديننا مأمرناش بأننا نخجل من العلاقة دي أو نعتبرها حاجة نجسة، فهمتي؟؟

كانت مريم تجلس على الكنبة الخشبية المظللة في محطه الترام خلف مدرستها، تنظر إلى أبله وفاء نظرة التلميذ النجيب المستجمع كل قدراته الذهنية لفهم الدرس من أول مرة وإبهار مدرسه بسرعة بديهته، هزت مريم رأسها بالموافقة وبأنها قد اقتنعت أيضًا بكلامها، وفتحت فمها لتجاوب، ولكن من انفعال وفاء لم تترك لها فرصة فعقبت على كلامها بسرعة مكملة:

- تاني حاجة عاوزة أقولها لك،

إحنا دينا دين أخلاق ومعاملة، حسني خلقك ترضي ربك، في كل معاملاتك، خليكي دايمًا شايفة ربنا في كل تصرف وكل كلمة بتقوليها، وحافظي على صلاتك تحت أي مسمى وتحت أي ظرف، إوعي تفوتي صلاة إوعي...

مداومتك علىالصلاة هي اللي حتحميكي وتحافظ عليكي وترجعك لو الدنيا خدتك من وقت للتاني، إحنا مش ملايكة يا مريم، إحنا في اختبار، بنذاكر وبنعمل اللي علينا، ممكن مرات الدرس يكون صعب ونسقط، بس لازم نرجع نذاكر تاني ونحاول مرة واتنين وعشرة، حتى المحاولات دي حنأخذ عليها ثواب كبير، دا في حد ذاته جهاد للنفس، ولما نغلط وإحنا عارفين إن لينا رب من أسمائه وصفاته الغفور الرحيم العفو، حنرجع بسرعة ونستغفر ونتوب نحاول ونحاول، هي دي الدنيا يا مريم، افتكري كويس أوي إننا كلنا، كل البشرية بدأت بنفخة من الرحمن عز وجل، يعني كل بني آدم فيه من صفات الله كلها، بس للأسف في عوامل كتير أوي بتأثر علينا، من كل اتجاه بتغير في شخصية ودرجةإيمانا من واحد للتاني، لكن كل واحد مخلوق في الدنيا دي لسبب واحد معين، هو اللي حيبدع فيه ويعمل بيه لتعمير الكون، كل واحد موجود ليه سبب لازم يدور عليه ويكتشفه لأنه ليه لوحده، زي بصمة الصباع مش بتتكرر، ليه لوحده، وكم من بشر عاشواوماتوا ومعرفوش إيه هي موهبتهم اللي حيبدعوا فيها ووجدوا في الكون بسببها.

اوعي تعيشي في الدنيا دي من غير هدف، واعرفي إن كل مرحلة عمرية هتحسي أنك لقيتي نفسك وعرفتي موهبتك، لو لقيتي نفسك بتحبي عمل وبتبدعي فيه، تبقى دي فعلا موهبتك

ودا اللي ربنا عاوزك تعمري بيه الأرض، جربي وجربي ومتيأسيش، واعرفي إن المؤمن القوي، هه المؤمن القوي، ماقلش راجل ولا ست، قال المؤمن القوي أفضل عند الله من المؤمن الضعيف، خليكي قوية بالحق، ليس عليكي سلطان إلا ما أمرك الله به، متخليش مخلوق في الدنيا زيه زيك يؤذيكي أو يستعلى عليكي، أو يحسسك إكمنك امرأة فأنت منقوصة أو معيوبة، يمكن كلام كتير متفهميهوش دلوقت يا مريم، لكن بكره هتفتكريه كلمة كلمة، آخر حاجة عاوزة أقولها لك، حبي،،،،، فتحت مريم عينيها بشدة فقد باغتتها الكلمة، أكملت وفاء بدون الالتفاف لدهشة مريم:

حبي، أملى قلبك بالحب، حبي بس ومتنتظريش أي مقابل، خلي الحب مبدأك وطريقك، هتلاقي ربنا نورلك بصيرتك ويسر لك كل شيء..

ومعنى إنك تحبي يعني قلبك يتملي كله بالحب، واللي قلبه مليان بالحب لكل الناس، لكل الحيوانات، لكل الحياة باللي فيها، عمر قلبه ما يكون فيه ذرة لغل أو حقد أو كره أو حسد، كان الانفعال قد سيطر على وفاء وكأنها تلقي الخطاب الأخير قبل الوفاة، أو كأن رسالتها في الأرض قد أورثتها لمريم لتذهب بعد ذلك لترتاح، وقصت عليها قصه الاعرابي الذي حدث الرسول لاصحابه عنه انه من اهل الجنه رغم ان كل عمله لا يخرج عن

اتمامه الفرائض فقط ولكن عندما يضع راسه علي وسادته لا يحمل ذره من غل او حقد او حسد لاحد من كان، ظلت آخر كلمات وفاء لمريم تتردد في أذنيها حتى وصلت إلى البيت، لا يكلف اللّٰه نفسًا إلا وسعها، من أتى اللّٰه بقلب سليم، قلب سليم

إن اللّٰه غفور رحيم

●●●

obeikan.com

obeikan.com

ثلاث سنوات

غير أن قصة حبها في الثلاث سنوات الماضية، انتابتها بعض المشاكل والتي كانت سببًا رئيسًا لإرثاء قواعد علاقتهم، وأولى هذه المشاكل ظهرت في نفس يوم عيد ميلاد مريم الخامس عشر، عندما دعت مريم بعض من صديقاتها وأصدقائها الأولاد من النادي، لم تكن هذه هي المشكلة فقط ولكن عندما خرجت مريم إلى الطرقة الفاصلة بين الشقتين، وكان مكرم منهمكًا في تعليق بعض أفرع الزينة والبالونات بين البابين،

فقد كانت مريم ترتدي فستانًا أحمر ستان قصير جدًّا وحذاء أحمر ستان أيضًا ذو كعب احمر، وترفع شعرها بالكامل لأعلى في تسريحة صنعها لها ميشيل الكوافير الشهير بميدان روكسي آنذاك، مما أظهر مساحة الرقبة بالأكتاف بوضوح تام، كأنها لوحه بيضاء تنتظر فنانًا عبقريًا ليبدع عليها أجمل اللوحات، وتضع مكياجًا يظهرها أكبر من سنها بكثير،شكلها بالكامل كان يوحي بشكل فتاة ليل استعدت لتوها للنزول لملهى ليلي لاصطياد زبائنها، هكذا قال لها مكرم في انفعال واضح،

- دا أنا كنت فاكراك حتتبسط، أنا عاملة كل دا علشانك

- ادخلي دلوقت حالاً شيلي الهباب اللي على وشك دا، وغيري اللبس دا كله، وفكي شعرك.

نظرت إليه مريم والصدمة واضحة على ملامحها.. الصعيدي اللي جواك حيطلع دلوقت..!

قالتها بتأفف وبأستهزاء واضح مريم

- أه الصعيدي اللي جوايا حيطلع، وإذا كان عجبك

استفزتها الكلمة الأخيرة..

- وأنا مش حاغير ولا حاشيل مكياجي ولا حاغير تسريحتي، إنت عارف أنا دافعة كام عند ميشيل الكوافير؟

- ولا قعدت أد إيه؟

قالتها بدلع كأنها تستميله للرجوع في قراراته المتعسفة من وجهة نظرها، أو كأنما كانت تريد أن تنسيه تمردها ورفضها لهذه القرارات..

- ماليش دعوة دافعة كام، واتفضلي اعملي اللي قلت لك عليه

- لا

قالتها بتحدي واضح، وعين قوية، ونظرة عند توارثتها من أمها الحقيقية آمال، والتي كانت دائمًا ما تعترض هي نفسها على طريقتها ومعاملتها لوالدها المهندس محمد طيب القلب، والذي كان يحب آمال حبًّا جمًّا، تنازل ورضخ كثيرًا في محاولات إرضائها عند تمسكها برأيها وعنادها المستفز أحيانًا..

تـرك مكـرم الزينـة مـن يديـه لتهـوى علـى الأرض، نظـر بغضـب لمـريم، وقـال قـولاً واحـدًا ثـم تركهـا ومضـى:

- لـو جيـت بعـد نـص سـاعة لقيتـك زي مـا إنتـي، مـش حيحصـل كويس، وحادخل أدام أصحابك الأولاد اللي فرحانة بيهم دول أجيبـك مـن شـعرك أدامهـم..

متنسيش، أنا أخوكي الكبير، ومن حقي أربيكي.

وقفـت مـريم والدمـوع تتـلألأ في عينهـا مـا بـين رافضة النـزول مـن العنـد، وتنهمـر كمـاء المطـر.

دخلـت مـريم إلـى حجرتهـا منفعلـة شـديدة العصبيـة، تحـدث نفسـها، مـا بـين رفضهـا لأسـلوبه وتحكمـه فيهـا، ومـا بـين محاولـة إرضائـه لحبهـا الشـديد لـه..

بـدأت حفلـة عيـد الميـلاد، وتوالى حضور الأصدقـاء والصديقات محملـين بالهدايـا القيمـة، وكانـوا يتمـا يلـون علـى أنغـام شـريط حميـد الشـاعري الجديـد آنـذاك ورقصـواعلـى أغانيـه، وكانـت آمـال وإيفـون يرصـان الاطبـاق الورقيـة والشـوك البلاسـتيكية بجانب أطبـاق البيتزا المصنعـة بالمنـزل، وكعكـة الشـوكولاتة التـي وضعوهـا في المنتصـف، وزجاجـات السـبورت كـولا والسـفن أب محاطـة بهـم.

وكالعادة يترك المهندس محمد والمقدس جرجس مثل هذه الحفلات واستغلال الفرصة في انشغال أمال وإيفون، ويذهبان سويًا إلى وسط البلد للجلوس في قهوة (الجريون) الشهيرة.

والتي لا يتسنى لهم الوقت لارتيادها باستمرار.

دخل مكرم الحفل ووقع نظره على مريم، فوجدها قد فكت شعرها وأسدلته، وأخفت المكياج كثيرًا، ونزعت الحلي كبير الحجم، والحذاء العالي الكعب، ولكن ظلت بالفستان القصير، عاري الصدر نظرت إليه مريم نظرة عتاب خفيف، ولكن سرعان ما اندمجت مع الأصدقاء، وأكملت حفلتها على خير..

بعد أن أطفأت الأنوار، دخل الجميع للنوم، إلا مريم ومكرم، والتي مال عليها مكرم اثناء الحفل وطلب منها ملاقاته فوق السطح بعد أن يخلد الجميع للنوم، صعدت مريم بعد ما اطمأنت أن الجميع نائمون، لتجد مكرم قد جلس على الكنبة الخشبية المتهالكة، والتي صنع لها منذ فترة ليس بطويلة مرتبة قطنية حديثة لتجعل جلساتهم عليها أريح، كانت مريم ترتدي بيجاما قطنية ثقيلة، وترتدي فوقها جاكت خفيف، وقفت أمام مكرم تهز رجليها وتربع يدها فوق بعض..

وكان مكرم جالسًا ناظرًا في اتجاه القمر الذي لم يكن بدرًا في هذه الليلة، وكان يدخن..

- ممكن اعرف بقي ليه عملت كده ؟ انت عارف انا..... مش بحب حد يزعقلي، ولا يأمرني..

قالتها مريم وهي مازالت تهز رجليها بتوتر واضح.

نظر إليها مكرم نظرة تنم عن مدى زعله منها وعليها في نفس الوقت..

- إنتي عندك شك في إني بحبك؟؟

عندك شك إني خايف عليكي؟

إنتي حبيبتي ولازم أغير عليكي، وأقولك على اللي ينفع واللي ما ينفعش، أنا شايف أكتر منك..

وبعدين اوعي تفتكري إنك كده ضحكت علي وانك تعملي حاجة وحاجة لا، أنا كده حاتبسط يعني؟؟

- وإنت كمان..... قبل ان تكمل مريم الجملة المنفعلة والتي بدأتها، أخذها مكرم بشدة من ذراعها المعقود بيديها فسقطت مباشره في حضنه، ووضع يديه على فمها حتى لا تكمل كلامها، وأمسك برأسها ودسها في حضنه وأخذ يمسح بيديها على شعرها في حنان بالغ، هدأت مريم تمامًا، ولفت يدها حول حضنه.

- اوعى تزعقلي كده تاني؟

- وإنتي إوعي تزعليني تاني؟

أنا بحبك يا مريم، بحبك، من أول لحظة شفتك فيها، إنتي حب عمري كله..

ثم مال على شعرها وطبع قبلة طويلة وأغمض عينيه، فشعر أنه قد امتلك العالم بامتلاكه هذا القلب، ثم أخرج لها صندوقًا ملفوفًا بغلاف أحمر فتحته فوجدت به زجاجة عطر من ماركه شانيل (n5)، ثم قال وهو مازال يحتضنها:

- أنا مش عاوزك تغيري البرفان دا طول حياتك، دا برفاني أنا، فاهمة؟

وفي لحظه غاص الاثنان في قبلة طويلة عميقة، كانا قد قالا فيها كل كلام الحب الذي يمكن أن يقال..

وفي خلال هذه الفترة أيضا تطور الحب بينهما تطورًا كبيرًا، فكانا ينهيان أي من أشغالاهما اليومية ودروسهما، حتى يتقابلا يوميًّا فوق السطح، أو يخرجان لبعض الأماكن العامة، وأحيانًا يلتقيان في المنزل سواء هنا أو هناك.

أذابها مكرم بكلمات حبه وحنانه لها، وأذاقته هي عسل ريقها في كل قبلة طويلة بينهما، كانت طوال هذه السنوات الثلاثة تخفي قصة حبها إلا عن صديقاتها المقربتان لها ، نفين وأسماء، واللاتي

obeikan.com

كن يذكرنها دومًا باستحالة تكملة هذه القصة، ورغم أنها لم تكن تظهر لهن أي اهتمام بما يقلن، فإنها كثيرًا ما فكرت بينها وبين نفسها..

- طب وبعدين؟؟

ولكن لأن الحب بينهما كان مشتعلا في هذه الفترة، لم تقو مريم على طرح هذا السؤال على مكرم في أي يوم، وكذلك هو،

وفي عمر السابع عشر كانت مريم في أوج تألقها وجمالها، كانت الحيوية تشع من عينيها، روحها مرحة، لها ضحكة مميزة عالية، كثيرًا ما لفت نظرها مكرم لخفضها على رغم عشقه لها،

- بموت في ضحكتك، اضحكي دايمًا يا حبيبتي ليا أنا بالصوت دا..بس خلي بالك أدام الناس خفي شوية، كذلك تطورت لقاءات مريم ومكرم السرية، لم تكن فقط فوق السطح، وإنما تطورت لتصبح في إحدى الشقتين بعد أن يضمنا أن الأهل غير موجودين، وكذلك تطورت القبلات بينهم، فلم تعد قبلات فقط، وإنما تخطت هذه المرحلة بكثير..

فبدأت عندما دخلت مريم لتوقظ مكرم كما طلب منها، وكان أبواه في عملهما، فتحت مريم الباب بالمفتاح الذي لديهما دائماً ووقفت على حجرة مكرم تخبط عليه لتوقظه.

كانت مريم ترتدي فستانًا طويلا بحمالات رفيعة، وكانت خارجة للتو من حمامها الصباحي وشعرها الأسود الطويل مبلل، وقد وضعت من عطرها الثابت شانيل (no) كما اعتادت، لم يرد مكرم على ندائها، فاضطرت أن تفتح عليه حجرته لتجده مستغرقًا في نوم عميق مرتديًا شورت فقط، وبحس أنثوي غريزي قربت منه لتطبع قبلة على خده، ليفاجئها بجذبه لها كاملة فوقه، ثم يطرحها على السرير بجواره ويمطرها بقبلات سريعة على كل وجهها، وهي تضحك من هول المفاجأة وتحاول أن تهرب من بين يديه ممسكة بوسادة لتلقيها عليه، ظلا هكذا يلعبان، حتى هدآ فجأة في نفس اللحظة، كأن السلام الجمهوري للبلد قد عزف فسكن الجميع احترامًا له، شعرا معًا أن شيئًا ما بداخلها بدأ في الصراخ، وأنه لن يهدأ إلا بالاقتراب، كانا يجلسان في مواجهة بعضهما البعض، فأطبقا شفتيهما في قبلة أخذت الأنفاس والعقول، شعرت مريم بجسدها كله قد أصابه التميل، وبالرغم من أنها لم تذق المخدرات حتى هذا الوقت، فإنها قد شعرت بمفعوله كاملاً يسري في عروقها، وأنها بالرغم من أن عقلها قد حاول تنبيهها للخطر القادم للتو لا محالة فإنها أطلقت رصاصة أخرسته في ثانية، وبعدما أخذ يقبلها من رأسها إلى قدميها، وكان قد وصلا إلى درجة لم يعد يستطيع منع نفسه عنها، فقد كان يرغبها بشدة، إلا أنه في التفاتة رأى صورة السيدة العذراء تحمل السيد المسيح في المهد معلقه أمامه على الحائط فأفاقته وانتفض متمتمًا:

- أنا آسف يا مريم، أوعدك إنى لازم أحافظ عليكي أكتر من نفسي..

ولكن لم ينته المشهد عند هذا الحد فقد تعلم الاثنان الاستمتاع بلحظاتهما الخاصة، ولكن إلى حد معين.

حد يحافظ على مريم، ولا يجعلها تندم على حبها لمكرم في يوم من الأيام..

●●●

obeikan.com

#قصص الحب.

هل يكون الحب أحيانًا مستحيل..؟؟

هل تتحطم الأحلام دائمًا على صخرة الواقع..؟؟

الحب الذي خُلِق حرًا طليقًا.. غير مقيد بقوانين أو عادات أو تقاليد.. الحب الذي يعلو فوق اختلاف الأديان والهويات والأساطير.

هل هو حب إيزيس لأوزوريس؟؟.

هل بكت عليه فصنعت أنهار دمعها النيل..؟؟

هل لملمت أشلاءه الاثنتي والأربعين.. وأحيته بقبلةٍ منها من جديد..؟؟

هل هو حب قيس لليلى...؟؟

وهيامه في الأحراش ما بين النجد والشام وآخر بلاد المسلمين.. حزنًا عليها.. وكتب فيها شعر عاش آلاف السنين.

هل هو حب أنطونيو لكليوباترا...؟؟

الذي فشل في الأرض.. فاتحَدا على اللقاء أرواحًا في مكان سري بعيد.. تاركين أجسادهما لمن حاربوا حبهما.. ظانين أنهما منتصران..

هل هو حب عنترة لعبلة...؟؟؟

obeikan.com

ومنعه سواد وجهه من تحقيق حلمه.. وتوغله في الأحراش والأدغال ليظفر بالمستحيل ويحصل على ألف رأس من بعير الملك البعيد.. ورغم ذلك يُلقى في بئرٍ سحيق.. ميتًا، لرؤيته زفافها على إحدى فرسان القبيل..

هل هو حب روميو لجولييت...؟؟

وتخطيهم صراع عائلي مقيت. أحال حبهم إلى المقابر بعد أن كانوا رمزًا للورود والزهور..

ليس الحب مستحيلًا..

فالحب قائم منذ خلق الكون.. وسيكون. ولكن هي صراعات وحروب.. قتل ودمار وخراب بيوت.. متعللون بالأصول والتقاليد.. متمسكون بالألوان والأشكال.

والمواريث..متخفّون خلف الواعظ والكاهن والقسيس..متخذون الذهب والبعير ثمنًا مقبول..متخيلون أنه فقط شهوة جسدية لن تطول..والحب أبعد ما يكون.. الحب نقي بريء.

باقٍ وهم جميعهم ذاهبون.

●●●

obeikan.com

صيف ١٩٨٨

كانت مريم في آخر سنة لها في الثانوية الفرنسية، وكذلك كان مكرم في آخر عام دراسي له بالجامعة، محافظين على سرهم كل هذه المدة، ولم يلاحظ أي من الأسرتين أو لم يكن يتخيلوا ما يدور في أرجاء منزلهما، كانت مريم تزداد جمالا عامًا بعد عام، وتزداد علمًا وثقافة، فكانت دائمًا من المتفوقين دراسيًا وبدون مجهود يذكر أو أي من الدروس الخصوصية والتي انتشرت في هذه الفترة في مصر، إلا من بعض المتابعة التي كانت تحرص إيفون عليها من آن لآخر وخصوصًا أيام الامتحانات النهائية، وكذلك حافظت مريم على هوايتها الوحيدة في ذلك الوقت، وهي الرسم، وكانت كثيرًا ما ترسم صورًا لا يفهما سواها هي ومكرم، وقد عرضت عليها إحدى أمهات صديقاتها أن ترسل رسوماتها إلى إحدى المعارض الشهيرة بمنطقه الزمالك، فمن الممكن أن يديروا لها معرضًا باسمها، ولكنها رفضت الفكرة من بدايتها، فلم تكن الشهرة ولا كسب المال هما ما ترسم من أجلهما، فهي كما كانت تقول دائمًا:

- روحي اللي بترسم، بتعرب عني، وبتقول اللي مقدرش أقوله، رسمت مريم كثيرًا، وأخفت رسوماتها والتي كان بها شيء

من التعبير الحر عن أعين كل الناس، ماعدا مكرم، والذي بات كأنه هي وكأنها هو، وكذلك كان مكرم، فهو في نهاية دراسته الجامعية، ولكنه كان مستقلاً منذ فترة طويلة، فعمله في تجارة والده منذ الصغر فتح له أبواب المعرفة بتجارة هذا السوق وأصحابه، فنجح فيه كثيرًا، وضاعف من حجمها وأرباحها حتى اعتمد عليه أبوه كليًا وترك له إدارتها بالكامل، خصوصًا منذ بدء رحلة مرضه بالقلب والذي أمره الطبيب بعدم التعرض لأي انفعالات أو أزمات، وهذا ما كان يقابله بشدة في عمله، فأسند إدارة العمل كليًا لمكرم، وكان هو جدير بهذا المنصب،كثيرًا ما سمعت مريم الفتيات يتحدثن عن مكرم أمامها، بأنه فتي أحلام الكثيرات منهن، وكانوا يخطبن ود مريم للتوسط لديها عنده، حيث أنه جارها وأخوها غير الشقيق كما كن يقولن، ولأن مكرم كان أكبر من سنه بكثير بحكم عمله، فلم تخلُ علاقاته أيضًا من بعض الانفتاح..

سارت الأمور بينهما على ما يرام طول الثلاث سنوات الماضية، وكانت ليلة أول امتحانات الثانوية العامة عندما سألت مريم مكرم أن يذهب معها إلى كنيسة العذراء بالزيتون لتضيء شمعة كما كانت تفعل دائمًا في أحلك الأيام، عندما دخلت مريم الكنيسة هذه المرة شعرت بمشاعر متضاربة، فكم أحبت مريم دومًا هذاالدفء والراحة المنبعث من داخل الكنائس عمومًا، وهذا

الحب والارتباط النفسي لها في هذه الكنيسة بالذات، طلبت مريم من مكرم بعد أن أشعلت دستة كاملة من الشمع تحت تمثال السيدة العذراء، أن يتركها قليلاً لتجلس في أحد الأركان الهادئة الأنوار، أغمضت مريم عينيها وكأنها رأت السيدة مريم أمامها، بجمالها وهدوئها وابتسامتها السمحة، و شعرت ان هناك نور يخرج من وجهها، و يصل ذلك النور إلى مريم ليغلفها من رأسها لقدمها، وشعرت وكأن السيدة مريم قد وضعت يدها على رأسها، كانت مريم تعلم قصه تجلي العذراء مريم في مناظر روحية ونورانية علي قباب هذه الكنيسه في ربيع ١٩٦٨.

وتعلم في قلبها أن السيدة العذراء قد تجلت لها الليلة وحدها.

كم أحبتها مريم، واستشعرت الدفء والطمأنينة من مجرد النظر إلى صورتها، وكم أحبت قصتها بل وحفظتها كاملة من القرآن الكريم، وقراءة كل الآيات التي تحكي قصة مريم والمسيح في كلا من الدين الإسلامي والمسيحي بكل طوائفه، ولم تجد اختلافات كثيرة بين الاثنين، أو لم تحب أن تفكر أن هناك اختلافات من الأساس.

●●●

obeikan.com

مرحله الجامعة لمريم

نجحت مريم نجاحًا باهرًا في الثانوية العامة قسم أدبي، وكانت يوم إعلان النتيجة واقفة في حوش المدرسة بجوارها مكرم وإيفون، بينما المهندس محمد وآمال كانا مرابطين بجوار المذياع ينتظران النتيجة، والتي كانت تذاع بأرقام الجلوس وأسماء المدراس، وعندما نطق اسم مريم محمد كمال،ناجحة بمجموع ٩٢٪، انطلقت الزغاريد في الفيلا الصغيرة القاطنة في الحي الهادي، كما احتضنت إيفون مريم بكل قوتها باكية من الفرح، وهي ترى زهرة عمرها وابنتها التي لم تتزج سواها من الدنيا، فرحة بتخرجها، بينما كان مكرم ممسكًا بيدها ضاغطًا عليها كأنما يقول لها كل الكلام غير المتاح، عندما وصلوا إلى البيت وجدو آمال وقد غرفت كاسات من الشربات ووقفت أمام باب الفيلا تسقي المارة وبعض الجيران في العمارات المحيطة والذين نزلوا لتهنئتها، وبعد أن دخل الجميع إلى شقه آمال والمهندس محمد ليتناقشوا في أي جامعة ستذهب مريم، لم يجدو أي من مريم ومكرم، وعذروا أنهم ربما وقفو ليسلمواعلى بعض الأصحاب، أو ذهبوا للاطمئنان على باقي زملاء مريم، ولكن لم يكن أي من هذا ما حدث، فقد تسلل الحبيبان إلى مخبئهما السري فوق السطح ليهنئ مكرم مريم على نجاحها الباهر بطريقته، كم أحبت مريم هذا الحضن وهذه

القبلات الساحرة، كم ذهبت بها إلى أماكن خلابة لم ترها سوى في لوحات أعظم الفنانين، وكم استشعرت كل ما قيل في الحب على لسان أعظم الشعراء والأدباء، نعم كانت قصة حبهما تفوق كل قصص الحب التي قرأتها وحركت مشاعرها، لم تهتز لموت كليوباترا لفراق أنطونيو بل شعرت أنها كانت يجب أن تقاوم فقط لتعيش على ذكره، أو أن قيس كان يجب أن يخطف ليلى ويتزوجها بعيدًا عن تعسف قبيلتها، وإن كان من الممكن لروميو وجولييت أن ينجحا في تخطي كل العقبات التي واجهتهم ويقفوا لعائلاتهم بالمرصاد، فالحب يجب أن يكون كحب إيزيس لأوزوريس، لم تيأس ولملمت أشلاءه من البلاد، وحملت منه، وتخطت كل الصعاب لتنجيه من أخيه وغدره، بل وصنعت دموعها نهر النيل ليرتوي منه كل المحبين، حتى وإن كانت للأسف أسطورة غير حقيقية، الحب لديهم ليس به مستحيل، هكذا اتفقوا، وهكذا عاشوا أجمل سنين مر كل هذا في عقل مريم وشفتها بين شفتيه، وجسدها كامل في حضنه، نظر إليها في حب وعشق لا محدود قائلاً:

- مبروك يا حبيبه قلبي، أخيرًا شفتك لما كبرتي وخلصتي المدرسة؟؟

- حياتي، ربنا يخليك ليا، أنا فرحانة أوي ردت عليه مريم وهي تلقي برأسها على كتفه، فيباغتها ويحملها من وسطها ليدور

بها، فتشعر وجسدها طائر في الهواء أنها قد سافرت إلى أرض غير هذه الأرض، ويغلفها سماء غير السماء، فترى الشمس والقمر مجتمعين يرقصان فرحًا ويدوران حولها راقصين معاها، وترى بحارًا قد هاج موجها فتتاثرت مياهها مطرًا غزيرًا عليها، حتى أنها رأت أسماكًا ملونة تطير بجناحات حولهما، كاد قلبها يتوقف من فرحتها بحب مكرم لها أكثر من نجاحها، نعم. إنها تحبه ويحبها حبًّا لم يكتب في أي من كتب الأساطير بعد، ولكن...

هي دائمًا ولكن...هذه التي تأتي دائمًا بغير استئذان، فتنقض على كل حب وفرح وأمل انقضاض طائر الموت المكلف بقبض الأرواح، متي يحين موعد ولكن في قصة حب أقل ما يقال عنها إنها قصة حب ميت في مهده بنظر الآخرين، حي مخلد لا يموت في قلبهما وحدهما.

بعد عدة مناقشات واقتراحات، وافقت الأسرتان على رغبة مريم في الالتحاق بكلية الفنون الجميلة لتصقل موهبتها بالعلم كما قالت، وإن كان للمهندس محمد وآمال رغبة في دراسة مريم في كليه الاقتصاد والعلوم السياسية، لتصبح ذات يوم سفيرة أو وزيرة يشار لها بالبنان، أو رغبة إيفون في إلحاقها بكلية الآداب قسم لغة فرنسية وتكملة حلمها هي في الماجستير والدكتوراه بجامعه

السربون بفرنسا، لتصبح بعدها دكتورة جامعية تدرس لأجيال وأجيال لغتها المفضلة، ولكن أقنعتهم مريم بأنها لا تحب السياسة ولا تهتم بها، كماأنها لا ترى نفسها سفيرة أو وزيرة أو دكتوره لغة فرنسية في الجامعة، كان اعتراض الأسرتين على كلية الفنون الجميلة أنها بمنطقة الزمالك، وأنها بعيدة عن محل السكن، غير جامعة عين شمس بالعباسية والتي كان من السهل على مريم الذهاب إليها بالمترو، غير أنها اقترحت على والدها شراء سيارة صغيره لها تساعدها على التنقلات، وأن مكرم موافق أن يعلمها السواقة في ظرف أسبوعين، فهو كما قالت وغمزت له:

«شاطر في كل حاجة».

●●●

كليه الفنون الجميلة

لم يقض أي من الأسرتين هذا الصيف في المصيف المعتاد لهما منذ سنين في فيلا الفردوس بالعجمي، لصعوبة السفر والتنقل على صحة المقدس جرجس، وبالرغم من هذا فقد مر عليهم هذا الصيف بكل جنانه وشدة حرارته في الفسح داخل القاهرة، وتعلم السواقة التي أتقنتها مريم سريعًا ليس لأن معلمها حبيبها فقط، ولكن لأنها تجيد تعلم الأشياء سريعًا، وكان مكرم يحدثها كثيرًا عن هذه المرحلة الجديدة بحياتها، فكم من معتقدات تنسف، ومشاعر تتبدل، وأحاسيس تنضج في الانتقال من مرحلة المدرسة لمرحلةالجامعة، لقنها كثيرًا على علاقاتها بزملائها الشباب، وحذرها من الفتيات وغيرتهم، وحدثها كثيرًا عن التزامها بحضور محاضراتها، وأنه سوف يزورها من وقت لآخر فقط عندما تسمح له ظروف عمله، الذي كان يأخذ أغلب نهاره، كان كلام مكرم عندها كأنه قانون ملزم، لا تراجعه أو تناقشه، فقد أثبتت لها الأيام والسنين والتجارب أنه دائمًا على حق، وأن آراءه دائمًا سديدة ونافعة، كان إخوة مريم أحمد وإبراهيم في هذا الوقت في المرحلة الثانوية، وهي مرحلة حرجة للشباب وخصوصًا في وجود أب ضعيف الشخصية وأم تدللهما من نعومة أظافرهما دلالاً كاد أن يقضي عليهما، لولا انتباه مكرم لهما،

وإحاطته بكل خطواتهما، ومعرفته بمواعيد تمارينهما الرياضية، فقد كان الاثنان أبطالاً في لعبة الكرة المائية بنادي هليوبوليس، ولولا إصرار مكرم على التزامهما طوال هذه السنين لكان لهما في الضياع نصيب مقسوم، فلديهما المال والجمال المتوارث من أمهما ومدرسة الفرير التي تجعل مرتديها مصاف إعجاب الفتيات في حي مصر الجديدة حين ذاك، بدأت مريم عامها الدراسي الأول بمفاجأتين لم تكن تتوقعهما، وكانا السبب في قلب حياتها رأسًا على عقب، والغريب في الأمر هو ظهورهما معًا، كأن الأقدار قد اتحدت لوضع حدًّا لهذا الحب المستحيل قبل الأوان، فقد كانت مريم ومكرم معًا صامدين صامتين، أطول فتره ممكنة لهما، لأنهما في قرارة أنفسهما يعلمان أنها آتية لا محالة، ولكن كيف ومتى؟؟ لم يكن يعلمان ولا يرغبان حتى في مجرد تذكرها، في شتاء ١٩٨٨ وتحديداً في عيد ميلاد مريم الثامن عشر في شهر نوفمبر، كانت أولى المفاجآت والتي لم تفهمها مريم في لحظتها، فقد كانت الخالة زوجة السعودي موجودة بالقاهرة وأبلغتهم أنها سوف تحضر بعض من أصدقائها معها لحفلة عيد الميلاد، كان الحفل هذا العام هادئًا بوجود بعض الصديقات المقربات وعائلة المقدس جرجس والخالة وزوجها وأصدقائهم، والذين كانوا عائلة واحدة، أب وأم وشاب؟!

طلعت مريم لتقابل مكرم فوق السطح بناءً على طلبه المفاجيء عند انشغال الضيوف بالأكل، وكانت على عجلة من أمرها خوفًا من أن يلتفت أحد لغيابها،

- مين دا يا مريم؟؟ سألها مكرم مغتاظًا

- مين دا إيه، في إيه،؟ دول ناس أصحاب خلتو وعمو فهد،

ردت مريم في عجالة غير فاهمة مغزى السؤال ولا استعجال مكرم عليه الآن وسط الحفل..

- بس؟! سأل مكرم بحدة

- إيه في إيه مش فاهمة، يعني إيه بس؟ قالت مريم وهي تستعد للنزول خشية أن يلاحظ أحد غيابها،

فباغتها مكرم بحضن دافئ مخرجًا من جيبه سلسلة ذهبية بها حرف M

ولف يديه وهو يقبلها في عنقها من الخلف ويضع السلسة عليه:

- كل عيد ميلاد وإنتي حبيبتي وروحي وقلبي، قائلاً لها وهو يقبلها قبلة على شفتيها تزيدها جمالاً.

فقد كانت مريم في هذه الليلة كالقمر بدرًا في جماله، وكانت شديدة الأناقة في فستان في لون زرقة البحر الهادئ، اشترته لها إيفون على ذوقها هديتها لعيد ميلادها،ينسدل شعرها الأسود الناعم في رقة على كتفيها فيزيدها شموخًا وجمالاً، وتضع القليل من أحمر شفاه يبرز شفتيها فيظهرهما كحبتين من الفراولة آن وقت قطفهما وكحل أسود بسيط يزيد عينيها وسعًا وبريقًا.

فهمت مريم سؤال مكرم بعد قليل عندما نزلت فوجدت خالتها منفردة بأمها بالمطبخ، ورؤية وجه امها يتهلل فرحًا، وخالتها تهمس في أذنيها بكلام وتعد على أصابعها تعدادًا لشيء مبهج، وعندما رأت نظرة الشاب المصاحب لعائلته وهو ينظر إليها من شعرها حتى أظفر قدميها تمحيصًا، ونظرات والدته لها ثم تمحيصها في البيت وآثاثه وتحفه، ووالده الذي جلس مع المهندس محمد في حوار مفتوح على حجم الأعمال والمشاريع التي يمتلكها، هكذا وصل إليها الكلام المسموع وفهمت مغزى كل الكلام غير المسموع، انقبض قلب مريم بشدة:

عريس؟!!

- آخر سنة ليه في كلية الطب، دكتور أد الدنيا، ولد وحيد على بنتين أصغر منه، أبوه صاحب أكبر شركة مقاولات بالخليج، وبينه وبين فهد شغل كتير، فعارف أمانته وأخلاقه وسمعته في السوق، وأمه بنت باشوات ومن أكبر عائلات المنصورة، عايشين

بالسعودية من ٢٠ سنة وأكتر، معاهم فلوس زي الرز، والولد مقدم على بعثة يعمل الماجستير والدكتوراه في أمريكا، وعنده بيت هنا في الزمالك على النيل يجري فيها الخيل، مؤدب ومحترم وتربية مفيش بعد كده، عارف ربنا ومصلي وملوش في اللف والدوران، ولما عرف فهد من أبيه إنه بيدور له على عروسة قاله على مريم، وجم مخصوص معانا من السعودية يشوفوها بعد ما حكيت لهم عنها حكايات، هو مش مستعجل، ومستعد يخطب ويخلص سنة الامتياز، ويسافروا سوا على أمريكا وتبقى تنزل هي على الامتحانات، لحد ما تخلص كليتها وهو يخلص الماجستير والدكتوراه، يكون أبوه خلص له المستشفى اللي بيبنيها له في جدة، مش بقولكم عريس ميترفضش!

هكذا حكت الخالة للمهندس محمد بعد أن انتهى الحفل واستئأذن كل الضيوف بما فيهم العريس وأبواه، سقط في يد مريم وظهر عليها الوجوم.

●●●

obeikan.com

#الحب_ينتصر_دائمًا.

هكذا هي الدنيا.. لا تعطي الكثير..تدور الحكايات كلها في نفس الرواية.. نفس النهاية.. سعيدة أو حزينة.. ولكن هناك دائمًا نهاية.. ينتصر الحب دومًا.. فهو لا يعرف طعم الهزيمة.. مهما كانت النهاية.. كيف تتقلب القلوب هكذا...؟!

●●●

ما تحبه اليوم قد تكرهه غدًا.. وغدًا لا يأتي.. الذي يحب لا يكره أبدًا.. سينتصر الحب دائمًا.. مهما كانت النهاية..بأيدينا نختلق النهايات.. ونضع الحواجز والمتاريس.. نغلق عقولنا.. ويأبى القلب أن يغلق.. نفتعل النهايات في شكل مسرحي هزيل.. وتأبى الستارة أن تنزل.. رافضة النهايات المكذوبة.. المفتعلة.. سينتصر الحب دائمًا.. فهو حر لا يُقيد بأحكام العقل المهموم.. المكلوم.

متحديًا قراراته وانفعالاته وانفلاتاته.. لا يهمه حواجز أو قيود.. سارحًا في ملكوت بعيد لا يرى سوى النور.. لا يسمع إلا صوته ويغذي روحه بذاته.. الحب ينتصر دائمًا.. فهو خارج إطار الكون..

●●●

بعد ان رأت فرح آمال العارم والتي كادت أن تطلق زغرودة مصرية أصلية قوية من شدة انفعالها، بل قامت تحضن مريم المذبهلة وتمطرها بقبلات مباركة كأنه قد تم الزفاف للتو، بينما ارتسم

على وجه المهندس محمد ابتسامة باهتة فقط ليرضي سعادة آمال بهذا الحدث، ولأن قلبه كان يحدثه بأن مريم لم تكن سعيدة أو مهتمة به،

- مالك يا مريم مش فرحانة ليه كده؟؟ سألتها خالتها بصيغة الاستهزاء والاستغراب معًا..

- لا مش فرحانة إزاي؟؟ دا بس من المفاجأة،

قالتها آمال وهي تربت على كتفيها بشدة وغيظ كأنها توقظها من غفلتها.

- معلش هي بس مخضوضة من المفاجأة، ادخلي يا مريم نامي دلوقت، وبكره يا حبيتي نتكلم..

كأنه ينقذها قالها المهندس محمد، ليفض هذا السيرك القائم ويؤجل الحديث لوقت آخر، يتيح للجميع التفكير واتخاذ القرار، والذي بات واضحًا أن الأم والخالة قد اتخذاه بالفعل..

●●●

#العقل_و_القلب.

وقف القلب والعقل متخاصمين.. في حوار كأنه دار في محكمة..

العقل يجلس على منصة القضاء.. والقلب خلف قفص حديدي يملأه الصدى..

ممسكًا بكلتا يديه.. منفعلاً.. يكاد الدم يقطر من أرجائه حبّات الندى.

قائلًا: لماذا تريد أن تحكم عليّ بالإعدام...؟

لماذا تريد أن تجهض جنيني وهو مازال داخل أحشائي يترجّى الحياة؟؟

فأنا قد خُلِقت لا أعلم سوى الحب.. النبض بالعشق.. خُلِقت للحياة.

وبالحب تحيا الحياة.

قال العقل وهو ينظر إليه نظرة برود وتعالٍ:

ليس كل الحب متاحًا..

فهذا الحب ممنوع.. غير مشروع.. محكوم عليه منذ الأزل بالوأد.. يُدفن حيًّا تحت التراب.. ويُداس عليه بالأقدام..

- كيف تقول لي من أحب ومن لا يسري عليه نبضي وحبي.. مشاعري وأحاسيسي...؟
- أنا العقل وأعرف كل القواعد والقوانين..أنا الحاكم.. وأنا من يقرر.. من يفكر.. من يتطلع ويقرأ ويدرس المحاضر والمرافعات والبراهين..
- وماذا عني أنا..؟؟ قلبٌ خُلِق للحب.. للعشق.. للطيران بدون قيود..
- قل ما تقول.. فأنا حكمي نافذ.. أنا من أقول.
- لا يا سيدي.. فقولك مغلوط.

غضب العقل وظهرت الدماء في عروقه مائلةً للسواد من شدة الانفعال..

ورفع مطرقته إلى أعلى بكل قوة. معلنًا نهاية الأمر ونفاذ حكم الإعدام..

صرخ القلب قبل أن تهوى المطرقة على خشب المنصة مُحدِثةً دويًا يولّد الانفجار.. ويجيء بالكفن ويفتح القبور.. ويجمع الأقدار..

صرخ القلب..

- توقف.. فلي حق الاعتراض..

أعطني ثواني أبوح بما في صدري.. علّى أشرح الأسباب.. فلربما غابت عنك وانشغلت بباقي القضايا والأحكام..

أو لربما كتب عريضتي محامٍ هاوٍ.. لم يدق قلبه من قبل.. ولا يعرف معنى الحب ولا يقوى على الاعتراض..

يا سيدي.. أيها العقل العظيم.. أيها العقل الرشيد.. أيها العقل الحكيم.. ليس بالعظمة ولا الرشد ولا الحكمة تقام الحياة..

أنتم ميتون تحت سِتار المنطق والمعقول..

وأنا أحيا بالجنون..

أنتم تقتنعون بالوعي والأسانيد وخرائط الطريق.

وأنا اللاوعي.. أنا القمر والشمس والنجوم.. أنتم مسجونون في أوراق وقوانين ومحامين..

وأنا لا أنام ليل نهار.. سابح.. هائم في ملكوت سرمدي لا حدود له في أي زمان أو مكان أنتم غائبون عن الحياة بالحياة.

ومتناسين أني أنا كل الحياة..

إذا حكمت عليّ بالإعدام.. فأنت تكتب شهادة وفاة لكل الحياة..

فأنت.. بأوراقك وقوانينك.. بمحكمتك ومحاميك.. وحاجبك الأمين.. بمقاعدك وقفصك الحديدي الصدئ..

obeikan.com

كلكم بدوني ميتون.. كلكم خانعون.. كلكم عبيد للقواعد والقوانين..أما أنا.. أنا الوحيد الذي يحيا حتى يوم الدين.. أنا الروح الهائمة الساهرة لكل العاشقين..ليس لدي قواعد.. ولا أوراق ولا أحتاج إلى محامين..أنزِل مطرقتك الآن واصرخ في جوفاء صدرك معلنًا الانتصار.. معلنًا الانتحار..سأحيا رغم أنف الحاقدين.

سأحيا ومعي ملايين العشاق والمحبين..سأحيا لأني أنا القلب خُلِقت لهذا السبب.. خُلِقت لأحب.. أحب فقط.. غير مقيد بقواعد أو قوانين.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

المواجهة

وانتظرت مريم في حجرتها حتى اطمانت أن الجميع قد خلد في نوم عميق، وبدون اتفاق مع مكرم صعدت إلى السطح، لتجده جالسًا يدخن في انتظارها، كان الفجر قد أذن وبدأ النهار كأنه في حالة ولادة متعسرة يحاول الخروج بصعوبة لينشر نوره على مريم ومكرم، كأنه يعلم أن هذه الليله هي الأصعب عليهما..

- عريس؟؟ أنا عارف، وفاهم وقريت وش خالتك وجوزها واللي معاهم من أول لحظة، قالها مكرم دون النظر في وجه مريم، كان ناظرًا إلى السماء يشاهد القمر الذي قرر الانتحار، موجدًا للشمس وأولادها الأشعة الصغيرة فرصة النجاة، فرصة الحياة

- وعرفت مواصفاته؟ قالتها مريم وهي تسرد المواصفات من قبل ما يسألها عنها مكرم، ثم أردفت بعد أن جلست بجواره ناظرة هي الأخرى إلى نفس المنظر، تشاهد ولادة يوم جديد، ربما في الحياة عامة، وربما في حياتها خاصة،

- حنعمل إيه؟؟

لم يتحدث مكرم وظل نظره معلقًا بالسماء، غير أنه أحاطها بيديه وقبض على كتفها ليدس رأسها في صدره في صمت مطبق،

غير أن أنفاسه قد فضحته عندما بدأ انفعاله في ازدياد، نظرت إليه مريم فوجدت عينيه قد ملأتها الدموع، وسالت على خده، وما كان أن بكت مريم أيضًا بكاءً شديدا بدون صوت، فقط دموع منهمرة كأنه شلال قد قابل بركانًا منفجرًا، فتقابل الماء مع حممه المنسكبة منه، ولم يطفئ أحدهما الآخر، ظلا علي هذا الوضع حتى باتت الشمس واضحة والنهار قد قام بعد عملية جراحية صعبة،

- عمري ما فكرت إنك ممكن تكوني لغيري، عمري ما تخيلت إن حد تاني ممكن يلمسك، أنا حاقتله، محدش ممكن ياخدك مني، إنتي بتاعتي أنا، إنتي بنتي أنا، حبيبتي أنا، محدش حياخدك مني، إنتي فاهمة، حاقتله، قالها مكرم ودموعه تجري مجرى النهر على خديه حتى بللت قميصه، ثم أردف؛ ارفضيه، سهل تقولي لأ وتصممي عليها، مش حيقدروا يغصبوكي.

- وبعدين؟ قالت مريم فجأة كأنها قد قررت شد فرامل قطار حبهما المجنون بكل قوة بدون سابق إنذار.

- اعتدل مكرم في جلسته، فالتًا يديها من بين ذراعيه، موقفًا سيل الدموع،

- وبعدين؟؟ حارفض ده، واللي بعده واللي بعده، وحافضل أرفض، وبعدين؟

إيه اللي حيحصل؟ إحنا حنعمل إيه؟ عمرنا ما فكرنا في السؤال ده؟ صح؟ عمرنا ما وقفنا وقلنا طب وبعدين؟ مع إننا كل واحد فينا سأله لنفسه مليون مرة، بس كنا بنخاف نسأله لبعض، بنخاف من المواجهة، علشان عارفين إنه مستحيل.

قالت مريم وهي مصوبة عينيها في عينيه

- إنتي اللي بتقولي كده؟ مش إنتي اللي قلتي مافيش حاجة اسمها مستحيل؟ مش إنتي اللي كنتي بتقولي على كل قصص الحب والروايات والأساطير اللي مكملوش قصة حبهم إنهم فاشلاً وغلطانين؟!

إنتي النهاردة عاوزة تبقي زيهم، وتقولي أصل الظروف موتت حبنا؟ رد عليها مكرم في انفعال وهو ماسك كتفيها بيديه يهزها علها تتراجع عما قالت..

- مكرم، أنا بحبك، وعمري ما تخيلت نفسي مع غيرك، أنا مقدرش أعيش يوم من غيرك، إنت بحري اللي بتنفس هواه، لو طلعت براك أموت،

لازم نلاقي حل، أكيد في حل، أكيد، مهو مش معقول حنعيش حياتنا كلها كده..

ليه مش معقول؟ قالها مكرم مستنكرًا..

في استغراب أقوى ردت مريم:

- يعني إيه نعيش حياتنا كلها كده، نعيش حياتنا كلها سرقة، وخطف للحظات سعادة مش كاملة، وإحنا قلقانين وخايفين حد يلاحظ ولا يشوفنا؟ نقضي حياتنا كلها كده إزاي؟ رد عليّ؟ إزاي؟ بأي منطق وبأي عقل؟!

- مش مهم إزاي، ولا مهم منطق ولا عقل، المنطق دا اختراع بشري، وإحنا فوق البشر، العقل ملوش دعوة، قلبنا هو الحاكم، تعالي نسافر، تعالي نبعد، عن كل عقل ومنطق وبشر..

قالها مكرم كأنه يترجاها بأن تمسك في طوق النجاة هذا حتى تهدأ الأمواج ويصلا إلى الشط، أي شط.

- وليه، في حل أسهل بكتير يا مكرم..

تسلم...

قالتها مريم في غفلة فهي لم تكن تنوي نطقها أبدًا من قبل، لأنها تعلم أن دخول الإسلام يكون بالرغبة الكاملة فيه كدين وليس اتخاذه سببًا لتحقيق شيء دنيوي بحت..

- وليه إنتي متتنصريش...؟!!

نزلت الكلمة على قلب وعقل مريم كأن منشارًا عميقًا قد شق رأسها من المنتصف، وعندما وصل إلى منطقة الصدر انحرف ناحية الشمال قليلا ليقطع القلب في مقتل..

- إنت عاوزني أكفر؟!!

ردت مريم بعفوية وبدون تفكير بصوت مهتز اهتزازًا شديدًا.

تكفري.....؟؟؟؟؟ تكفري..؟ يعني أنا كافر في نظرك..؟؟! كافر؟؟ أنا كافر يا مريم؟!!

قال مكرم وهو في حالة من الصدمة جعلته يفقد اتزانه حاولت مريم التحدث فأبت الكلمات أن تخرج..

بعد العمر دا كله...؟؟ بعد العيش والملح والعشرة...؟؟ بعد الحب..؟ الحب اللي بنا دا كله أطلع في نظرك كاااافر ...؟؟؟

كانت تلك آخر كلمة سمعتها من مكرم قبل أن تخرج من السطح مسرعة إلى حجرتها والشمس قد أعلنت الحرب، وأطلقت أشعتها الحامية لتحرق القلوب العارية، قلب مريم وقلب مكرم..

●●●

#أنا_الحب.

كيف للحب أن يُحارب كُرهًا..؟؟

كُره خفي مخنوق لا يستطيع البوح عن نفسه.. صادم داخلي غريب.. يحتويك ويحيط بك كأنه هالة تغلفك..

كل منهم يريد أن يحتويك وحده.. يقف لهم الحب بالمرصاد.. هذه ملك لي وحدي.. تغار باقي الأحاسيس.. ولطالما غارت منه وكرهته.. لنقائه وصفائه.. لكونه نهرهم الذي يرون فيه قبحهم.. يريدون تدنيسه فيفشلون.. يتآمرون عليه لقتله.. فيموتون هم..

فيتنهد الحب تنهيدة الراحة الأبدية.. ويبدأ في نشر شعاعه من جديد بداخلي في سكينة واطمئنان..

فيفجع من رؤيتهم يتناسلون ويخرجون من قبورهم من جديد..

يحاولون.. يجتهدون.. لديهم أساليب وألاعيب عجيبة في الإقناع..

ما أنتِ فيه ليس حب..

هو وهم خلقتيه ذات يوم بين يقظة ومنام..

هو يخدعك.. يستنفزك .. يحركك كما الدمية بين يديه..

يُسمعوني كذبًا ضحكته الشريرة تخرج من ابتسامته الساحرة..

كدت أركن إليهم ذات مرة.. وسيطروا على كل حواسي.. سرقوا الحب في لحظة ضعف وقيدوه.. ورموه في بئر عميق.. واستفردوا بي..

أظهروا لي قبحي قبل قبحه.. ضعفي قبل قوته.. عشقي الوهمي قبل خيانته..

كدت أركن إليهم وأصدِّقهم.. واستغرقوا في تعذيبي كذبيحة تكاثر عليها الذئاب.. كفتاة بريئة تتعرض للاغتصاب..

وعندما شعرت أن روحي قد قاربت على النفاذ.. وقد استسلمت كاملة واستعديت للفناء..

خرج المارد مكسرًا قيوده.. هائجًا كالثور الجريح.. يزوم بصوت يفتت الجبال.. تخرج من عينيه أنوار ا تقلب الأرض سماء والسماء رياح..

يخرج باسطًا جناحيه، يطير في أعماق الأرض، ليلتقط روحي قبل أن تتناثر في الفضاء.. يضمها بقوه تهز البحار وتدمجها في الأنهار وتصل مياههم إلى أعماق روحي فتغسلها غسلاً يطهرها من كل سواد.

يصفف لي خصلات شعري ويعطرني بسيل دموع عينيه..

يقول لي.. لا تخافي.. لا تتهاوي.. لا تنثري روحك فوق الضباب..

فأنا اخترتك أنتِ لأسكن روحك.. فلتحيي بي.

أنا الحب الذي سيظل رفيق دربك مهما تكاتلت عليكي وخنقتك الأسباب.

سأظل أنا الحب حارس بابك حتى بعد الممات..

●●●

obeikan.com

الصاعقة

في منتصف هذا الصباح والذي لم تر النوم في ليلته مريم أو مكرم، اجتمعت أسرة مريم لمناقشة أمر العريس، كان الإعياء والبكاء يظهران على وجه مريم بقوه، ولكن آمال لم تكن تراهم أوتغافلت عن رؤيتهم متعمدة، ولكن شيئًا ما في صدر المهندس محمد كان يحدثه بأن مريم لم تكن سعيدة بهذا العريس، وأسقط في يديه، لم يعرف ماذا يفعل، فهو لا يقوى على الاعتراض على شيء تريده آمال، وكذلك لا يقوى على إرغام ابنته الوحيدة على زواج لا تريده، فهو ليس فستانًا ستضطر إلى ارتدائه مرة وكفى، بل عمرًا ستعيشه بالكامل، ويجب أن تكون مستعدة له ومتقبلاه،هكذا قال على استحياء، لم تتلفت آمال إليه، وكأنها لا تريد استعجال الحرب التي ستخوضها لإتمام هذه الزيجة بأي ثمن، فقد كان غنى العريس وعدم مطالبتهم بأي شيء وضمان أن كل الأموال والممتلكات ستؤول كاملة لأحمد وإبراهيم دون الاضطرار إلى تجهيز مريم أو دفع أي مصاريف في فرح وخلافه هو ما يشغلها، وكما قالت، دا أنا حاحط رجل على رجل وآمر وأتشرط، دا حياخد ست البنات، وأجمل بنت في العيلة كلها.

وانشغلت بالحديث في التليفون مع أختها لترتيب الزيارة القادمة، فالعائلة في زيارة قصيرة للقاهرة لإتمام هذا الموضوع فقط، ولا يريدون أن يضيعوا ثانية واحدة، أقفلت آمال التليفون باتفاقها على عزومة عشاء الليلة في الثامنة مساءً، وانتفضت كأنها قد لدغها ثعبان سام،،

- قوم يا محمد جبلي الطلبات دي بسرعة، الناس جايين على العشا النهاردة، ولازم أبينلهم مقامنا أد إيه.

قالتها وهي تمسك ورقة وقلم تكتب للمهندس محمد طلبات على طلبات كأنها تعزم الحي بالكامل.

رمت الورقة بدون التفات أو اهتمام بمريم ومحمد المصعوقين أمامها، وجرت على الشقة المقابلة تخبط على إيفون:

- إيفون الحقيني بسرعة، وتعالي ساعديني، عندي عزومة كبيرة النهاردة، أختي وجوزها والضيوف اللي معاهم، بينما وقفت إيفون بمطبخ آمال تساعدها، حكت لها آمال على تفاصيل العريس ومميزاته..

سمعت إيفون الحديث كاملا، ثم أردفت:

– ومريم قالت إيه؟؟

- مـريم؟؟ وتقـول إيـه وليـه؟ بذمتـك دا عريـس فيـه قوالـة؟؟ ردت عليهـا أمـال دون أن ترفـع يديهـا أو عينيهـا عـن الحمـام الـذي كانـت تحشـيه وكانـت مشـهورة بإتقانـه..

- يعنـي إيـه يـا آمـال؟ البنـت ملهـاش رأي؟؟ طـب والجامعـة، دي لسـه داخلـة يـا دوب وأدمهـا أربـع سـنين؟ قالـت إيفـون وهـي تنظـر لأمـال التـي بـات واضحًـا فرحتهـا بالعريـس الغنـي كامـل الأوصـاف، وخلجـات وجههـا تنـم عـن أن كل مـا تقولـين يـا إيفـون محـل هـراء.

تركـت إيفـون آمـال بالمطبـخ وذهبـت إلـى مـريم في حجرتهـا، فوجدتهـا قـد فـردت لوحـة الرسـم الخشـبية وتجلـس لترسـم بوجـه باهـت وعـين مليئـة بالدمـوع، نظـرت إيفـون إلـى اللوحـة فوجدتهـا عبـارة عـن خيـوط سـوداء متشـابكة لا منفـذ لنـور منهـا، صـورة كئيبـة توحـي بمـا يـدور في قلـب وعقـل مـريم الآن..

احتضنتها إيفون في صدرها فأجهشت مريم بالبكاء:

- محـدش يقـدر يغصبـك علـى حاجـة، طـول مـا أنـا عايشـة متخافيـش، إنتـي بنتـي، وليـا فيكـي زي مـا ليهـم فيكـي، لومـش عـاوزة قولـي، محـدش حيغصبـك، دا جـواز يـا حبيبتـي، وإنتـي لسـه صغيـرة، والعمـر والمسـتقبل كبيـر أدامـك، قالـت إيفـون وهـي تربـت علـى ظهـر مـريم وهـي في حضنهـا وتمسـح دموعهـا..

- وماما ؟؟ سألتها مريم بخوف واضح..

- هو صحيح أمك قوية ومفترية، بس ما تخفيش، أنا حاصليلك، واترجي العدرا تشفعلك، إنتي كمان صلي لها ، دي حبيبتك، وعمرها ما حتسيبك..

ارتبكت إيفون وتركت مريم عندما سمعت صوت آمال الجهوري ينده عليها، مستعجلة إياها بأن الوقت أزف ويجب إنهاء كل شيء حتي يتسنى لها تحضير نفسها والبيت لاستقبال الضيوف استقبالاً يليق بهم،

كما دخلت بعدها بقليل لحجرة مريم آمرة إياها كأن لواءً عسكريًّا يلقي أمر لأصغر جندي لديه، بدون النظر إليها:

- قومي روحي الكوافير، والبسي أشيك حاجة عندك، عاوزاكي النهاردة على سنجة عشرة، أميره متوجة،

فاهمة؟؟ قالتها وهي تغلق الباب عليها كأنها تمهدها للاعتياد على وضع السجن الذي فرضته عليها مسبقًا، كان في هذا الأثناء يجلس مكرم بجوار والده المريض، يحدثه في أمور العمل، عندما دخلت إيفون يبدو على وجهها الاستياء، تحكي لهم ما حدث وكيف أن مريم غير سعيدة بهذه الزيجة، وتتأسف على شخصية المهندس محمد الضعيفة أمام زوجته، وتنفعل عند ذكر

آمـال بجنونهـا ورغبتهـا في تنفيـذ أوامرهـا غيـر مباليـة بابنتهـا أو مشـاعرها، غيـر أن كان للمقـدس جرجـس رأي أبهـت كلا مـن إيفـون ومكـرم معًـا..

- أنـا شـايف إن إنتـو متحاملـين علـى السـت أم أحمـد كتيـر، دي برضـه أم وعـاوزة تفـرح ببنتهـا، والعريـس الصراحـة لقطـة، والبنـت مهمـا كانـت لسـة صغيـرة، بكـره تحبـه لمـا تعاشـره وتتعـود عليـه، ولا إيـه رأيـك يـا مكـرم؟؟

لم يتخيل مكرم هذا السؤال ولا رأي أبيه،،

- مش عارف يا بابا صدقني، المهم مريم عاوزة إيه،

جـاوب مكـرم وهـو يقبـل يـد أبيـه ورأس أمـه مسـتأذنًا للخـروج لقضـاء بعـض مشـاوير خاصـه بالعمـل.

بينمـا خـرج ليركـب سـيارته ويقـف قليلا أمام شـرفة مـريم، والتي لا إراديّـا قامـت مـن مكانهـا في نفس اللحظـة إلـى الشـرفة، فتجـده أمامهـا، فاصـلا بينهمـا فقـط مقـدار الحديقـة والسـور الصغيـر بهـا،

ناظـرة إليـه وناظـرًا إليهـا، في صمـت شـعرا خلالـه بـأن أزمنـة عديـدة قـد مـرت أمـام أعينهمـا، وهمـا مـازالا واقفـين، لـم يسـتطع مكـرم الصمـود أكثـر مـن هـذا ورمـى بنفسـه داخـل سـيارته، وانطلـق مسـرعًا بصـوت أدهـش المـارة مـن حولـه، ودخلـت مـريم لتهـوى

بجسدها على فراشها غارسة وجهها في وسادتها حتى لا يسمع أحد بالمنزل صوت نحيبها المكتوم، والذي شعرت فيه بأن قلبها كاد أن يخلع من مكانه.

●●●

#مركب_الحياة.

أقف على مركب الحياة مبتعدة عن جزيرتي..

عيناي راسختان هناك لا تقوى على الحراك..

وقلبي متشبثًا بأسوارها رافضًا الانصراف..

أقف على مركب الحياة وقد طبقت على قوانين الجاذبية كلها فلا يقوى المركب على الإبحار... قاسية هي اختياراتنا.. جاحدة هي حسناتنا.. وغير راضية للأسف نفوسنا..

كم سأمضي على هذا الوضع الحزين.. المهين..

أشعر أني أقف هكذا منذ مئات السنين..

هل حقًا أرغب في الرحيل..؟؟

هل حقًا أقوى على التغيير..؟؟

هل سأظل أناديك في الظلمات بغير تفكير.. ولا تأنيب ضمير..

obeikan.com

كيف أقنع مركبي أن يبحر وقد أثقلت عليه بجبل ثقيل..

يجعله يغرق في بحر أوهامي ويهوي إلى قاع المحيط..

محطمًا معه آمال وأحلام كانت مليئة بقوارب نجاته من كل خطر محيط..

ولكن عزائي الوحيد.. أني تركت قلبي معلقًا على أسوار جزيرتي.. رافضًا الرحيل.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

العشاء والليلة الأخيرة

دخل المهندس محمد إلى حجرة مريم، مطمئنًا إياها بصوت خفيض يتلفت كل لحظه ناحيه الباب، بأن ترمي أحمالها على الله، وتعتمد عليه، فهو العالم بما لا نعلم، كما قال لها قبل أن يخرج من الحجرة، إن الأيام مع أمها قد علمته أن يخفض رأسه للريح حتى تمر بسلام، محذرًا إياها أن أمها عنيدة جدًّا ولن تستسلم ولا توافق على مايرغب أي أحد سواها على شيء تريده بشدة، مقنعًا إياها أن تقوم لترتدي أشيك ثيابها وتظهر بمظهر لائق، منتظرة أن تأتي السماء بما تشتهي، أو يقضي الله أمرًا كان مفعولاً،قالها في خنوع قبل أن يخرج وقلبه يحدثه بأن المثل الحقيقي يقول:"تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن"، داعيًا الله من قلبه أن يجعل لابنته الوحيدة الفرج والتوفيق ،بعد انتهاء العشاء الذي جلست عليه مريم مرتدية فستان كحلي بخطوط بيضاء رفيعه بالطول، يزيدها رفعًا وطولا، بنصف كم وصدر علي شكل v مفتوح قليلا، وترتدي القلادة الذهبية بحرفm الذي أهداها لها مكرم بالأمس.

تسدل شعرها للخلف وترفع إحدى جوانبه بتوكة ستان كحلي بها وردة صغيرة بيضاء، تضفي على وجهها براءة وجمال، ولا تضع

غير خيط رفيع من كحل أسود بين عينيها البنيتين الواسعتين، فتجعلها كأعين الغزال الشارد في غابة شاسعه لا يستطيع رغم اتساع وجمال عينيه أن يرى للغابه نهاية أو أي جمال فيها، خالد، أقل ما يقال عنه إنه وسيم، ذو بشرة بيضاء ورثها عن أمه التي تقول إن جدتها، كانت قد نزحت إلى المنصورة في الحمله الفرنسية عندما كانت وعائلاتها تعيش في إحدى ربوع فرنسا، وتزوجت من جدها صاحب الأراضي والفدادين الزراعية، وأنجبت أمها وأخوالاها وخالاتها العشرة، فهم أكبر عائلات المنصوره مقامًا وكمًّا، وشعر بني فاتح تحلف الأم أنه كان أصفر مثل سلاسل الذهب في صغره سايح طويل، حتىأنها كانت تضطر أن تضفره له وتلبسه فستانًا حتى تبعد عنه الحسد، كانت تقول إن جيرانها كانوا يلقبونه بيوسف نسبة إلى جمال سيدنا يوسف، كما أنه أخذ من أخلاقه أيضًا وليس جماله فقط، فهو كما تحكي أمه منذ انتهاء العشاء ليس له في اللف والدوران، وأنه حافظ لكتاب اللّه، وكم من عمرة وحج أتمهما منذ نعومة أظافره، وأنه عندما حضر إلى القاهرة بعد أن أخذ المرتبة الأولى على المصريين الدراسيين بالسعودية في الثانوية العامة، طلب من أبيه أن يدرس الطب بجامعة القاهرة والقريبة من سكنهم بالزمالك، حيث أن العمارةعلى النيل كامله ملك لهم، وأنها كانت تقيم معه حتى العام الثالث في كلية الطب جدته، ومن ثم بعد وفاتها، بقت معه

خادمتهم العجوز أم سيد، والتي لم تفارقه حتى الآن وتقوم على كل طلباته، وأنهم يلتقون عدة مرات بالسنة في الإجازات، كما حكت عن ابنتيها، وكم أنهما تشبهان أبيهما، من سماره وشعره الأسود الكثيف، ولا تأخذان منها أي شيء، وضح من كلام الأم عشقها لخالد، حتى أن ظهر بين أسطر كلامها بعض التنبيهات والملاحظات على زوجة المستقبل، وتباهت عدة مرات بغناهم الفاحش، وعمل زوجها في الخليج منذ أواخر الستينيات، وأنه يمتلك شركة من كبرى الشركات في المقاولات، والتي لها فروع في كل دول الخليج، وبالطبع لم تتطرق إلى منصبه أو عمله قبيل سفره هذا، ولم يستطع أحد طرح هذا السؤال، وحكت عن المستشفى التي يبنيها له والده بشراكة مع كبرى الأسماء الطبية السعودية، والتي سوف تتخصص في عمليات القلب الحديثه آنذاك، وهي عمليات القلب المفتوح والتي سوف يتخصص فيها خالد ويدرس عليها الماجستير ومن ثم الدكتوراه عند سفره لأمريكا بعد انتهاء هذه السنة الأخيرة بالنسبه له في دراسة الطب بالقاهرة، أي إنهم قد رتبوا له كل شيء خاص بمستقبله، وما عاد سوى اختيار سعيدة الحظ التي سوف تكمل معه مشوار الحياة هذا المفروش بالورود على حد قول أمه، عندما شعرت الخالة بطول الحديث، وأنه لا من أحد يستطيع إيقاف هذا القطار المندفع الخارج من فم صديقتها أم خالد، ضحكت ضحكة ليست لها أي معنى في

لحظة، عندما أخذت رشفة من كوب الشاي المقدم لها في فنجان أنيق مرسوم عليه قصة أنطوانيت ولويس الخامس عشر، كانت قد اشترته آمال ذات مرة من صالة مزادات بالزمالك بسعر غالي جدّا فقط لهذه اللحظة،

- ما تاخدي خالد يا مريم تفرجيه الجنينه والورد اللي إنتي زرعاه؟

قالت الخالة وعلى خدها غمزة خفيفة لمريم، حيث أنها تعلم أنه ليس هناك أي ورد في الحديقة في هذا الوقت من السنة، أحرجت مريم من الطلب، فكان أول ما خطر على بالها هو وجود مكرم بالمنزل أو لمحه أيهما في الحديقة سويًا، ولكن لم يكن هناك أي مفر من الموافقة عندما تشجع خالد وبادر بالتوقف مسرعًا، كأنه هو أيضًا كان يود لو تتوقف أمه قليلا عن هذا الكلام المستمر والواضح منه ما تصبو إليه، خرجت مريم وخالد إلى الحديقة، ودار بينهما حوار عادي في أمور عامة، ولكنها استشفت منه أنه إنسان هادي متزن، ربما لسنه فهو في الـ٢٥ من عمره، أو لتفوقه الدراسي الواضح أو لدراسته الطب.

دخلت مريم مسرعة بعد أن أجابته على بعض الأسئلة العامة عن هوايتها واستعدادها لدخول الجامعة، والتي جاوبت إجابات مقتضبة كسرته بدخولها المفاجئ، عندما سمعت

صوت باب عربية مكرم تقف أمام باب الفيلا الأمامي، وبعد أن رمت بجسدها على أول كرسي قابلته وكان الباب ما زال مفتوحًا، فوجئت بأمها تنده لمكرم حتى يأتي ليسلم على الضيوف، دخل مكرم رابط الجأش واثقًا في خطاه وابتسامته، يسلم عليهم فردًا فردًا، شاددًا بقوة على يد خالد ضاغطًا على أسنانه بتحية ثقيلة لم يفهمها سوى مريم، ناظرًا إليها من طرف خفي، مستمعًا لشرح السيدة آمال على الأخ غير الشقيق لأولادها وجيرة العمر كله، كما حكت عن إيفون في لمحة سريعة وكيف أنها أنهكتها اليوم معها في المطبخ وأنها بالتأكيد سوف تجيء بعد قليل لتسلم عليهم، ظهرت علامات استياء واضحة على وجه السيدة أم خالد، لم يلاحظها مكرم وهو يستأذن لذهابه للاطمئنان على والده الملازم الفراش، وأنه سوف يرسل والدته التي بالتأكيد منتظرة حضوره حتى تأتي هي لتسلم على الضيوف، لأنهم لا يتركون المقدس جرجس وحده،

- مقدس؟؟؟ مسيحيين؟؟؟؟

إنتي لو كنتي قولتيلي إنها حطت إيدها في الأكل مكنتش دقته؟؟

قالت أم خالد في تأفف واشمئزاز واضحين،

- ليه كده يا ست أم خالد؟؟ دول عشرة عمر وناس زي الفل، وهما .... وسكتت آمال فجأة عندما كانت ستقول إنهم هما اللي مربيين مريم، خشية أن تفشل الزيجة،

- معلش أنا أصلي مش بحب المسيحيين، ولا ممكن ناكل من إيديهم أو محل ملكهم، حتى لو عصير قصب، علي فكره يمكن مش كل الناس زي بس انا كده بقى إحنا ملناش غير في المسلمين الموحدين بالله، ولا إيه، ناظرة إلى زوجها وابنها حتى يعضدوها بالموافقة، ولكن دخول إيفون المفاجئ في أبهى صورها ورائحتها الذكية وفستانها الأسود القصير بجسدها المشدود، والحذاء ذي الوجه الرفيع العالي الكعب أخرس ألسنتهم جميعًا، سلمت إيفون على الحضور وجلست مدة قصيرة، ولكنها كانت كفيلة بإظهار مدى ثقافتها ورقيها.

لم تنته الليلة عند هذا الحد، ولم يؤثر كلام أم خالد يمكن مش كل الناس زي بس انا كده في المسيحيين حفيظة آمال بأي شكل، وكأن عشرة عشرين عامًا قد ذهبوا هباء أمام هذا العريس وأهله وآرائهم وكذلك استعلاء الأم، فعزم آمال على إتمام هذه الزيجة كان قد غطى على عقلها بالكامل، كأنه آخر عريس بالدنيا.

بعد منتصف الليل بمدة استيقظ المهندس محمد وعائلته بالكامل على صوت تكسير وصريخ شديد أتى من شقة المقدس

جرجس، هرولوا جميعا بما فيهم مريم بملابس النوم، ليجدوا الباب مفتوحًا على مصراعيه، ومكرم واقف بداخل الصالة في المنتصف يكسر كل ما تطوله يداه من آثاث وفازات وكرستالات إيفون الثمينة، واضح عليه السكر البين، وعيناه حمراوان تشعان غضبًا، ربما تناول بعض المخدرات أيضا في هذه الليلة.

تقف إيفون أمامه، واضح من احمرار خديها وعيونها المملوءة بالدموع أنها كانت تلطم وتصرخ، ومنظر المقدس جرجس الملقى بجسده هاوٍ خارت قواه على إحدى كراسي الصالون ممسكًا بيديه قلبه، إن حدثا جللا قد قيل لهم لتوه، وعندما دخلت أسرة المهندس محمد بأكملها هذا البيت الذي كان ذات يوم بيتهم بالضبط، والذين كانوا يملكون مفتاحه معهم دائمًا، كانوا لا يعلمون أنها المرة الأخيرة التي ستطئ أقدامهم جميعًا عتبته،

- تعالوا، تعالوا شوفوا المصيبة،

قالتها إيفون وهي تنظر لمريم نظرة كلها عتاب وغضب جم،

- أيوه بحبها، ومحدش حيتجوزها غيري، مريم دي بتاعتي أنا، ملكي أنا، بحبها وهي بتحبني، ومش ممكن تكون لغيري، أنا حاقتله، فاهمين؟ العريس دا لو جه هنا تاني حاقتله، مريم دي ليا أنا، ملكي لوحدي، بحبها وهي بتحبني، اسألوها،أهي أدامكم اسألوها.

قال مكرم صارخًا متحشرجًا صوته بدموع وغضب وانفعال، مكسرًا كل ما تطال يده في البيت، ولم تنته هذه اللحظة من استغراب وانفعال ودهشة وغضب ومفاجأة مفجعة للجميع، إلا بسقوط المقدس جرجس، بعد أن وقف ليحاول أن يضرب مكرم على وجهه طالبًا إياه أن يخرس عن هذا الكلام، عن هذا الكفر البين، ليسقط قبل أن تهوى يديه على خد مكرم، ملقيًا حتفه في لحظة.

●●●

#صداع

زحام وأصوات وأضواء.. ليل ونهار وأحداث.. آذان وقرآن وصلاة وصيام..

موسيقى وألحان وكلمات.. ضوضاء في كل خلية في الكون وفي جسدها المتهاوي..

صداع قاتل يشق رأسها بالنصف.. تقفل كل الأنوار.. كل العيون.. وتحاول التركيز..

تغوص في أعماق البحار.. حابسة أنفاسها.. تحاول الوصول للقاع.. معتقدة أن ارتطامها بالقاع قد يُخفي الصداع..

تفتح عينيها وعقلها محاولةً الخلاص.. وما زال الصداع.

obeikan.com

#صمتك.

صمتك يمزقني.. يقتلني.

عقابًا هو أم طوق نجاة.

أكنت سجّانك الخفي..

أم كنت حارسك الأمين..

كيف استطعت أن تقتلع جذوري من قلبك بكل سهولة هكذا..

كيف محوت صوتي وصورتي وكياني من عقلك بكل سرعة هكذا..

كاذبًا أنتَ.. عيناك تضحك.. وقلبك يبكي ألمًا..

أم متوهمًا أنا.. أعيش في أحلام خيالي..

أُكذِّب قلبي الذي رأى اشتياقك يصرخ..

أُكذِّب روحي التي أحسّت بروحك ترقص عندما رأتني..

وأُكذِّب عينيّ التي غاصت في أعماق عينيك.. تجفف دموعها التي ذرفت سرًا..

لماذا هذا الصمت المطبق.. في وسط الكلام.. وكل هذا الظلام في وسط النهار..

obeikan.com

أيامًا هي نافذة.. وأقدارًا باختيارنا..

لا نقوى على الرحيل ولا نستطيع..

فتوقف يا صديقي في وسط الطريق.. لا تحرك ساكنًا..

وأغمض عينيك قليلًا أو دائمًا..

وستهتدي الطريق مبصرًا ألوانه.. مطربًا بألحانه.. ومتيّمًا بروحه.

متحدثًا الآن بكل اللغات.. لكل اللغات..

أدركت أن الصمت مقتولًا منذ القدم..

ستهتدي الطريق عاجلًا أو آجلًا.

ستهتدي..

لأن قلبك هو من يرشدك.

●●●

obeikan.com

بعد ٢٠ عامًا

تتنهد في أسى وتقف لتجد أمامها على الحائط صورة زفاف، نعم هي هذه التي أعرفها، هذه مريم التي قاربت على العشرين ربيعًا، الجميلة ذات الشعر الأسود الطويل والعينين الواسعتين، الضاحكة المحبة للحياة، لكنها هنا في هذه الصورة ضحكتها كاذبة مصطنعة، وهذا الذي يقف بجانبها، من هو هذا الشاب الوسيم ذو الجسد الممشوق؟

إنه خالد بعد أن أنهى سنة امتيازه في كليه الطب، يوم فرحهم عشية سفرهم لأمريكا لقضاء شهر العسل المتصل بسنوات الدراسة للحصول علي الماجستير ومن بعدها الدكتوراه، تتسمر أمام الصورة، تحاول أن تسترجع هذه الأيام، فتنتبه أن باب الحجرة يفتح بعد أن خبط عليه أكثر من مرة، لتدخل شابة جميلة، ذات شعر بني فاتح كثيف، وبشرة بيضاء كالثلج، وعينان بنيتان واسعتان كعيني أمها..

- صباح الخير يا أحلى ماما في الدنيا،

كل سنة وإنتي طيبة. تقولها وهي تقبلها على خدها بحنية بالغة وتحضنها،،

ها قوليلي إيه بقى إحساسك وإنتي حتمي أربعين سنة النهاردة؟؟

سلمى ابنتها الصغرى، ذات السبعة عشر عامًا، في آخر سنة لدراستها الثانوية الأمريكية، وتقيم لها اليوم حفلة بمناسبة عيد ميلادها، في فيلتهم الشيك الضخمة بإحدى التجمعات السكنية بمنطقة القاهرة الجديدة،

- ياالله يا ماما إجهزي بقى علشان نروح للكوافير نظبط بقى ونشهيص. قالت سلمى وهي تضحك وتزغزغ أمها في وسطها،

- إيه نشهيص دي؟! لغة غريبة جدًّا اللي بتتكلمو بيها يا ولاد اليومين دول؟!

وقبل أن ترد سلمى رن هاتف مريم المحمول فنظرت إلى الرقم فرحة قائلة:

- ميكي؟؟ حبيبي إزيك يا قلب ماما

- كل سنة وإنتي دايمًا أحلى أم في الدنيا يا ست الكل، هتمي الـ٢٥ أخيرًا؟

رد كريم مازحًا بفرحة بالغة:

- وإنت طيب يا قلبي، أخبارك إيه؟ والجو، الجو ساقعة طبعًا عندك في أمريكا دلوقت، وخالك إزيه، ومراته وولاده؟ بتشوفهم؟

سألته مريم أسئلة متتابعة وبسرعة كأنه ترنك قديم سينتهي بانتهاء الثلاث الدقائق المتاحة له..

- كله تمام وزي الفل، وهيما بشوفه في الويك إند، وكلهم بخير وأنا زي الفل ولابس تقيل متخافيش عليّ.

رد كريم متعجلا قبل أن يهنيها مرة أخرى ويعدها بأنه سينزل مصر على إجازة الكريسماس مثل العام الماضي، ويستأذنها في الذهاب؛ لأن لديه محاضرة مهمة لا يستطيع التأخير عنها، مع تأكيد أنه سيكلمها مرة أخرى، ككل مرة ويتكلم بعدها بعدة أيام.

كريم، ابنها البكر والذي ولدته بأمريكا بعد سنة واحدة فقط من زوجها من خالد، وأسمته كريم تقربًا لاسم مكرم، كما أنها اعتادت ان تناديه ميكي، كما كان اسم مكرم للمقربين،

أنهى كريم دراسته الثانوية بإحدى أرقى المدراس الإنجليزية بالقاهرة، ثم سافر لدراسة الطب من أوله في جامعة جورج واشنطن بواشنطن، والتي كان يعمل بها خاله إبراهيم بعد ما تزوج من زميلته بكلية الهندسة، وسافروا بعدها للعمل بأمريكا والعيش بها وانجب أولاده الثلاثة هناك، واختارت مريم مع كريم جامعة جورج واشنطن لدراسة الطب ليكون بالقرب من خاله.

كـريم شـاب رياضـي الجسـم، ذو قلـب وإحسـاس مرهـف مثـل أمـه، الـذي يعشـقها كمـا أنهـا تعتبـره أول فرحـة في حياتهـا بعـد ماعانتـه في شـبابها، وسـبب اسـتمرار الحيـاة بينهـا وبـين خالـد مـن الأسـاس، أشـقر جميـل الوجـه والطلـة، وكان مثـار إعجـاب البنـات طيلـة عمره، لديـه حنيـة تقـول عنهـا مـريم إنهـا لـو وزعـت علـى أهـل الأرض مـا كفتهـم..

دمعـت عـين مـريم قليـلا عندمـا سـمعت صـوت كـريم وتذكـرت طفولتـه، وكيـف مـرت بهـا الأيـام بهـذه السـرعة، وهـي تـرى ابنهـا وابنتهـا قـد صـارا شـبابًا وأصبحـا أطـول منها، ثـم مـا لبثـت أن نظـرت لسـلمى، متسـائلة في داخلهـا، هـذه الشـابة الجميلـة، المرحـة المنطلقـة، تراهـا هـل تحـب؟؟

ألم أكن في مثل عمرها البارحة، غارقة في الحب،،

نعـم في هـذا السـن كنـا في أجمـل فتـرات حبنـا إشـراقًا وبهجـة، تـرى هـل تحـب سـلمى؟ مـن؟ مـاذا تفعـل معـه؟؟ أكانـت مثلي؟؟ تعشـق حبيبهـا ؟؟ هـل يحبهـا مثـل مـا حبنـي مكـرم؟؟

هل يخاف عليها؟ ويحافظ عليها مثلما كان يفعل معي مكرم؟؟

مكرم....؟؟؟

تتنهد تنهيدة تحرق كل الستائر التي ذهبت

سلمى لتفتحها، مكرم؟؟

هل مازلت أسأل أين هو الآن؟؟

هل مازال يتذكر أن اليوم هو عيد ميلادي؟؟

ترى ماذا كان سيهديني هذا العام؟؟

تنظر إلى المرآة فتجد زجاجة العطر (no5) فتضحك بنصف ابتسامة ممزوجه بغصة في قلبها،

هل أخطر على باله دومًا كما يخطر على بالي؟؟

لماذا لم يبحث عني كل تلك السنين الماضية؟؟

لقد بذلت في البحث عنه الكثير بلا جدوى،،آخر ما أتذكره هو رؤيته وهو سكران مخدر يكسر في البيت معلنًا للجميع حبنا، قبل أن يسقط والده متوفيًا،

- مامي، مامي؟ ندهت عليها سلمى عدة مرات، قبل أن تجيبها:

- ها. نعم

- سرحتي كل ده في إيه؟؟ سألتها سلمى في استغراب..

- سلمى.. انزلي إنتي حبيبتي إفطري، وأنا شوية حاجهز وحاحصلك، خرجت سلمى من الحجرة كما طلبت منها مريم،

فأغلقت الباب خلفها بالمفتاح، وذهبت إلى الدولاب البلكار الكبير بغرفتها، وضعت كرسي التسريحة ووقفت عليه، لتفتح آخر ضلفة في الدولاب بمفتاح خاص، وتلتقط صندوقًا خشبيًّا مبطنًا بقماش سيناوي بدوي صوف، تحتضن الصندوق وتنزل لتضعه أمامها على السرير وتغمض عينيها وهي تستنشق ترابه كأنها تستشنق عبق التاريخ كله، أو كأنها تستجمع قواها حتى تواجه هذه اللحظة، لحظه لقاء الذكريات نعم فهي كلما كانت تشتاق لمكرم ويجرفها الحنين وتفتقده، أو تمر عليها إحدى المناسبات كتلك التي فيها هي اليوم، تحضر هذا الصندوق والذي حافظت عليه وعلى أسرارها بداخله طوال الـ٢٠ سنة المنصرمة، فتحت الصندوق وكأنها تفتح تلفازًا لتشاهد فيلم حياتها يمر مع كل صورة تنظر فيها، مع زجاجة عطر فارغة، ولكنها كانت هديته الأولى لها، مع هذه القلادة الذهبية بحرف اسمها الأول والتي صنعها له مكرم بيده، خطاباته لها والتي ما تزال تحتفظ برائحته، كلماته التي تشعر أنها تتقافز أمامها متناثرة في الهواء تدور حولها وتتغلغلها، صورهم مع العائلة في رحلات الصيف وفيلا العجمي، طفولتهم سويًا، أيام العجل والحرية والانطلاق والضحكات التي كانت تخرج من القلب فتكاد تجعل الصور تتكلم، أخواتها، وآمال

- بابـا.. اللّه يرحمـك يـا بابـا، تضـع صورتـه معهـا علـى فمهـا لتقبلـه، وتبكـي محتضنـاه..

تمسك صورة أخرى، إيفونا..

تطيل النظر إليها وإلى ابتسامتها، حنيتها في احتضانها إياها، هذه الصورة يوم نتيجة الثانوية العامة..

إيفون، لماذا لم تبحث هي عني، أهي حقًّا غاضبة مني إلى الآن؟؟ هل صدمتها في اكتشافها علاقتي المحرمة المنوعة من وجهة نظرها تجعلها تكرهني؟؟ ألم أكن ابنتها؟؟ كما كانت تقول دومًا: أتكره الأم ابنتها لأي سبب كان؟

أم تراها تعتقد أنني السبب في وفاة المقدس جرجس في هذه الليلة المشئومة..

غدًا يمر ٢٠ عامًا على كل هذه الأحداث..

ولم تتوقف مريم في كل عام عن تذكر هذه الواقعة بتفصيلها دون أن تردد على نفسها ذات الأسئلة، ولكن بدون إجابة..

●●●

#لست_أنا.

لست أنا هي التي بداخلي..

فالمرآة تحكي كذبًا.. كيف لي أن أنظر إلى المرآة فلا أراني أنا أنا..؟؟ هذا شيء عجيب.. أغمض عينيّ وأفتحهما.. لا لست أنا...؟ من هي تلك إذن..؟؟

هي أنا والتي لا يراها غيري.. في يقظتي وغفلتي. وحدي ومعي العالم..

هذه هي التي تراودني دائمًا.. تحوم حولي من كل اتجاه.. كأنه مس شيطاني مخيف.. تجرني وراءها لأوهام وأحلام.. تحاول أن تقتلني من شدة الغيرة منها.. أكرهها أحيانًا من شدة تعلقي بها.. أرفضها ظاهريًا.. وأعبدها بكل جوارحي..

كيف أجعل نفسي دميتها.. تتلاعب بي وتلفظني في بطن حوت في بحر سحيق في ظلام دامس.. وتلهيني عن تذكر دعاء يونس للنجاة..

أظل عبدة لها برغم ولهي وتعلقي بها.. أموت بها أم أقتلني للتخلص منها..

كيف الخلاص من نفسي...؟

جلست أمام المرآة بعد أن استيقظت خلال هذه الليلة أكثر من أربع مرات، مرة من الألم ضرسها الذي تهمله منذ أكثر من شهر، ومرات من نوبات الأرق التي أصبحت تصاحبها كثيرًا خلال السنوات الماضية، قامت بثقل غريب وحالة من الملل والتأفف تصاحبها بكسل لتضع قدميها في نعلها المنزلي الستان الأبيض، وتمد يديها لتلقط الروب لترتديه على قميص نومها القصير، وتلفت لتجد نفسها أمام المرايا الضخمة التي تزين تسريحتها ،لتجلس فجأة على الكرسي الخاص بها، وتنظر إلى هذه السيدة التي وجدتها في المرآة فجأة تتسمر في النظر وتثبت عينيها عليها، وعلى هذه الشعيرات البيضاء التي سرحت على مقدمته، وهذا الجسم الذي ترهل من جراء الزمن وخلفه الأطفال، وهذه العيون الذابلة الحزينة والمنكسرة، تتنهد تنهيدة طويلة، فهذه التي في المرآة واحدة أخرى غير التي بداخلها والتي تعلمها جيدًا..

●●●

#الحنين.

كيف للحنين أن يجرح هكذا..؟؟

كيف للاشتياق أن يكسر القلب هكذا...؟؟

كم تمنت أن تنظر الآن إلى عينيه.. كانت تراهما دائمًا مصدر قوّتها.. تفيض منهما الطاقات الهائمة في كل المدارات.. عيناه بالنسبة لها هما طوق النجاة.. هما الرحلة الأخيرة التي تتمنى السكون عندها..

كيف للحنين والاشتياق أن يخنق الدمع ويكتم الأنفاس..؟؟

لماذا نقهر الإحساس ونوئده وأدًا..؟؟وقفت تنظر إلى صورته،خطابته وتغمض عينيها لترى ذكرياته . أحاديث وكلمات وحكايات لم تسمعها.. ولا تحب أن تفهمها.. تمنت فقط أن تراك لثواني ،، لتخبرك عيناها كم اشتاقت إليك.. كم تفتقدك..

وقفت تسبقها دموع تسيل كماء مطر منهمر في غير أوانه..

وكسرة قلب كان يرقص من الفرح فسقط من يد طفل تعثّر عمدًا وأطاحه..

ناظرة إلى السماء تحاول معرفة الطريق..

مدركة أنها بداية نهاية الطريق.

●●●

obeikan.com

طبيب الأسنان

ذهبت مريم مع سلمى إلى الكوافير الشهير بإحدى كبرى الفنادق بالقاهرة، فصبغت مريم شعرها بلون كستنائي فاتح، كما أنها كانت قد قصته منذ فترة طويلة ولكنه لم يطل من وقته، فأصبح دومًا يلامس كتفيها، ومن حين لآخر تغير في طول القصة وتدرجه من الخلف قليلاً حتى يعطي كثافة، بعد أن خف كثيرًا جراء ارتدائها الحجاب منذ عشرين عامًا مضت.

وفي المساء يحضر أحمد أخوها الأصغر مع زوجته الشابة، وترافقهم آمال، والتي تقطن معهم في نفس العمارة، شقتها تحت شقتهم، وأمامهم شقة إبراهيم المسافر هو وزوجته وأولاده إلىأمريكا،تعيش آمال مع خادمة كبيرة في السن، ولكنها الوحيدة التي تحملتها في آخر سنتين كاملتين، ولذلك فإن مريم وأحمد يحبانها كثيرًا لأنهم بدونها يكون الوضع في غاية الصعوبة، فبعد موت المهندس محمد في العام ٢٠٠٥ بعد إصابته بنزيف في المخ، وكان إبراهيم مع أنه الأصغر إلا أنه تزوج قبل وفاة والده وبعد تخرجه من الجامعة، ليسافر مع عروسته إلى أمريكا ويستقران هناك وينجبان ٣ أولاد، بنتين وولد، سمى ابنته الكبرى مريم على اسم اخته الحبيبة، وتزوج أحمد بعد وفاة والده وكان قد

تخطى الخامسة والثلاثين، وأنجب ولد وبنت ثم طلق زوجته بسبب علاقاته النسائية المتعددة والتي اشتهر بها، وتزوج منذ عامين زوجته الحالية ولم ينجب منها، وكان السبب الرئيسي في جوازه هذه المرة هو الهروب من الإقامة في منزل واحد مع والدته، لأنها كانت شديدة العصبية والتحكم، وكان هذا أيضًا سبب سفر إبراهيم عند أول فرصة سنحت له، ثم توالى الحضور من أهل وأصدقاء وبعض الجيران المقربين، حيث أن مريم لم تمض سوى أشهر بسيطة كل عام منذ أن اشترى خالد هذه الفيلا في بداية الألفيه الجديدة، وأوكل تشطيبها إلى أرقى مهندسي الديكور في مصر، فهي فيلا كبيرة جدًّا بحمام سباحة وحديقة واسعة مرتبة بعناية فائقة، وبها جلسات عدة ومطبخ خارجي وحجرة للحارس والسائق، وهذه الفيلا لا تقل عن فيلا جده بالسعودية والتي عاشت بها مريم أكثر من خمسة عشر عامًا، لا تقل عنها غير في الهواء المحيط، فهواء جده أغلب السنة غير محتمل، كان ألم الأسنان يشتد على مريم كل فترة أثناء الحفل، فتستأذن لترجع إلى حجرتها لتاخذ مسكن تلو المسكن، بل إن الصداع في إحدى المرات جعلها تصرخ من الألم، ولكنها تحاملت على نفسها حتي لا تفسد حفلة عيد ميلادها والتي تعبت فيه سلمى تعبًا جمًّا ورتبته ترتيبًا يليق بها، والسبب الآخر هو الخوف من رد فعل السيدة آمال،لأن مريم في هذه اللحظة كانت لا تحتمل أي كلمة من أمها تحديدًا،

اتصلت منال الجارة المقربة من مريم، والتي لا تتعدى معرفتهم السنتين ولكنها تشعر بأنها أختها التي لم تلدها أمها، فهي تصغرها بعشر سنوات ولكنها أحيانًا تشعرها أنها ولي أمرها، فمريم عاشت فترة طويلة خارج مصر، ولم تعش التغير الجذري في المجتمع المصري في الأونة الأخيرة..

كما أنها سيدة قوية صديقة مخلصة وتحب مريم من قلبها، وعندما رأتها ليلة البارحة تغوص في ألم أسنانها لم تهدأ حتى سألت على أقرب دكتور أسنان لمنطقة سكنهم المتطرفة بعض الشيء عن القاهرة، كما أنها اتصلت بالعيادة بعد أن اطمأنت على مهارته وأخذت أقرب ميعاد واتصلت بمريم لتبلغها:

- الساعة٥ حاعدي عليكي تكوني جاهزة، أنا خدت لك ميعاد مع دكتور أسنان سألت عليه كتير وقالولي ممتاز، ولسه جاي من بره.

قالت لها منال منهية الأمرمتخذة لها القرار بالفعل، لم يكن لها أن تعترض لشدة الألم التي كانت فيه،كما كان القدر يخبئ لها في هذه الزيارة الكثير..

دخلت مريم ومنال للدكتور نبيل جورج، شاب ولكنه من مظهر العيادة وشياكتها ونظامها ورائحة التعقيم تدل علىأنه متمكن.

وبعد أن كشف على مريم بعد الترحاب، قرر أن يخلع لها الضرس الذي يؤلمها، وطلب منها أن تجلس قليلاً حتى يأخذ البنج مفعوله، فما كان من منال حتى تقطع هذا الصمت سواء بسؤاله عن أحواله وأين كان من قبل، فبدأ الحديث بأنه ابن طبيب أسنان شهير وكانوا يعيشون بفرنسا حتى عام واحد مضى، أراد أبوه أن ينهي حياته ويدفن بوطنه الأم بعد أن قضى عمره كله هناك، فما كان من الابن غير موافقة أبيه على رغبته، واضطراره أن ينزل معه ويفتح هذه العيادة الخاصه به..

- دا والله من حسن حظنا. قالت منال مبتسمة

غير أن مريم عندما سمعت كلمت فرنسا، سرحت قليلا في ذكرياتها، وكيف أنها تعلم أن إيفون ومكرم قد سافرا إلى فرنسا بعد٣ أشهر فقط من وفاة المقدس جرجس، وأن أخوال مكرم هناك وذهبوا للاستقرار معهم..

كم زارت مريم فرنسا من قبل، وكانت غير عاشقة للسفر إلى أي من دول العالم سواء لهذه البلد التي كانت تعلم أن لها بها قلب تائه، كم مشت في شوارع باريس تبحث عنه، تنظر في الوجوه في المحلات والطرقات تكاد توقف من تكون ملامحه عربية لتسألهم عليه، مرات ومرات حتى أعيتها الحيل، تحاول جاهدة تذكر أي من حكايات مكرم أو إيفون على هؤلاء الخيلان الثلاثة، أسماؤهم، ماذا كانوا يعملون؟؟ أي خيط تصل به إليهم ومن ثم إلى مكرم وإيفون،

كل معلوماتها في هذا الوقت أنهم كانوا قد سافروا إلى فرنسا بعد تخرجهم من مدرسة الفريرالفرنسية واستقروا هناك وافتتحوا تجارتهم، ماهي هذه التجاره لا تعلم؟ كانت تتذكر اسم ماجد فقط، هو أقرب أخوات إيفون إلى قلبها وكم كانت تحكي عن قصص طفولتهما معًا، ماجد منير، أخو إيفون منير!

بحثت في سجلات الهاتف، بحثت في كل وسائل التواصل الاجتماعي منذ بداية ظهورها، باسم مكرم جرجس، أو ماجد منير، تبحث في كل الأسماء المشابهة، تدخل على صفحاتهم لتنظر إلى صورهم، عسى أن تجد أي خيط يوصلها بهم، بلا جدوى..

سنين وسنين تبحث، تنتهز أي من الفرص لتسافر إلى فرنسا، تحول رحلاتها مع أولادها إليها بعد أن يئسوا من أن يزوروا أي بلد أوروبي آخر، لمعرفتهم أن والدتهم تعشق فرنسا ولا يعلمون لماذا بدأ البنج يأخذ مفعوله وبدأت مريم تشعر بتنميل في فكها ورأسها، ومن كثره الذكريات والتخيلات بداخلها شعرت بأنها لم تكن تصغي جيدًا لكلام الدكتور نبيل بمرسليا عندما قال إنهم كانوا يعيشون وسط جالية مصرية كبيرة بمرسليا، فمرسيليا هي ثاني أكبر مدن فرنسا وبها ميناء تجاري كبير على البحر المتوسط مباشرة، فهي جاذبة للمصريين وخصوصًا أهالي الإسكندرية لقربها منها،

فجـأة تكلمـت مـريم في وضـع أشـبه بمـن أخـذت مخـدرًا كليًّـا وليـس مخـدرًا بسـيطًا في فمهـا..

- أنا كان عندي جيراني هاجروا إلى فرنسا من ٢٠ سنة،

-فين في فرنسا؟؟ سألها دكتور نبيل

-لا مـش عارفـة الحقيقـة، أكيـد في باريـس، جاوبـت مـريم بحـروف غيـر واضحـة مـن أثـر تنميـل فمهـا،

- أه واضـح إن البنـج اشـتغل، قالهـا الدكتـور نبيـل وهـو يعـدل كرسـيه ويمسـك أدواتـه ليسـتعد لبـدء نـزع الضـرس المصـاب..

- مكرم جرجس

قالـت مـريم كأنهـا صيـاد بائـس فقيـر يرمـي شـبكته في البحـر الشاسـع في محاولـة يعلـم جيـدًا أنهـا حتمًـا سـتخرج خاليـة الوفـاض.

-ميكي؟؟ قالها الدكتور نبيل وهو يرجع بكرسيه فرحًا..

●●●

رقم التليفون

جالسة في سيارة صديقتها تمسك هاتفها كأنه طفلها العائد بعد غياب، لا تعلم إذا كانت تحت أثر المخدر أم تحت أثر المفاجأة، فكلاهما لهما نفس التأثير، بل إن أثر المفاجأة كان أقوى وأعمق من ألم خلع الضرس وما تبعه من أوجاع، تشعر بأحاسيس متضاربة، فرح، خوف ، ذهول، عدم تصديق، لربما كنت أحلم، تحدث نفسها سرًّا..

فتفتح الموبايل، لتشاهد الرقم المرسل إليها بعد أن أخذ د. نبيل رقم هاتفها وأرسل لها نمرة مكرم على الواتس أب..

تتذكر ما حدث منذ فترة قصيرة..

بعدما قال لها دكتور نبيل اسم ميكي!

اعتدلت فجأة غير مصدقة أو متوقعة سماع هذا الاسم والآن، اليوم تحديدًا،

- حضرتك تعرفه؟؟ تعرف مكرم جرحس؟؟ أيوه هو ميكي؟؟ إنت تعرفه؟

سألته مريم في شبه ذهول:

- ده حبيبي، كلهم حبايبي، دا إحنا أكتر من أهل، عشرة عمر زي ما بيقولو هنا.. رد دكتور نبيل وهو يستعد لخلع الضرس فلم يعط لها فرصة مزيد من الأسئلة، كانت تود أن توقفه، تقول له فليذهب الضرس الآن إلى الجحيم، اتركني أتحدث أرجوك، أحكي عنه، حدثني، كيف حاله؟ كيف شكله الآن؟؟ أحدثك عني؟ أمازال يتذكرني؟؟ إيفون، أتعرفها؟ تقول إنك تعرفهم جميعهم، كيف إيفون؟ أمازالت غاضبة مني؟؟

مائة سؤال وسؤال تقاذف إلى ذهنها الآن، ومن ثم شعرت بجسمها ينتفض ، لا تعلم من الألم أو الدماء السائله من فهما، أم الاضطراب الذي أحدثته المفاجأة، لم تكن تستوعب بعد، هل فعلا هو من قال لها إنه معه تليفونه الخاص وتليفون العمل؟ العمل؟ أي عمل؟ ماذا يعمل؟ كيف هي زوجته؟ هل لديه أطفال؟؟ كم؟ ما أعمارهم؟ ما أسماؤهم؟ بالتأكيد لديه ابنة أسماها مريم، بالتأكيد..

مازالت لا تستطيع الكلام، فقط شاورت له بالموافقة عندما عرض عليها أن يعطيها أرقام هواتفه، بل إن منال هي من ألقنته رقم هاتف مريم ليرسل عليه أرقام مكرم في ثانية ناظرة إليه وهو يتم هذه العملية، ثانية، نعم ثانية واحدة فقط هي ما استغرقها

الدكتور نبيل في إرسال أرقام مكرم لهاتف مريم، سمعت هاتفها يرن بخفة معلنًا وصول الرسالة المرساله حالا،شعرت أنه يرقص فرحًا، وأن هذه الرنة الصغيرة لحن عزفه موسيقار ماهر لها خصيصًا، هكذا هي الحياه إذن، بعد كل هذا الجهد، وهذه السنين، بعد كل هذه الذكريات والتي باتت ذكريات فعلا ماضية في الواقع، حاضرة كل لحظة في كل يوم في قلبها، بعد كل هذا البكاء والوجع، الأمل والسراب، يأتي يوم غير مدرك على خريطة الزمان، لمقابلة شخص أبعد ما يكون عن خيط أمل في شباك الصياد التعيس، في يوم مليء بالذكريات الحزينة والألم النفسي أقوى من الألم الجسدي، يأتي كل هذا صدفة فجأة بدون سابق إنذار،لا.. لا يوجد شيء في الحياة اسمه صدفة، (وفي سفرك كتبت أيامي كلها وصورتك قبل أن يكون منها شيء) مزمور ١٣٩/١٦ (لأن الله كان يعلم مسبقًا ماذا سيعلمون) الحكمة٩/١ هكذا كانت تقول إيفون دائمًا، كم حفظت من الكتاب المقدس وتعاليمه على يدها ومن كلامها..

لم تعلم منال كل ما يدور في ذهن مريم في هذه اللحظة، وكل ما بدر منها من أفعال غير مفهومة واضطراب شديد، أرجعته منال إلى حالة مريم الصحية وما تابع خلع الضرس من الألم..

- تحبي نروح نشرب حاجة، ولا تعبانة مش قادرة؟ سألتها منال

شاورت لها مريم بيديها بأنها لا تستطيع..

عندما دخلت مريم حجرتها ارتمت على السرير في شبه ذهول، وهي مازالت تمسك بموبايلها في يديها، تنظر إلى الأرقام وتمعن النظر فيهم كانها تبحث عن ملامح مكرم بهم، أليست هي أرقامه الخاصة؟؟ فمن المؤكد أنها مرتبطة به ارتباطًا وثيقًا، دارت في رأسها العديد من الأسئلة، والتي باتت تحفظها عن ظهر قلب،

- أأكلمه الآن؟ كم الساعة الآن بمرسيليا؟؟ أتراه سيرد مباشرة؟ ماذا أقول له؟ أأعاتبه على الاختفاء؟ هل سأصرخ فرحًا عند سماع صوته؟؟ ماذا سيكون رد فعله؟ هل سيعاملني بجفاء؟؟ لا لا أعتقد، إذا كان مازال لديه في قلبي مكانة، فبالتأكيد مازلت بقلبه أنا أيضًا،،

تخادعين نفسك، هذه عشرون سنة كاملة، لم يبحث عنك فيهم ولا مرة واحدة، وبعد أن هدأت الأمور سافر مع والدته بدون حتى وداع، خطاب، كلمة واحدة..

تحدثها تلك التي بداخلها وتكلمها دائمًا بما لا تهوى..

لم أره منذ تلك الليله المشئومة، إنها في مثل هذا اليوم، ثاني يوم بعد عيد ميلادي التاسع عشر، عندما سقط والده ميتًا أمامنا، وصرخت إيفون في كمد بالغ، لم أدر بنفسي أنا الأخرى، وعندما فقت وجدت نفسي في مستشفى غريب، تحيط بي أمي وخالتي، تتقاطر أعينهما غضبًا وحنقًا شديدًا عليّ، كتموه فقط عندما دخل والدي المضطرب آنذاك مع الدكتور والذي كان يتحدث إليه بصوت خفيض، فشاور لوالدتي أن تأخذ خالتي وتمكث في الخارج قليلا، حتى يتسنى له فهم حالتي بالظبط، وعندما شرح له الطبيب أنها حالة من الصدمة العصبية الشديدة، والتي ربما تؤثر عليّ إذا لم يتعاملوا معها بحكمه بأثر بالغ من الممكن أن يستمر سنين، وطلب منه أن يبعدني عن أي مؤثرات خارجية تلعب علىأعصابي الفترة القادمة، كما طلب منه أن أظل تحت رعايته ثلاث ليال قبل أن يكتب لي إذن بالخروج، وعندما دخلت والدتي وكانت قد بيتت النية على القضاء على ما تبقى لدي من أعصاب، وقف لها أبي هذه المرة وهي المرة الأولى والأخيرة بالمرصاد،،

تكلم بحزم مع أن صوته كان مخنوقًا بدموع واضحة، إنه لن يسمح لها بأي عتاب الآن لي، ولا حتى سؤال، وأنه قد قرر أن نخرج من المستشفى على بيت جدتي بالهرم، ونمكث هناك عدة أشهر، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا..

وأن ما سيقال أمام العريس وأهله أو أي من الأقارب أو الجيران، إني قد صدمت من هول وفاة أبي الثاني المقدس جرجس ولم أستطع أن أتواجد بنفس المنزل لفترة، وبعد ذلك نقول إن منزل الجدة بالهرم كان مناسبًا أكثر لي في الذهاب والعودة لكليتي بالزمالك، ومن ثم في هذه الفترة نبحث عن سكن جديد ونبعد عن كل المشاكل، أتذكر نفسي وأنا أسمع أبي ودموعي تنساب على خدي بدون صوت، لم أفهم أو أحاول أن أفهم، دعوت الله أن أموت في هذه اللحظة، لحظة تحديد مصيري، بعيد عن مكرم وإيفون، موت عم جرجس بسببي، ماذا سيحل بنا؟ ماذا ستفعل أمي بي بعد ما سمعته بأذنيها؟

أعيتني الحيل والتفكير فأغمضت عيني متظاهرة بالنوم، حتى تأتي ساعه انصرافهم..

كنت على يقين بأني بان حدسي لن يخيبني، منتظرة دخول مكرم إلى هذه الحجرة الكئيبة، تتبعه إيفون في ملابس حدادها، يقبلاني ويحتضناني بحنان بالغ، شاهرين السيوف والرماح في وجه العالم كله، وهم يأخذاني معهما، انتظرت وانتظرت، ولم يأتيا..

سألت الحكيمة آلاف المرات، حين كانت تخرج أمي، هل اتصل بي أحد، ترد بالنفي وأن التليفون في الحجرة لو كان قد رن

سوف أسمعه قبلها، تخرج فأنظر إلى إبراهيم أخي بعطف أسأله إذا كان من الممكن أن يتأكد من أن التليفون يعمل، أم ربما قد أصابه عطل أكيد!! فينزل إلى الأرض ممسكًا بالكابل الكهربائي يحركه بيده، ثم يرفع السماعة، قال إنه يعمل، وفي عينيه شفقه وبؤس، وفي المساء عندما يرحلون، أصرخ وأصرخ وأصرخ، حتى تهرول الحكيمات مندفعات إليّ، يربطوني بحبال ويدسون الكثير من الألم في جسدي، يقولون إنه مخدر قوي سيجعلها تنام، أنام بالفعل ولكن قلبي لا ينام، لا يهدي، حكت لي إحدى الحكيمات أنني قد أخذت مسكنات ومخدرات تسكن فيل، ولكنها كانت ترى بعينيها دموعي تنسكب على خدي، متحدثة بكلام لم تفهمه، به الكثير من التأوهات والاعتراضات، على كل شيء وكل أحد.

تحلف لي أن قلبها كاد أن ينفطر على حالي، صغيره أنتي يا ابنتي على هذا، ترى ماذا حدث لكي تعاني كل هذه المعاناة، تسأل نفسها..؟

لا أعلم هل استطاع أبي أن يحضر جنازة عم جرجس؟ هل وقف بجوار مكرم يتلقى فيه العزاء؟

لم أعرف ولم أستطع أن أسأل هذا السؤال أبدًا،ثم خرجت من المستشفى بعد عشرة أيام كاملة، جسدي النحيل لم يستوعب كم الأدوية والألم النفسي المصاحب، وعرض الدكتور علي والدي

أن أتابع مع متخصص نفسي، ولكن أمي وخالتي كانت لهما اليد العليا الآن..

- دكتور نفساني؟ أهو دا اللي كان ناقص، يقول على بنتي إتجننت بعد ما حبت المسيحي! قالت آمال في استهزاء..

المسيحي؟؟ أصبح اسمه الآن المسيحي؟؟ ألم تربيه معنا كل هذه السنين؟. اختفت عشرة عشرون عامًا وأكثر في لحظة، وبسبب ماذا؟؟

لقد أحببنا بعضنا بعض، قلوبنا هي من تمادت وكسرت القيود والحواجز..

ألم يقل الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة في حب عائشة: «ربي لا تلمني بما لا املك».

ليس لنا الاختيار عندما يقرر الحب، نعم أحببته، ومازلت أحبه، ولم ولن أرى مثل حبه ما حييت، ترجع مريم من هوجة الذكريات المندفعة على رأسها كقطار جامح خرج عن قضيبيه، فتجد أن عينيها مازالت مثبتة على أرقام مكرم، تسجل الأرقام بالاسم وتبحث عنه على خاصية الواتس أب، الآن سأرى صورته على الأقل، لتفاجأ أن ليس هناك له صورة،فالمربع خالٍ..

أأحدثه الآن؟؟ أم أنتظر حتى يخف ألم ضرسي والذي بدأ في الزحف بقوة حتى على كامل رأسها، فمفعول المخدر قد ذهب،أشعر أن صوتي سيخرج ليس على طبيعته، سأنتظر قليلا، ربما أحاول أن أنام، هكذا حدثت مريم نفسها..

فقامت متحاملة تحاول خلع ملابسها وأداء فريضة صلاة العشاء، قبل أن تطرق سلمى حجرتها..

- عملتي إيه عند الدكتور يا حلوة؟ تسألها تلك الابنه المبهجة دائمًا..

تضحك مريم في ضعف مشاورة على القطن المليء بالدماء والذي يسد مكان الضرس وأنها لا تستطيع الكلام الآن..

- طب أجبلك أي حاجة تشربيها أو تكليها، تسألها في عطف بالغ متأثرة برؤية وجه أمها المنتفخ.

فتشاور لها مريم أنها ستنام قليلا لترتاح،

- طيب يا حبيبتي، أنا هنا قريبة، حاقعد مع أصحابي في الكلاب هاوس، سنية وماري تحت، ولو عوزتي أي حاجة رني عليّ حاكون عندك في ثانية. قالت سلمى وهي تطبع على جبينها قبلة صغيرة، وقبل أن تخرج سلمى تستدير متسائلة في استغراب:

- هو بابا ماتصلش؟ أنا كلمته كذا مرة مردش، وكل ما أكلم المستشفى، يقولوا في العمليات؟

لم تنتظر رد من مريم والتي كانت ليس لديها أي إجابة..

عندما وضعت رأسها على وسادتها الوردية اللون

نظرت إلى الضي القادم من الشباك المطل على حديقتها الغناء، وعندما أمعنت النظر ووضحت الرؤية، وضح لها القمر بدرًا، القمر بدر، كم تعشق القمر وهو بدر، كم لها من الذكريات فوق ذلك السطح الصغير الجميل، أيام تلألؤ القمر، إحساس غريب يتحسسها، فتمسك للموبايل وتنظر ثانية إلى الأرقام مكرم، ومن ثم تحتضن الموبايل بشدة وتغمض عينيها، فتراه أمامها، تشعر بأنفاسه في وجهها،تشتم عبير عطره يغلف حجرة نومها كلها، وتسمع صوته حاملا ضي القمر المتسلل إلى سريرها مباشرة، تبتسم ابتسامه حالمة، تفتح شفتاها قليلا لتتلقى قبلته لها، وتغوص في هذه القبلة التي مازال مذاقها عالقًا في فمها حتى بعد مرور عشرين عامًا..

●●●

بنت_العشرين.

كانت تعلم أن لأيامها وأنفاسها السابقة مكانًا معلومًا بداخلها.. فهي كالبحر لا تنضب أبدًا..

وكانت تفتح أدراج الذكريات من أنٍ لآخر.. فتستدعي مع كل صورة أنفاس وألوان وحياة. تعيش بهم بضع ساعات..

وعندما تصعقها صاعقة الزمن وتدرك أنه ماضٍ قد مات..

تجمع أشلاء الذكريات.. وتفتح خزانتها الجديدة وتأويهم بين ثنايا القلب.. حتى يعاودها الحنين..

ولكن هذه المرة فاجأها الحنين.. لم تستدعِه أو لربما استدعته في غفلة منها..

كانت ذات يوم مشمس جميل.. جالسة على البحر مراقبة اتصاله بالسماء.. تسترق السمع لحديثهما الغامض المثير.. محركًا بداخلها الكثير من الأشواق.. ففي اِلتحامهما قصة حب أبدي.. لطالما فكرت في الحديث المستمر بينهما.. ماذا يبوحان لبعضهما كل هذه القرون؟؟

.. ألم يزورهما المَلل والرتابة والروتين..؟

كيف يشع الحب منهما دائمًا في حضن سرمدي جميل..؟؟

وعندما تعالت الموجات راقصة بفرح عارم ملامسة نجوم حبيبها..

خرج ليقف أمامها.. هو بذاته.. ليس خيالا ولا رتوشًا مطموسة من ذكرى..

عشرين عامًا قد قذفها موج البحر ليبتلعها ويخرجها عروسة بهية.. جميلة منطلقة.. حرة..

غمرها الموج وأخرجهما سويًا.. ناظرة إليه غير مصدقة.. أهذا أنت؟؟.

أأنت القلب الذي كان ذات يوم يملأها؟؟

أأنت اليد التي كانت تنام بين ثنايا يديها.. تدللها.. وتسهر على راحتها؟؟

أأنت الصدر الذي كان يخطفها داخله ويحكم قفصه الحريري عليها..؟

أأنت الحضن الذي كان يحميها ويقتل كل من حاول الوصول اليها؟

أأنت الذي ذات يوم ودعها.. قائلاً سآخذ حبكِ معي يدفئني في ليال شتاء غبية؟

obeikan.com

واليوم تعبر كل هذه البحار والأعمار والبلدان لتفاجأها.. حاملاً قلبها بين يديك تطمئنها..

ها أنا قد عدت يا صغيرتي فلا تخافي.. سأمحو عنك كل الليالي الكالحة.. سأطهرك من كل الذنوب السابقة..

سأعيدك بنت العشرين. صبيّة..

باسطًا يديه فتنام بين كفّيه، كطفل اشتاق إلى النوم في حضن أمه بعد ساعات عصيبة..

آخذًا رأسها في صدره.. كعصفور وجد عشه بعد تيه.. وكان أمله في الرجوع منتهيًا..

أغمضت عينيها بشدة وقررت ألا تفتحهما.. فإذا كان حلم فستدعه يركب قطاره إلى نهاية لا تعلمها..

فهي تشعر بسعادة تغمرها بماء كل البحار.. ولمعة كل نجوم السماء.

يكفي أنها قد رجعت بنت العشرين

صبيّة..

●●●

obeikan.com

obeikan.com

المكالمة

استيقظت مريم على صوت منبهها، فهي دائمًا تظبطه على ميعاد قبل صلاة الفجر بعشر دقائق، فهي ومنذ بدأت إقامتها بالمملكة السعودية بعد عودتها من أمريكا والتي قضت بها أربعةأعوام، أنجبت فيهم كريم وسلمى، أقامت أكثر من خمسة عشر عامًا كاملاً هناك..

اعتادت من ذلك الزمن على صلاة قيام الليل، والتي كانت تناجي ربها بها بدعاء طويل وشبه ثابت طوال تلك السنين، كان يزيد دائمًا ولا ينقص، فبعد وفاة والدها المهندس محمد، كانت قد زادت وردها بدعاء خاص به وحده، كانت مريم تصلي وتسجد وتدعي وهي ساجدة، وكانت على يقين أنها مستجابة الدعوة، وأنها من بعد زيارتها والتي تكررت ربما مئات المرات للكعبة الشريفة،كانت على يقين أن دعوتها مستجابة دائمًا، وأن الله يحبها ويرعاها، وكانت تقول دومًا أنا أحب الله،وتذكر حديث "أنا عند حسن ظن عبدي بي"، الله غفور حليم رحيم، تذكرت عندما كانت تستعد لزيارتها الأولى إلى الكعبة بحديث دار بينها وبين شيخ جليل كان بالصدفة يجلس بجوارها في الطائرة وهي قادمة للملكة أول مرة، ورأى عينيها تشعان حزنًا وغمًّا، فقال لها:

- سأعلمك شيئًا ستظلين تذكريني به طيلة عمرك، يا بنتي إن الله عز وجل قال إن عند رؤيتك للكعبة للمرة الأولى دعوة مستجابة يقينًا، فبماذا ستدعين؟

سرحت مريم قليلا، فهي تريد أن تدعو أن يجعل الله مكرم في حياتها، ربما يهديه للإسلام، فيسلم ويتزوجها، أو لأسواء الظروف يظل بجوارها لا يفترقان، أو، أو..

-عندي أدعية كتير، مش عارفة أحدد بالظبط أنا عاوزه إيه ولا إيه؟

-لذلك قلت لك سأعلمك شيئًا ستظلين تتذكريني به، ادعي يا بنتي عند رؤيتك الكعبة للمرة الأولى، أن تكوني دائمًا مستجابة الدعوة، بأن تقولي:

يا رب اجعل دعائي دائمًا مستجابًا

وبذلك تكوني قد تأكدتي يقينًا بأن دعواتك كلها مجابة بإذن الله، وهذا ما كان، وجعل مريم منذ ذلك اللقاء في منتصف العام ١٩٨٩وعند ذهابها للعمرة الأولى في حياتها، وقبل زفافها على خالد بنحو عدة أشهر، تقابل هذا الشيخ، وتعمل بنصيحته، وتتذكره حتى يومها هذا،عندما استيقظت هذه الليلة وقامت بتلقائية للوضوء، ما لبثت أن وجدت الموبايل يسقط بجانبها، فتذكرت..

مكرم، لقد وجدت مكرم..

أصابها صداع مفاجئ شديد أسقطها على السرير مرة أخرى، نظرت إلى الشباك فلم تر القمر، أين ذهب؟! إن الشباك موصد، بالتأكيد طلعت سنية وأنا نائمة أغلقت الشباك والستائر كما تفعل دومًا، تنهدت تنهيدة طويلة وهي تفتح الشباك وتطل برأسها باحثة عن القمر فلم تجده، فقد تحرك من مكانه..

- لا يا مريومة، القمر ثابت يا حبيبة قلبي، الأرض يا حياتي هي اللي بتتحرك، هذا ما قاله لي مكرم وهو يحتضني ذات ليلة بعيدة، بعيدة بعد القمر الآن، كم كان كلامه دائمًا حلوًا، تتنهد وهي تحدث نفسها وقامت لصلاتها، وعندما سجدت، ووجدت نفسها صامتة، أين هذا الدعاء الطويل، الذي يتذكر الأحياء والأموات والمسلمين أجمعين؟ ثم خطر على بالها فجأة سؤال،؟ لماذا ندعو في صلاتنا للمسلمين فقط، ألم يكن لنا جار مسيحي يحتاج منا دعوة؟ أو نعرف نحن كل المسلمين؟ إذًا ربما يوجد بشر أخوات لنا في محن في كل أنحاء العالم يدينون بديانات مختلفة، من اليوم سأعمم دعائي، سأدعو لكل بني آدم، فكلنا أبناء،أب وأم واحد، نحن فعلا إخوة؟ نعم بالتأكيد، كلنا،كلنا، فلماذا إذن الاختلاف والتفرقة وهذه القوانين والقواعد؟

- شششششش، أستغفر اللّه العظيم أستغفر اللّه العظيم، إيه اللي إنتي بتقوليه دا؟! صاحت هذه التي ترقد بداخلها، وتظهر لها فجأة كعفريت العلبة والذي ينط على سلك ملتو، ناظرًا في وجه من يستجري ويفتح علبته، هكذا هي، من هي؟؟ بعد سنوات من السؤال والحيرة، توصلت لربما أنها كانت ضميرها، أو عقلها الباطن كما يقولون، أو صوت الحق بداخلها، ولكن بعد أن أعيتها الحيل وعندما فشلت في التخلص منها، تركتها تجول وتصول بداخل دماغها وتظهر وقت ما يحلو لها..

- إنتي إتجننتي أكيد، بتفكري في واحد غير جوزك، وعلى غير دينك، وإنتي الحاجة المعتمرة صاحبة أعمال الخير الكبيرة، لا وكمان ساجدة بين إيد اللي خلقك!

مش مكسوفة على دمك، استغفري استغفري، قالت وهي تشعرها بالاشمزاز من نفسها وتصرفها، تلك التي بداخلها،

- أيوه أنا بين إيد اللي خلقني، يعني هو عز وجل أدرى بي، وبالي في قلبي، بإحساسي ، بمشاعري، بقلبي، بحب عمري بـ.....،

تقولها وهي ساجدة تنتفض من شدة البكاء ويختنق صوتها وهي تقول: يا رب يا رب يا كريم يا حليم يا غفار،

أنا مش عارفة أعمل إيه؟ مش عارفة؟ تعض على شفتيها من الحزن وتبكي بكاءً مريرًا..

في الصباح، تستيقظ على صينية الإفطار والتي دخلت تحملها ماري وتتبعها سنية، ماري خادمة فلبينية قادمة معها من جدة، معاها منذ فترة ، وسنية الأكبر سنّا ومقامًا منها، فهي مع مريم منذ وطأت رجلها المملكة،ولم تتركها إلى الآن، بل وتصاحبها في كل رحلاتها حتى الخارج، تحفظها وتحفظ طلباتها وأشياءها، كما أنها ساعدتها في تربية كريم وسلمى، تقود لها السيارة أحيانًا كثيرة، وتعلم أين تخبئ أدوات رسمها، فتحضرها لها من مخبأها السري وتقف على بابها حارس حتى تنتهي من رسمها، لتحمل الأدوات واللوح الخشبي وترجعهم مكانهم، وتأخذ الصورة لتجف بعيدًا عن أعين أهل البيت ومن ثم تلفها بعناية فائقة لتخبئها مع مثيلاتها الكثيرات جدّا،

وذلك لأن خالد منع مريم من الرسم منذ بداية زواجها منه.. تستيقظ مريم وتأخذ فقط كوب النسكافيه وترفض كل محاولات سنية بأن تأكل أي شيء قبل القهوة..

- هو أنا كل يوم حاقولك نفس الكلام؟ الفطار مهم، لازم تفطري كويس أوي، كلي كل اللي نفسك فيه، والغداء كلي نصه وادِيني نصه، مبتسمه تغمز بعينها، والعشا إديه كله للبت ماري دي، تقولها وهي تضحك وتفتح الستائر.

– كل يوم نفس الحوار، ونفس المثل، زهقتيني، تبتسم مريم ابتسامة عريضة وهي ترشف فنجان قهوتها، وتسأل عن سلمى، وتخبرها سنية وهي ترى وجهها في النور بعد أن فتحت الستائر كلها أن...

وبعد أن همت بالإجابة عن سؤالها عن سلمى، لاحظت وجه مريم والذي يظهر عليه آثار البكاء بشدة، فتطلب من ماري أن تأخذ صينية الإفطار وتنزل إلى المطبخ، وترجع لتجلس بجانبها بحنية أم، فهي تكبرها بكثير،

- إنتي معيطة، أيوه معيطة، قولي في إيه بسرعة؟ تسألها سنية بطريقة كوميدية كأنها تحدث طفلة،

فسرعان ما تتذكر مريم فجأة هاتفها، فلا ترد على سنية وتلتقط الموبايل وتفتح بسرعة على أرقام مكرم كأنها تصبح عليه، كأنها فعلا تراه هو شخصيًا، تنظر إلى الساعة، تشير إلى العاشرة صباحًا، فتسأل،كم الساعة الآن في مرسليا بفرنسا؟ أهي الثامنة أم الثانية عشر؟؟ هم فرق ساعتين، ولكن قبل أم بعد؟سألت مريم نفسها في سرها، تفتح النت لتعلم كم الساعة الآن بفرنسا، فتكتشف أن التوقيت قبل مصر بساعة واحدة في مثل هذا الوقت من السنة.

إذن هي التاسعة بتوقيت فرنسا، تسأل سنية في لهفة:

- هو النهارده إيه في أيام ربنا؟

- الأحد يا ست الكل، ترد سنيه وهي تأخذ من يديها كوب القهوة والتي كانت قد أنهتها من فترة، ومازالت تمسك بالكوب فارغًا..

- طب انزلي إنتي شوفي اللي وراكي وسبيني شوية.

قالتها مريم وهي تنظر في هاتفها.

الأحد؟؟

أي أن اليوم عطلة رسمية هناك،

هل مازال نائمًا؟ هل ذهب مع زوجته وأولاده إلى الكنيسة؟ هل؟ هل؟

ترددت مريم قليلا قبل أن تضغط على الرقم المكتوب إليه بالفرنسية (خاص)

هل تضغط عليه؟

ثم قامت لتنظر إلى وجهها في المرآة، تطيل النظر إلى نفسها ومن ثم إلى صورتها المعلقة على الحائط ، هل سيعرفني؟

من سيرى فينا؟؟ أنا أم هي؟

تقول فجأة: ألو..

هل صوتي كما هو؟

وقبل أن تسترسل في باقي أسئلتها التي حفظتها عن ظهر قلب،

جلست على سريرها ورفعت رأسها إلى فوق في عزة وشموخ، وداست على خاصية الاتصال، رن الهاتف كثيرًا ومن شدة اضطرابها كادت تغلقه قبل أن تسمع صوته متسائلا بالفرنسية:

- ألو..

- وقع قلبها وازدادت ضرباته بشدة قبل أن تقول:

- مكرم؟

صمت طويل شعرت خلاله أن عقارب الساعة تجري بسرعة الصاروخ

-مريم؟ رد في ذهول

-عرفت صوتي على طول، ردت مبتسمة، متخيلة شكله وضحكته واندهاشه،

صمت مطبق كأنه يحاول تصديق نفسه، فيسألها ثانية:

مـريم؟ ثـم يصـرخ فجـأة، مـرررريم، إزاي؟؟ جبتـي نمرتـي إزاي؟ عرفتي أنـا فـين إزاي؟ ثم فجـأة كأنـه تذكـر شـيئًا مؤلمًـا، فتغيـر صوتـه ونبرتـه قليـلا محـاولاً أن يبقـى جـادّا

- إزيك يا مريم؟ وإزيكم كلكم؟ طمنينا عليكم؟

كأنـه يتحـدث إلـى هـذه الجـارة العزيـزة التـي لـم يرهـا منـذ زمـن، ليسـت مـريم حبيبتـه وحبيبـة عمـره وابنتـه كمـا كان يقـول،

ثم أردف في دهشة:

- بجد جبتي نمرتي إزاي؟

ارتبكـت مـريم بعـد أن شـعرت أنـه تغيـر في انفعالـه ودهشـته، فحاولـت الـكلام فتحشـرج صوتهـا واختنـق، فكحـت كحـة قصيـرة علـه يسـاعدها وتتكلـم، فانتابهـا الصمـت ووجـدت دموعهـا تسـيل علـى خديهـا كأنـه نـدى الصبـاح ينـزل علـى ورقـة خضـراءليصبـح عليهـا في حنيـة بالغة،لـم تعلـم كـم صمتـت، ولكنهـا أردفـت:

- مكرم..

شـعرت أن كلماتهـا سـتفضحها، كادت تصـرخ بغضـب متسـائلة؛ لمـاذا تركتنـي كل هـذا العمـر؟ لمـاذا اختفيـت بـدون وداع؟؟

أم أحبت أن تكلمه بحنية وحب واشتياق يليق بكل هذه الفترة من البعاد، ولكن أصابها الصمت كأنها أصيبت للتو بخرس مفاجئ، فلم تكمل جملتها..

- مريم، يقولها هو أيضًا، ويصمت، كأنه يشعر بكل أسئلتها ويعلمها ولا يستطيع الرد،

ثم تذكرت مريم فجأة إيفون، ااه إيفونا، فتسأله فجأة وبانفعال:

- إيفونا، إزيها؟؟

فيكح أيضًا نفس كحتها المتحشرجة، وكأنه خنقته الدموع وسيل الذكريات..

- ماما ماتت يا مريم، من عشر سنين..

●●●

opeikan.com

خالد

تلقت مريم خبر وفاة إيفون بصدمة بالغة، لا تتذكر كيف أنهت المكالمة الأولى لها مع مكرم، ولكنها شعرت بعدها بدوار شديد وراحت في نوم عميق، فهي عندما تصطدم بشيء لا تتحمله من الواقع تهرب فوراً إلى النوم العميق، هذا ما اعتادت عليه بعد صدمتها العصبية الأولى وما تلاها من أحداث في حياتها.

لتستيقظ بعد برهة لا تعلم مدها علي جرس التليفون، فترد بدون أن تنظر إلى الرقم لتجده خالد زوجها:

- ألو؟ بصوت ضعيف شبه نائم ترد مريم

- أيوه يا مريم؟ إنتي نايمة؟ أنا رنيت أكتر من مرة؟

تتذكر مريم بعد أن أغلقت المكالمة مع خالد متعللة بأنها قد خلعت ضرسها البارحة ومازالت تعاني الألم،

كيف هي العلاقة بينها وبين خالد الآن؟ أم كيف كانت منذ أول ليلة؟ أو منذ أول لقاء؟

مرت الآن ٢٠ سنة، لم تقف مريم مرة واحدة لتقيم تلك العلاقة، ولا اختلاف الأزمنة التي مرت بها معه، هل خالد هو من اختلف؟ أم أنا التي كبرت ولم أعد الفتاة المقبلة على العشرين

obeikan.com

والمقبلة على حياة زوجية مغصوبة عليها، بالإضافة إلى سفرها لأبعد بلد تعلمه (أمريكا) وحدها بدون كل الأحباب، وخصوصًا مكرم وإيفون، وأيضًا متهمة من قبل أمها وخالتها بفعل مشين من وجهة نظرهم، ولم تكن تعافت بعد من صدمتها العصبية، موقف صعب ولكنه القدر، تتذكر ماحدث لها بعد أن خرجت من المستشفى إلى شقة جدتها بالهرم عندما عرضت عليهم خالتها أن تسافر معها إلى جدة لتعمل عمرة وتجلس في رحاب الله، عل وعسى يهديها وينور طريقها للحق، كما قالت الخالة..

ولكن لم تكن نيتها كذلك بالفعل، ولكنها انتهزت الفرصة، كانت تلك الفترة هي إجازة نصف العام، والعريس حينذاك سيذهب إلى عائلته، فانتهزوا الفرصة لإتاحة بعض الوقت لهما معًا، بعيدًا عن القاهرة وما فيها، ولأنهم يعلمون كم هي رقيقة مريم، فستكون الأجواء كلها مهيأة لدخولها إلى المصيدة التي نصبوها ببراعة آمال وأختها، تتذكر مريم أنهم لم يتيحوا لها الفرصة لتلمس التليفون، بل إنهم زيادة في الاحتياط قطعوا سلك التليفون حتى تسافر، وجهزوا كل أوراقها بسرعة بالغة، حتى عندما همت بالسؤال عن الجامعة التي لم تخطها سوى شهرين فقط ، قبل الليلة المشئومة، ذهب والدها وقدم شهادتها المرضية لإعفائها من امتحانات نصف العام.

وكان هذان الشهران هما فقط كل علاقتها بالجامعة، وبعد أن مر أكثر من شهر ونصف ما بين ليلة وفاة المقدس جرجس وسفر مريم مع خالتها، استطاعت الإفلات منها عدة مرات لتجري على التليفون سواء في بيت خالتها، أو في بيت خالد عندما كانوا يذهبون إليهم، أو حتي في المحلات بالشوارع، لتتصل على رقم البيت عند مكرم، فلا يرد أحد..

وتتصل بالمحلات، محل الصاغة ومحل الكربة، والإجابة دائمًا، غير موجود، غير موجود، وبعد حوالي أسبوعين، أصبحت المحلات أيضًا لا ترد في أي وقت من اليوم، ولم تعلم مريم ماذا حدث تحديدًا إلا في مكالمتها الثانية لمكرم، في السادسة مساء نفس اليوم، وبعد أن شربت مريم قهوتها في الحديقة، واتمشت بين شجيراتها تكلمهم وتسقيهم وتمسح أوراقهم بعناية فائقة، فكم أحبت مريم حديقتها بفيلاتها بالقاهرة، واهتمت بأدق تفاصيلها، وزرعت بعض شجرتها بيديها، كانت تدلل الشجر وتضحك معه في الصباح وقبيل الغروب، شعرت مريم بارتياح قليلا بعد صدمة وفاة إيفون الآن عن الصباح، وأرجعت هذا الارتياح إلى فكرة وجود مكرم الآن، مكرم موجود، وكلمته، ورد علي،مكرم موجود، وكلمته، ورد علي، أخذت تردد على مسامعها حتى تصدق هي نفسها أولا، وتسمع هذه التي بداخلها، إن لم تكن تعلم بعد،

- أيوه أنا كمان فرحانة لعلمك بوجوده، دي عشرة عمر، دي أحلىأيام حياتنا، دي ....

فجأة استفاقت هي نفسها هذه المعترضة دائمًا،،

- بس يعني حتعملي إيه بعد ما لقيناه. خلاص مافيش أي حاجة ممكن تتعمل..

إنتي تتطمني عليه وتوعديه إنك تكلميه من وقت لآخر، بحكم الجيرة والعشرة ليس إلا..

تقول لها تلك التي بداخلها، والتي لم تخف فرحتها هي أيضًا بإيجاد مكرم،

وفي الثامنة إلا عشر دقائق ذهبت إلى حجرتها وأغلقت عليها الباب، ووقفت على كرسي التسريحة، وأحضرت صندوقها السري،

وضعته على الترابيزه تحت الشباك المطل على الحديقة، وذهبت إلى التسريحة تنظر إلى وجهها، تظبط تسريحة شعرها، بل إنها مدت يديها لتلتقط زجاجة العطر، عطره الذي أهداه لها ولم يتغير منذ ذلك الحين أبدًا، بل إن في كل مرة تضع منه يجب أن تبتسم وهي تتذكر مكرم، وضعت أحمر شفاه خفيف وسرحت خصلات شعرها بيديها، ونظرت إلى الساعة، مازالت ٣ دقائق حتى تتم الثامنة، تأكدت أن مظهرها على ما يرام، وورم خدها مع الألم المصاحب لخلع الضرس أشرف على الاختفاء.

obeikan.com

نظرت إلى جسمها، بالتأكيد زاد وزنها في خلال تلك الفترة، ولكنها مازالت جميلة وجذابة، قالت لنفسها وهي تبتسم لوجهها، ذهبت إلى الصندوق وعندما همت لفتحه رن جرس هاتفها، ووجدت اسم مكرم على الشاشة، ظلت تنظر إلى الرقم وعندما وجدت أنها ستتوه فقط في إطالة النظر للاسم، فتحت بسرعة لترد

- مكرم.. تقوله بنصف تنهيدة مع نصف سعادة مغلفة بمشاعر متضاربة،

- مريم، يرد عليها بصوت أكثر اطمئنانًا وهدوءًا مما كان عليه في الصباح أول حاجة أنا لازم أعرف إنتي جبتي نمرتي إزاي؟؟

أنا قعدت كل دا أحاول أختفي من حياتك وعملت المستحيل علشان متعرفيش إحنا فين، كان لازم تنسينا يا مريم كان لازم؟

قالها بصوت متحشرج قليلا وخصوصًا في آخر جملة،

- ليه يا مكرم؟؟ ليه؟؟ تختفي؟؟ وأنساك؟؟ إزاي؟ وليه؟

عمري ما نسيتك يوم، عمري ما بطلت أدور عليك، عملت المستحيل، بكل الطرق، وعمري ما يأست،، وعرفت بالصدفة البحته من صديق لك كان عايش عندكم ولسه راجع مصر،

- صدفه؟؟ مافيش حاجة اسمها صدفة، تتوقف لتسأل هي وتجيب على نفسها..

فاكر لما قولت لي مافيش في الكون حاجة صدفة، أكيد كان مكتوب إننا نتقابل تاني، والقدر سبب الأسباب بقى، قالتها وهي تحاول أن تبدو مبتسمة،

- تحدث فجأة وكأنه يلقي خطبة عصماء، أو أنه يعترف أمام وكيل النيابة بعد سنين ليكشف سر هذا اللغز الذي حير الجميع،

بعد ما بابا وقع أدامنا، إنتي كمان وقعتي،

مبقتش عارف أتصرف، أفضل جنب أبويا، وأشوف أمي المنهارة، واللي بدأت تصرخ وهي ماسكة في قميصه، وكل شويه تبص لي بنظرة عتاب تكسر الحجر، ولا أجري عليكي أشوفك وهما بيدخلوكي في عربية الأسعاف اللي طلبوها لك، ولما عرفت أستجمع قواي، لقتني مشغول في إجراءات جنازة ودفن وكنيسة وعادات وتقاليد..

مشيت على السطر بالظبط علشان أحاول أرجع نظرة أمي لي، نظرة المحبة ولا حتي الشفقة لابن أبوه لسه ميت، مش نظرة اللوم والعتاب والي ساعات بتحسي انها بتتحول الي كره.

تانـي يـوم فوجئـت بالمهنـدس محمـد موجـود في العـزاء، الأول اتخضيـت وقلقـت، لكنـي فؤجئـت بيـه بيحضنـي جامـد ويبكـي، وبيفكرنـي بعشـرة العمـر وحبـه لبابـا وزي مـا قـال دا أخـوه، وبعـده بشـوية وقبـل العـزاء مـا يخلـص قالـي بشـويش أنـا عـاوز أقعـد معـاك لمـا العـزاء يخلـص، وفعـلا اسـتنى لغايـة آخـر العـزا، الغريبـة إنـه دخـل وسـلم علـى ماما وشـد علـى إيدهـا وكانـت متأثـرة أوي وممتنـة لوجـوده،

وتقريبًـا قـال لهـا نفـس الـكلام إنـه محتـاج يقعـد معانـا بعـد العـزاء وفعـلا روحنـا سـوا إحنـا التلاتـة، كنـت زي التلميـذ اللـي الناظـر جايـب أمـه يهزقهـا أدامـه، اتكلمـو كتيـر وعاتبـو علـى كتيـر بـس الصراحـة أبوكـي اللّٰه يرحـم روحـه، كان رحيـم بيـا أكتـر مـن أمـي،

قاطعته مريم متسائلة:

– إنت عرفت إن بابا مات؟؟

– أنـا أعـرف عنـك كل حاجـة يـا مـريم، كل حاجـة. رد في أسـى ثـم أردف مكمـلا قبـل أن تسـأله كيـف يعلـم عنهـا؟

– زي مـا كنـت بحكيلـك عمـي محمـد كان رحيم ومتفهم للمشـاعر والأحساسـيس وأنهـا وبالرغـم مـن أنـه خطـأ شـنيع، فـإن اللـي حصـل حصـل خـلاص، المهـم اللـي جـاي..

وعلشان كده لما اتطلب مني إني لو بحبك بجد لازم أخاف عليكي، مش بس أخاف عليكي في الدنيا، لا، لازم كمان أكون مطمن عليكي عند ربنا، وإني مكنش السبب في أي عذاب بأي شكل، لقيت إيفونا بتقوله، إطمن يا بشمهندس، أنا بعد الأربعين حاسافر أنا ومكرم عند إخواتي في فرنسا، ومش حنرجع مصر تاني أبدًا، إحنا كنا أنا وجرجس مجهزين كل حاجة، حتى إنه عرض المحلات للبيع، وكمان الفيلا هنا، وكان مستني بعد قصة العريس بتاع مريم علشان يكلمك في أن المشتري عارض مبلغ كبير أوي، لأنه عنده طريقة يهد بيها الفيلا ويطلع مكانها ببرج ٢٠ دور، زي كل اللي حوالينا ما عملو، وإحنا اللي كنا رافضين، رافضين علشان نحتفظ بشوية طوب وحيطان، والناس نفسهم بيرحوا،،

طبعًا مش محتاج أوصفلك شكل ماما ولا شكلي في الحوار دا، بس دا اللي حصل يا مريم، إيفونا وأبوكي اتفقوا على كل شيء، باعوا كل حاجة، وباعونا إحنا كمان فوق البيعة، مكنش لي أي رأي ولا كلمة بعد ما كنت السبب المباشر والرئيسي في وفاة أبويا وهو كمان غضبان عليا..

وعلشان أرضي الراجل اللي جالي لحد عندي بيكلمني بالحسنى، ومكنش ينفع أكسره تاني، كفاية كسرته أدامي وهو

بيحكي إن بسبب اللي حصل دلوقت مش حيقدر إنه يقف أدام آمال وأختها ويمنع الجوازة المزعومه دي،يعني كمان طلعت أنا السبب في تعجيل جوازك بالمنظر دا، قالها وكأنه فجأة أسقط على رأسها حجرًا ثقيلا ثقل الذكريات التي يحملها..

وقبل أن يختنق صوته ويبان صوت بكائه، استأذنها في أن يقفل الآن، ثم سيعاود الاتصال بها بعد ساعتين، قفلت مريم وهي تنظر من الشباك المطل على الحديقة، وتغمض عينيها، كأنها قد رأت الآن مشهدًا مهما كان قد فاتها من فيلم حياتها.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

صندوق الذكريات

فتحت مريم صندوق الذكريات، ولكن هذه المرة لم تكن كسابقتها، فكل مرة كنت تشعر بأنه ماضي قد مات ولا راجعة فيه، بكل أشخاصه وأنفاسه ومشاعره، بكل ما يحمل من عبق الزمن الفائت وألوانه الباهتة العالقة بضعف ووهن في الأذهان، ولكن هذه المرة عندما فتحت الصندوق خيل إليها أن هناك روح قد دبت فيه، كيف لا وروح مكرم صاحب الصندوق نفسه قد عاد، فألوان الصور قد ازدهرت، ورائحة البحر تخرج بحدتها ويودها وانتعاشه أوقات صيفها بقوه فتشعر بها قد لفحت وجهها من شدتها، وخطاباته قد نضبت عطره من عليها وقذفته لينتشر فيملأ ثنايا صدرها،شعرت بألحان قد نستها تحيا من جديد وأصوات مطربين جيلهما تتسابق في الخروج علي مسرح الصندوق لتغني لها أولاً، ووجدت زجاجة عطرها، هديته الأولى لها وقد أعيد ملؤها بل وقد تعطرت بها للتو، مكرم.. تحضن صورته بقوة وتنظر إلى عينيه كأنها تراه، تكلمه نعم، ما زلت أحبك، نعم لم ولن أحب سواك، كانت تحدث نفسها بصوت مرتفع، فقد اطمأنت أن تلك التي بداخلها تعترض، قد شربت كل أدوية النوم التي وضعتها لها مريم منذ بدأت تحادث مكرم في التليفون، فهي لن تجعل أي أحد مهما كان يقتل فرحتها بوجود مكرم الآن علي

الأقل، فهي مازالت في نشوي العودة ووجوده، لا تعلم كيف مرت الساعتين، فقد كانت تسبح في بحر ذكرياته مستمعة لكل لحظة فيها، حتى أنها تتذكر أن سلمى قد دخلت عليها وكذلك سنية، ولكن صرفتهم بهدوء ووعدتهم برؤيتهم بعد قليل عندما تنتهي من عمل شيء مهم بالنسبه لها، رن جرس الهاتف فلم تنظر مريم وردت مباشرة:

- أهلاً يا مكرم، إنت مش متخيل أنا أد إيه فرحانة إني لقيتك، بجد شعور مش قادرة أوصفهولك، قالت مريم في لهفة واضحة

- إنتي اللي مش متخيلة أنا حالتي أنا إيه ؟؟ أنا لو ألقى كلمه أكتر من سعيد و فرحان وطاير كنت قولتها، أنا مفيش حاجة توصف إحساسي دلوقتى، مرررريم..... أنا حاسس إني بحلم، مريم.. ؟؟ إنتي بجد؟؟ ضاحكًا منفعلاً سعيدًا قال لها مكرم ثم أردف بسؤال، لسه بترسمي يا مريم ولا بطلتي؟

- قالت بأسي واضح،

برسم في السر، زي الحرامية!

- ليه؟؟ سألها مكرم باستغراب

- ممنوع، الرسم ممنوع زيه زي حاجات كتير أوي في حياتي بقت ممنوعة، تنهدت تنهيدة تحيل السماء الصافية إلى غيوم

- مين اللي منعك؟؟ سألها

- خالد، جوزي

ردت مريم في آسي

- وإنتي ليه وافقتي؟؟ سألها مكرم بعصبية واضحة،

إنتي مكنتيش شخصية سهلة ولا منقادة يا مريم، طول عمرك اللي عرفتك فيه كنتي قوية وعنيدة،

- كنت

تقولها وقد فتحت للتو سدود دموعها، فانهارت علي خديها سريعة متلاحقة، ثم تأخذ نفسها وتمسح دموعها وتقول:

- قصة طويلة يا ميكي، ولازم تعرفها من أولها

- ميكي؟ أد إيه كان وحشني اسمع ميكي منك يا مريومة، قال مكرم في حب واضح:

احكيلي، احكيلي كل اللي فتني، باليوم بالدقيقة بالثانية،

- ياااه، عندك وقت؟؟ قالتها مريم مازحة،

obeikan.com

- ماواريش أي حاجة غيرك رد مكرم

- ومراتك وولادك؟ سألته مريم في استحياء،

- مراتي؟ إنتي ممكن تتخيلي إني أتجوز غيرك يا مريم، إنتي ممكن تتخيلي إن أحضن غيرك؟ لأنك طبعًا عارفة إني عمري ما حبيت ولا ححب غيرك لحد آخر يوم في عمري،

عمري ما أقدر أخونك وأعذب حد ملوش ذنب إني عمري ما حكون زوج مخلص ليها، لإن قلبي متعلق بغيرها، رد عليها مكرم بصوت محب عاشق متيم،

تدلت شفتيها لاسفل مع شهقه من هول المفاجأه ، وازدادت ضربات قلبها بشدة غير مستوعبة وأخذت نفسًا عميقًا ممزوجًا بفرحة عارمة قبل أن تصرخ متسائلة:

- لسه بتحبني؟؟ متجوزتش ؟؟ فعلاً؟؟ أنا مش مصدقة،

- عندك شك يا حمارة إنتي؟؟ ثم ضحك بصوت عالي، أيوه لسه بقولك يا حمارة زي زمان، لسه شايفك زي ما سبتك، مريومة الصغنتوتة اللي اتولدت أدام عيني وحبتها من لحظتها وشلتها في قلبي، اللي كَبرت وكِبرت معايا وأدامي، اللي عملت كل حاجة ليها أول مرة معايا أنا، أنا حبيبها وأبوها وأخوها وصاحبها، وهي بنتي وحبيبتي وحياتي وقلبي وحب عمري، أيوه يا مريم،

أيوه إنتي لسه في قلبي، وعمرك ما اتزحزحتي سنتي واحد، ولو تعريفي عذابي ببعدي عنك كان أد إيه، بس كلمة الشرف اللي إدتها لأبوكي الله يرحمه قبل ما نسافر من مصر، ولأمي اللي عاشت معايا عشر سنين بتعاتب فيه في كل مناسبة، وبتحلفني أكون أد العهد وأحافظ عليه، حتى وهي بتموت، وكانت من أصعب لحظات حياتي، كانت ماسكة إيدي وبتقولي إوعي تأذيها يا مكرم، دي بنتي، كانت بتحبك أوي يا مريم وعمرها ما زعلت منك، هي زعلت مني أنا، ومن قلقها وخوفها عليكي قررت تسافر من غير وداع ولا عتاب، لما كانت في المستشفي كانت بتنده عليكي، ولما أصحابنا كانوا فكرينها بتنده للعدرا، كانت تفوق وتقولهم بصوت مبحوح، الاتنين حبايبي، مريم العدرا ، الاتنين حبايبي وياما دخلت عليها ألقيها بتصلي وبتدعي مريم والعدرا تحافظ عليكي وكانت بتتشفعلك عندها علي طول، كان يحكي لها مكرم مستعيدًا الماضي بكل جماله، ودموع مريم تسيل وهي تغمض عينيها وترى مشهد إيفونا مبتسمة تنده عليها، تعض على شفتيها في صمت حتى لا يلاحظ مكرم انفعالها وكم اشتياقها لها وحزنها الآن على وفاتها

- يعني مكنتيش زعلانة مني؟؟

سألته مريم ثم قالت:

الله يطمنك، إنت مش متخيل أنا استريحت دلوقتى أد إيه،

ثم قال مكرم مكملاً حديثه عن إيفون،

- مرة كنا في مول ووقفت تشتري برفان ليها، لقتني بدون ما أشعر روحت علي الريون بتاع شانيل وسألته على (n5) وأخدتها من إيد البياع ورشته على إيدي وشمتها وأنا مغمض عيني، مش حتصديقني لو قلت لك إني فضلت مغمض خمس دقايق، شايفك قصادي فيهم، بكلمك وبحضنك وبرقص معاكي، ومفقتش غير على ماما بتدشدني وتقولي يالا يالا فضحتني، الناس افتكروك مجنون وبترقص مع الهوا،

- ضحكت مريم بصوت عال، من زمان مضحكتش الضحكة دي،

إيه دا؟ إنت كمان لسه فاكر البرفان واسمه، ردت عليه مريم وهي ما زالت تضحك..

- يا حبيبتي قلتلك إنتي معايا في كل لحظة، قالها مكرم بصوت عال كان كفيل بأن يوقظ تلك التي بداخلها.

- حبيبتي؟ بيقولك حبيبتي ؟؟ وإنتي وجسمك السايب دا؟ والفرحة اللي إنتي فيها؟ متنسيش إنتي علي ذمة راجل، وعندك ولاد شباب يقولوا عليكي إيه لما يشفوكي دلوقتى، بتستعيدي ذكريات حبك وبتكلمي حبيبك ... يقولوا إيه؟؟

- فترجتها أن تخرس قليلاً فقط حتى تنهي المكالمة، ثم تفضى للخناق والنقاش معها،

- سرحتي في إيه؟ سألها مكرم في هدوء

- في الدنيا واللي حصل لنا يا ميكي!

إنت وحشتني أوي أوي، أنا عوزه أشوفك، لازم أشوفك.

ردت عليه مريم بشوق وهيام وحب واضح

- أكيد يا مريومة أكيد، إنتي كمان وحشاني وحموت وأشوفك؟

بس أنا مش حقدر آجي مصر للأسف، وعد وعدته لأمي ومش حقدر أنكسه، قالها في حزن وأسي شديد.

●●●

obeikan.com

#عربة_الذكريات.

على ظهر عربة الزمن التي تحمل حقائب الذكريات.. والتي مرَّ عليها الدهر وفات.. وحان موعد الردم والنسيان.. مُخلِّفةً رتوش بسيطة من عَبَق قديم.. هي كل ما تبقى من الحدث..

سارت العربة متجهة إلى البئر السحيق.. الذي يستوعب أكبر الصناديق.. فهي مليئة بكل الحواديت والأساطير.. أحزان وأفراح وأتراح.. موت وميلاد وزوج وأبناء.. كل الحكايات متشابهات.. تعيش لفترة ثم مكانها النهائي في سلة الذكريات.. تتجمع بتتابع الأحداث.. حتى يفيض الكيس وتنصهر الذكريات..

في رحلة الوصول إلى المقر الأخير..

قفز صندوق أخضر صغير..

رافضًا الوصول إلى البئر العميق.. ودفنه في مكب النفايات.. فهو مازال ينبض بالحياة.. تدحرج الصندوق حتى اختفى عن الأنظار.. ثم سرعان ما فتحه ساكنيه.. قلبان مُتحابان مفعمان بالحنان..

كان الطبيب المبتدأ قد ظن أنهما فارقا الحياة.. ولم يحاول وضعهما على جهاز النجاة.. بل استسهل في استعجال وكتب شهادة وفاة..

obeikan.com

ولـم ينتظـر للصـلاة عليهمـا وقذفهمـا بسـرعة فـي إهمـال... فـي صنـدوق مرسـل إلـى نهايـة الذكريـات...

ولكن لأنهم قلبان متحبان. رفضا الاستسلام..

وقفزا في الوقت المناسب من عربة الترحيلات..

وبعد أن تأكدا من أن الأمر سار أمان. وأنهما ارتديا ثياب الزمان.. من الحاضر والمستقبل..

وخلعا رداء قد كان..

جلسا على شاطئ الأحلام.

في حضن أدمجهما مع كل ذرات الزمان والمكان..

ملقية رأسها على كتفه.. ممتنة لكل هذا الحب والاحتواء..

ماسحًا بيديه على رأسها.. مفجرًا كل طاقات الحنان والجنان.

مُغردين في وقت، فجّرا ألحانًا من الحب لم يسمع الكون مثلها منذ كان..

ممسكين ببعضهما، مندمجين..

متشبّثين بحقهما في الحياة..

فهما قلبان محبان..

obeikan.com

ليس لأحد عليهم من سلطان..

داعين الله الواحد القاهر..

أن لا يركبا أبدًا عربة الذكريات..

ويظلا حتى بعد الفناء..

قلبين محبين..

●●●

obeikan.com

صوت العصافير

دخلت سلمى على مريم لتوقظها،

- مامي، مامي، إنتي كويسه؟

تسألها سلمى وهي تهز كتفيها بهدوء

- بنجور حبيبتى، هي الساعة كام؟

بين يقظة ومنام تفتح مريم عينيها لتجاوب ابنتها،

- الساعه واحده الظهر يا مامي! عمري ما شفتك نايمة لمتأخر كده، دا إنتي كنتي بتصحي قبل العصافير ما تصحى، ضاحكة ترد عليها سلمى

- ياااه واحده الضهر ترد مريم ثم تتذكر فجأة أن مكرم طلب منها أن تكلمه بمجرد استيقاظها، فتعقب في استعجال واضح،

- طيب حبيبتي انزلي دلوقتى وانا جايه وراكي، ثم تسألها في استنكار، هو إنتي مروحتيش المدرسه ليه؟؟

- النهاردة الجمعة يا مامي، المدرسة أجازة، لو يعني حضرتك لسه فاكرة، تقولها مريم في استنكار واضح لحالة أمها الغريبة عليها طيلة الأسبوع الماضي.

obeikan.com

تقوم مريم مسرعة إلى حمامها ثم ترجع لحجرتها مسرعة، فتخرج شورتًا قصيرًا لم تكن ترتديه منذ زمن، وبلوزة قطن بحملات رفيعة ذات لون برتقالي فاقع، لا تتذكر متى ولا كيف اشترتها، ثم تقف أمام المرآة لتنظر إلى نفسها وتتحسس جسدها في هذه الملابس المثيرة والتي تناسب فتاة مراهقة، وتبدأ في وضع مكياج يبرز جمال عينيها كما كان مكرم يقول لها دائمًا، إن لديك عينا الغزلان الشاردين، وتسرح شعرها بيديها في استعجال، وتمسك الموبايل لتكلم مكرم، فتقفز تلك التي داخلها.

يااااسلام؟؟ متسائلة في استنكار، حتكلميه كده علي طول، طب صلي الضهر الأول، لعل وعسى صلاتك تفرملك عن اللي إنتي بتعمليه دا، أنا مش عارفة آخرة اللي بتعمليه دا إيه؟ إنتي نسيتي إنتي مين دلوقت؟ ومتجوزة مين؟ فوقي يا مريم، فوقي تنظر مريم إلى الساعة المعلقة على الحائط وتقول:

-الساعة واحدة ونص، يعني لسه ساعة ونص على العصر، الحق إن شاء الله، وتضغط على الرقم بسرعة حتى لا تعطي لها فرصة أخرى للتأنيب،

- بنجور مون شيري، تقولها بالفرنسية في دلال ودلع واضح

- بنجور يا قلبي، يرد مكرم ثم يردف حواره بالفرنسية،

كيفما أصبحتي؟ وماذا تفعلين؟

– تـرد مـريم بالفرنسـية أيضًـا، وتضحـك ضحكـة تخلـع قلـب مكـرم مـن مكانـه

– وحشتيني، يفاجئها مكرم

– ياه لحقت، دا إحنـا قافلين التليفون السـاعة ٦ الصبـح، تـرد عليـه مـريم

– مـريم، إنتـي بتوحشـيني حتـى وإنتـي معايـا. أنـا كنـت حـارم نفسـي منـك وبحـاول أتعايـش، لكـن دلوقتـى خـلاص زي مـا أنتـي قلتـي دا قـدر ومكتـوب، وزي مـا دايمًـا كنـت بقولـك، مفيـش حاجـة اسـمها صدفـة.

حالـة السـعادة اللـي أنـا فيهـا وعيشـاها كأنـك معايـا بالظبـط، صـوت العصافيـر اللـي مالـي ودانـي وحاسـس إنهـم واقفـين مخصـوص علـي شـباكي، شـكل البحـر اللـي بقـي مبهـج، وأنـا بعـدي عليـه بقالـي٢٠ سـنة مـش شـايفه أصـلاً، حتـي الشـغل بقيـت بحبـه وبنجـز فيـه بسـرعة علشـان ارجعلـك ونقعـد نتكلـم، قـال لهـا مكـرم.

-آاه الشغل؟

أنـت محكتليـش عـن الشـغل، والنهـاردة أنـت أكيـد في الشـغل صـح؟ أنـا صحيـت متأخـر أوي، حتـى سـلمى جـاءت صحتنـي، وهـي مسـتغربة قالـت مـريم متسـرعة:

- سلمى بنتك احكيلي عنها، أكيد جميلة زي مامتها واخدة منك إيه؟

سألها مكرم في حنية أب

- ححكيلك كل حاجة، بس لما تخلص شغلك وتفضالي، ردت مريم.

- أنا عندي شركة يا مريم، استيراد وتصدير، عملتها مع خيلاني أول ما جينا فرنسا، وكانت ماما باعت بيت الكربة علي المحلين بالبضاعة اللي فيهم، فكان معانا مبلغ محترم يعيشنا كويس، لكن ماما ربنا ينيح روحها، صممت إني اشتغل وافتح حاجة تأمن لي مستقبلي في بلد غريبة ودا اللي حصل فعلاً، وجينا علي مارسيليا علشان فيها مينا بحري، ومشي الحال نشكر ربنا، وزي الفل رد مكرم مبتسمًا، بس استيراد وتصدير دا بعيد عن مجال الصاغة، وإنتو كان عندكم محلات دهب، سألت مريم.

- لا يا مريم، كلها تجارة والحمد لله أنا كنت متمرس من صغري على البيع والشراء، وبرضه إحنا في جزء من تجارتنا بنشتغل فيه في الدهب والفضة والماس، وأحيانًا في الأنتيكات، يعني كل فترة بنشوف احتياجات السوق إيه ونشتغل فيه،

تعرفي، أنا مرة كنت في ماليزيا بشتري الماس، وصاحب المنجم من كتر ما حبني عرض عليا أشتري حاجة نادرة فص الماس أزرق غالي جدًّا، ومش أي حد يعرف قيمته وقالي علشان أنا عارف إنك حتقدره وإنه حاجة نادرة، أنا عوزك أنت بالذات اللي تاخده، دا لازم يبقى متعلق في صدر حبيبتك أنت لما شفته أول مرة وهو بيطلعه من خزنته، شفتك إنتي إزاي الفص دا شبهك يا مريم مش عارف، نقي وبيطلع كل ألوان الطيف نادر يمكن مفيش في العالم كله ٥ فصوص بس منه، تحس إن مفيش إيد إنسان صنعته، دا من صنع الله زيك يا مريم كل حاجة فيه بتحكي عنك، وبالرغم من أن ثمنه كان غاليًا جدًّا. وبالرغم من إني كنت عايش على أمل واحد في المليون إني أشوفك، لكني اشتريته، وصممت له بإيدي سلسة تليق بيه وبيك، ومحتفظ بيه دلوقتى بس عرفت أنا ليه شفته فيك، وشفتك لابسه في رقبتك وحتفضلي لابساه لحد آخر يوم في عمرك، حكي لها مكرم وكأنها أمامه يحتضنها علي ذات الكنبة فوق السطح ، وأمامهم القمر بدرًا، تنهدت مريم وقالت:

- إنت إزاي كده، إزاي بتحبني الحب دا كله، حتي رغم البعد حتي من غير أمل في اللقا وحتى بعد اللقا، برضه مفيش لينا أي أمل، جلست مريم علي سريرها بعد أن أغلقت الهاتف مع مكرم علي موعد للمكالمة الليلة في الثامنة مساء، تنظر إلى شباك حجرتها علي حديقتها اليافعة الأشجار، ترى العصافير تتطاير

من غصن لغصن فرحة تغرد كما تغرد تلك العصافير في مرسيليا على شرفة مكرم، لماذا هذه العصافير حرة طليقه؟ هل يوجد موانع عندهم للحب؟ هل لديهم قوانين وقواعد لا يتخطوها؟ هل لديهم ديانات مختلفة؟

وهذه الأشجار؟ كيف ترضى بهذا الاستزراع القوي الثابت، لماذا تتمسك بجذورها ولا تستطيع الاستغناء عنها، أهو الخلود؟ فلو تركت الشجرة جذرها تموت، هل ترضى بالخنوع والذل في الثبات لا تتحرك بسبب حياة زائلة، لماذا توافق أن يقف على أغصانها كل من أراد من طيور وحشرات وفراشات وآفات بدون ن يكون لها حتى حق الاعتراض؟ لماذ يتلاعبون بأوراقها تلاعب مشين؟ لماذا تتعب في طرح ثمرها ويستفيد بيه غيرها؟ ولماذا يستظل بظلها من لا ترحب هي بيه ولا تقوى على طرده من تحتها؟

اجتاحتها أسئلة وأحاسيس قوية، عصفت بيها وأحست أنها تريد أن ترسم من فورها، ولم تنتظر حتى تنده على سنية لتحضر لها أدواتها، بل وقفت على كرسي التسريحة لتفتح ذلك الضلفة العالية بدولابها البلاكار، وتحضر الأدوات وتفرش الإستاند الخشبي، وتبدأ في الرسم ولم تنتبه إليّ عندما نظرت إلى النافذة فرأت انا الليل قد حل، وأنها عندما طرقت سنية الباب ومن بعدها سلمي كانت تصرفهم بأنها تنهي شيئًا مهمًّا ولا تريد إزعاجًا لم تشرب أو تأكل كما أنها نسيت صلاتها.

- إن كان ممكن أفكرك وأوجعك، بس سبتك علشان تعرفي بنفسك، قالت لها تلك التي بداخلها شفتي بقي، شفتي إنتي رايحة فين؟ صلاتك اللي كنتي محافظة عليها بالدقيقة والثانية، صلاتك اللي عمرك ما فرطي في فرض مهما كنتي تعبانة، دلوقتى نسيتها، وياريت فرض واحد لأ دول تلاته الضهر والعصر والمغرب، لا حول ولا قوة إلا بالله، قامت تمصمص شفايفها في تأفأف واضح أنه لا أمل وعليه العوض فيكي يا مريم.

- لم ترد مريم فقد كانت محقة بالكامل، فقامت علي فورها تتوضأ وتصلي فروضها الفائتة، وكلما همت أن تسرح في مكرم أو حديثه أو ماستها الزرقاء، ترجع لتستغفر في سرها وتعلي صوتها قليلاً حتى يطغي علي تفكيرها ، وحتى تحاول أن تركز في صلاتها، وفي آخر سجدة في صلاة المغرب، سجدت مريم لتناجي ربها وتدعو بوردها الثابت الذي تدعو بيه في كل صلاة في آخر سجدة فيها، وبعد أن فرغت من وردها صمتت قليلاً حتى تستجمع شتات أمرها، وكالعادة عندما تفكر فيما وصلت إليه الآن، وإلى تلك المشاعر المتضاربة بداخلها، وبحالة الفرح والنشوى والسعادة من وجود مكرم في حياتها، لا تجد إلا دعاء (اللهم حاسبني فيما أملك ولا تحاسبني فيما لا أملك).

لتنهي صلاتها وهي تستغفر وتمسح دموعها، لتقفذ المعترضة دائمًا قائلة:

-يا سلام، ريحتي ضميرك إنتي كده فاكرة كده ربنا حيغفرلك ويسامحك، لأ وكمان متخيلة عز وجل ممكن يساعدك ويخليكي تقابليه، ويحصل بقي اللي يحصل ما بنكم، ما إنتي خلاص فجرتي ومحدش عارف يرجعك، تنهدت مريم وهي مازالت تستغفر، وقامت لخلع الملابس التي كانت ترتديها لترتدي عباءة فضفاضة، وتمسك سبحتها المفضلة تستغفر عليها وتنزل لتجلس مع سلمى وترى سنية وتتابع أحوال منزلها الذي هجرته تمامًا في الخمس أيام الماضية، من الأحد في أول مكالماتها لمكرم، إلى مساء هذا اليوم، يوم الجمعة.

●●●

obeikan.com

#المُحِب

ترتفع أصوات البلابل والعصافير حولها لتوقظها..

تفتح عينيها ما بين يقظة ومنام.. مبسطةً زراعيها تتمطى بهيام الغزلان..

فتجد سريرها قد توسط رحابًا أخضر ليس له حدود ولا أسوار..

حديقة غنّاء بها كل الألوان.. والألحان والأفراح..

ليس لها مثيل لتتشابها.. فهي في مكان سري خارج الخرائط والأكوان..

خضاره ممتد على مرمى بصر صقر مُحلِّق في أعلى الجنان..

وأشجاره لم تعتمد على الأخضر. والساق والأوراق عنوان.. فهي فريدة ليست كأي أشجار..

والفراشات والنحل والغزلان يعملان مع الحبيب الولهان..

على السرير ستارة شفافة تغلف الحديقة الغنّاء بسحرٍ غامض.. بضبابٍ خفيف نفّاذ..فتلمح من خلفه خياله.. واقف منتظر منذ المساء.. بعدما جعلها تغفو على الحانة ونامت مطمئنة بين يديه..

فهو حبيبها ولم تعرف ما هو الحب إلا عندما رأت عيناه. هو حبيبها منذ أن وعت على الحياة.هو من أخرج قلبه وأسكنها مكانه.. ووقف حارسًا لها ليل نهار..

أزاحت الستار وهي تتثاءب في خفةٍ ودلال.. مبتسمة له ممتنة لوجوده في الحياة..

أمسك بيديها وقبّلها قبلة أحيتها.. فتدفق الدم في وريدها أنهار..

فنزلت من على الفراش وهو ممسك يديها كأنها ملكة ملكت كل الأكوان.

فألبسها خُفّي حرير قد سهر لصنعهما مع مئات الفراشات.. وأسقاها عسلًا جلس ينتظره من النحل لمدة عدة أعوام..

وغسل لها وجهها في طبقٍ من ذهب أحضرته له الغزلان.. من مكان لا يعلمه سواه.

أجلسها في حضنه يُذيبها عشقًا وغرام بكلام لم تسمعه أي محبة من قبل في أي مكان قد كان..

يضمها بشدة مُرتبًا على رأسها قائلًا.. لا تخافي يا صغيرتي بعد الآن أبدًا.. فأنا حارسك.. في كل الفصول والأعوام..

وذهبا في رحلةٍ إلى أعلى الجبال.. ثم غاصا سويًّا في أعماق بحر هواهما الفاتن..

قال لها أنتِ الملكة والسفينة والربّان..

فحبك قد سقاني خمرًا.. ونشوى، وسعادة تكفيني حتى بعد الممات.

فبغير حبك كنت قد مت منذ آلاف الأعوام..

فليس للحياة بدونك حياة..

●●●

obeikan.com

#الانقسام.

تعتصرني أحاسيس متضاربة..

كأني منشار حديدي قد قسمني من رأسي إلى قدميّ..

ووقف كل نصف ينظر للآخر في استعلاء..

يتبادلون الاتهام.. وينفعلون.. وقد وصل الأمر بهم إلى الاقتتال.

أنظر إلى نفسي وقد كادت أن تنهار من شدة هذا الانقسام..

شقٌ عميقٌ يشرخ ذاتي.. يشبه شق البحر لموسى.. فالطريقين من حوله كجبلين من ماء شاهق للسماء واقف بأمر ربه لا ينهار..

كيف للإنسان أن يحمل كل هذا التناقض بداخله.. وكيف يحس أنه ينظر إليهما.. لا يعلم من يركن إليه ومن هو الصواب..؟؟؟

كيف لنفسي أن تحيا بين كل المتناقضات..

فتصلي في المحراب.. ثم ترتاد البارات.

وترتدي الوقار والحشمة، ثم تذهب إلى بيوت العاهرات..

وتجلس في مجالس العلم في النهار..

وتنام في بيوت المجاذيب والسحرة والمشعوذات.

كيف اخترقتم هذا القلب...؟ فأنا أغلقه منذ مئات السنين.. وقد وقفت على بابه حارسًا أحميه منكم.. وكنت على يقين أن لا تستطيعوا الوصول إليه..!!

كيف تغللتم إليه هكذا في غفلة مني..

أتنكرتم يوم حفلة الأمير..؟ عندما فُتِحت لكم الأبواب بكل اطمئنان.. فتسللتم تسلل اللصوص اللئام، وركنتم في ركن بعيد عن نظري فلم أراكم في لحظتها.. وبدأتم في الاحتلال والهدم والانقسام..

والآن وبعد أن احتللتم نصف أرضي.. نقف موقف المختصم فمن منا سوف يفوز..!؟؟؟ ويستولي على باقي المملكة بآثارها وعبق التاريخ..

لا والله.. سأحاربكم بكل ما أملك من أنهار بيضاء.. سأجهز العدة من صلاةٍ وصيام ودعاء..

سأشحن كل السحاب.. واقف تحت المطر أغتسل منكم.. حتى تذوبوا خجلًا وحياء..

سأتكلم معكم بالمنطق ونأخذ بالأسباب.. فمملكتي لا تتحمل كل هذه الآثام..

سأحاربكم حتى إذا قتلتني كل المعارك ولم أقوى على الانكسار والانحناء..

فيكون لي شرف الموت شهيدًا..

وأني حاولت الوقوف شامخًا، وهزمتني الأحقاد والأغلال والأوساخ..

سأقابل ربّي بنَفْس مُطمئنة أنى لم أستسلم ولم أسمح لهذاء الوباء أن ينتصر في رحلة حياة..

وإن كنت قد ضحيت بجسد فنا يتشبعه التراب..

لأحيا بها روحًا نقية.. طاهرة.. لا يحتلها أي غل أو حقد أو أي سواد.

ويقولون ماتت شهيدة..

خير من أن تكون مُخلّدة في انقسام..

●●●

القميص الوردي

وافقت مريم على غير عادتها أن تذهب سلمى مع إحدى صديقاتها للخروج مساء الجمعة، كما أنها أقنعت سنية أن تذهب معها، فسيد حارس الفيلا والسائق هو زوج سنية، كان يعمل عند خالد بالمستشفى في جدة منذ زمن بعيد، ولما وجد منه حسن خلق وأمانة زوجه سنية، ولم يشأ القدر أن ينجبوا أولادًا، وعندما ألحت مريم على خالد أن تنزل لتعيش بالقاهرة وبعد رفضه المستميت عدة أعوام، وافق على شرط أن يصحبهم سيد ليقيم بالمنزل الصغير علي طرف الفيلا ليكون حارسًا وسائقًا في نفس الوقت، أقنعت مريم سنيه أن تذهب مع سلمى وصديقتها لتوصلهما ومن ثم تخرج مع سيد قليلاً، فهي كما قالت لها لم تخرج وتتفسح منذ وطأت قدماها للقاهرة.

وبعد أن اطمأنت مريم إلى خروجهم، أمرت ماري بأن تذهب للنوم مبكرًا هذه الليلة، فهي لا تريد شيئًا منها، وزيادة في الاحتياط، طلبت خالد فلم يرد كالعادة ولكن فهمت أنه في السعودية من صوت جهاز التسجيل لديه، وذلك لأنه في أحيانًا كثيرة كان يحضر إلي القاهرة بدون إخطار، ويكون في الأغلب لديه موعدًا مع أحد كبار المسئولين أو لحدوث مشكلة ضخمة في مستشفاه، أو أو..

نعم لخالد فروع لمستشفاه في القاهرة وعدة بلاد عربية، هي نفسها لا تعلمهم بالتحديد، كما أنه كثير السفر للدول الأوربية والأمريكية، فهو ضيف يحل علي أي مؤتمر علمي عالمي لأمراض القلب، ولما لا وهو صاحب ومخترع عملية دقيقة سجلت باسمه، كما أنه منذ صغره لديه هدف واحد وهو أن يتحدث العالم كله عنه وعن أعماله وقد كان ولكن علي حساب الكثيرين، ومريم أولهم.

اطمأنت مريم أنها ستكون وحدها مع مكرم هذه الليلة، فهي لا تريد أن شيء يقطع محادثتها أو يشتت ذهنها وهي معه، يكفيها تلك التي بداخلها وما تفعله فيه.

ولكن هذه الليلة لم تبال بما تقوله لها، ولن تحاول أن تسمعها.

صعدت مريم إلى حجرتها، وأغلقت الباب بالمفتاح، وفتحت درجًا في شفونيرتها، لتخرج منه قميص نوم حريري ذا لون وردي مبهج، قصير، مفتوح الصدر ويحوط بيه تل أبيض من كل اتجاه، فيكشف عن جسدها أكثر مما يداري،

تلك القمصان التي تشتريها العرائس في أيام زفافها الأولى لتتمتع بيه أزواجهم، سرحت بخيالها قليلاً، تحاول أن تتذكر متي ارتدت هذا القميص أو ما يشبه آخر مرة؟ ولم اشترته من

الأساس، فتذكرت أنها منذ خمسة أعوام كانت تعرفت على دكتورة نفسية في إحدى الجلسات النسائية التي كانت تحضرها مع بعض المعارف والجيران بجدة، وأنها قد تجاذبت معها الحديث بحذر كما كان خالد ينبه عليها دائمًا، ويلقي عليها وابل من التحذيرات والمحظورات قبيل خروجها النادر لتلك الجلسات، فهو كما يقول: شخصية معروفة جدًّا ولا يحب أن يترك أثر سيئ لدى أى شخص أو يقتفي أحد أثره لأي سبب، وهي كونها زوجته فهي تمثله بالخارج ووسط مجتمع السيدات هذا الذي كثيرًا ما كان يوجد فيها زوجات أمراء وشيوخ، ولكنها أحبت سناء تلك الطبيبة المصرية ذات الوجه الجميل الهادئ، ولأن الليلة كانت ثقيلة عليهما فانفردا على أحد الجوانب يتحدثان عن مصر والغربة وأحوالهما، حتى وجدت مريم نفسها بعد قليل كأنها قد وجدت قارب نجاة، فأخذت تحكي لها عن مشاكلها مع خالد، وذكرت مشكلتها الخاصة كزوجة معه، وكيف أنها من كثرة مشاغله، وسفره المستمر تباعدت العلاقة الخاصة بينهم لدرجة أن تكون معدومة منذ سنين، تحدثت سناء معها كثيرًا تلك الليلة والمرات القليلة التي تلتها حتى عرف خالد بهذا الموضوع وكان ثورته عارمة عليها، إذ كيف أن تحكي لأي شخص كان أمور شخصيه كهذه، وأنها يجب أن لا تنسي هي زوجة من، وما هو منصبه في هذه البلد، ولم تر أو تسمع عن د/ سناء مرة أخرى غير أنها دعت الله كثيرًا ألا تكون هي السبب

في قطع رزقها وخروجها من المملكة، وكان من ضمن نصائحها لها أن تحاول أن تجذب زوجها من خلال مثل هذه القمصان، هكذا تذكرت لماذا لديها هذه القمصان، وكأنه شيء غريب أو ليس لدى كل امرأه متزوجة مثلهم، أخذت تصفف شعرها، وتتحسر علي أنها قصته إلي هذه الدرجة منذ عدة سنوات من باب الزهق ساعتها، أو من باب التغيير، ولكنه لم يفلح حتى قص الشعر في تغيير أي نمط من حياتها، ارتدت القميص ووضعت مكياجها وزادت من كمية العطر، عطره كما تقول هذا عطر مكرم.

وكأنها عروس في ليلة زفافها الأولى.

في الثامنة وعشر دقائق وكانت لم تنتبه للوقت من كثرة ما سرحت في القميص ومن ثم في تجهيز هيئتها عدت الميعاد بعشر دقائق كاملة،

- ألو.. قالت مريم مبتسمة تكح بحشرجة قليلة، كأنها من كلمة ألو قد فتحت له الباب للتو فانبهر بما ترتديه وبعطرها النافذ.

- إتأخرتي عشر دقايق، إيه اللى حصل؟؟ دا أنا كنت حتجنن، وقلقت عليكي في حاجة ولا إيه؟

سألها مكرم في انفعال ممزوج بقلق

– ياه، حتجنن علشان إتأخرت عشر دقايق، ما أنت إتأخرت عليا ٢٠ سنة بحالهم، ردت مريم في دلع ودلال، ثم أردفت قائلة:

– لا أبدًا، مفيش أي حاجة، معلش أنا آسفة، بس اتعطلت شوية في حاجات في البيت،

– آسفة... ليه آسفة يا مريم؟ متقوليليش آسفة دي تاني أبدًا، دا أنا ميكي يا مريومة، إوعي تتأسفي أو تعتذري عن شيء، وخصوصًا لو حاجة بسيطة، مع أنها عندي مش بسيطة، احسبي عشر دقايق دول فيهم كام ثانية وفيمتو ثانية؟ شوفي قلبي دق فيهم كام دقة؟

وبعدين أنا متأخرتش عليكي يا مريومة، أنا كنت مضطر ضاحكًا بصوت عالي قال لها مكرم:

سرحت مريم قليلاً في كلمة آسفة، كم مرة قالتها في ذل وانكسار لخالد، كيف قتل شخصيتها عمدًا هكذا، وجعلها كورقة شجر خفيفة ليس لها قيمه تهتز عند أقل حركة ريح،

– مريم؟ نده عليها مكرم.

– ها.. أيوه حبيبي ، ردت مريم كأنها عادت للتو من مكان بعيد

- سرحتي في إيه؟ مالك ؟

- أبدًا يا ميكي مفيش؟

- يا مريومة، على بابا دا أنا اللي مربيكي وحفظك من بحة صوتك. قوليلي مالك يا حبيبتي؟ سألها مكرم

- بستغرب علي الزمن واللي إحنا فيه، بشوف اللي حصلي السنين اللي فاتت دي كلها وإزاي أدرت أعيش.

أنا يا مكرم محطمة نفسيًّا وعصبيًّا، من كل حياتي كنت زهقانة وإزاي إنت جيت حيتني من تاني، إزاي حسيت بنفسي وشفتني بعينك إنت ورجعت تاني أعيش، وأتنفس وأضحك، دا أنا رجعت أبص تاني في المرايا وأشوف نفسي،

- احكيلي يا مريم، احكيلي كل حاجة وبالتفصيل.

وبدأت مريم في سرد قصتها منذ اختفي مكرم من حياتها إلى أن عاد.

●●●

الحكاية

بعد ما خرجت من المستشفى ورحت على بيت جدتي في الهرم وكنت لسه تعبانة ومهزوزة وخصوصًا إني مش عارفة أوصلك، دول قطعوا سلك التليفون زيادة في الاحتياط، اقترحت عليهم خالتي إني أسافر السعودية معاها أعمل عمره، وخصوصًا إن أهل خالد هناك وكمان هو حيجي بعدي بكام يوم لما يكون في إجازة من الكلية، هو كان آخر سنة في الامتياز، وفعلاً سافرت وكنت بقضي أغلب اليوم في الحرم، كنت بصلي كتير وأدعي ربنا وأعيط، وفي يوم كنت سرحانة وباصة للكعبة ودموعي بتنزل لوحدها، جت ست كبيرة وشها كله نور قعدت جنبي تطبطب عليا وتسألني مالي، فلقيت نفسي بحكلها عنا وعن اللي حصل.

اتكلمت معايا بهدوء وبالمنطق، وأن حبنا دا مكتوب عليه الموت وهو لسه جنين، وإني كده بعذب نفسي من غير داعي، ذكرت لي آيات في القرآن وأحاديث في السنة، وإني مش حطلع من الإحساس أو المشكلة دي غير لما أقابل شخص تاني ويكون على ديني وأحبه وأتجوزه، ساعتها كل اللي أنا فيه ده حيبقى مجرد ذكرى واحتمال كبير أضحك لما افتكرها، الجو والمكان وأمي وخالتي ونظرة الحزن اللي كانت في عين أبويا، واختفاؤك الكامل،

أنا حاولت كتير أكلمك في البيت وفي المحلات، مكنش في أي أمل إني الاقيك، حتي لما رجعت حاولت أوصل لأي حد كان بيشتغل معاك، أصحابنا القدام، جيرانا، كلهم قالولي فص ملح وداب .

كلها دي كانت عوامل ساعدتني إني أخد القرار وأتجوز خالد، وهو كمان كان سبب، لأنه لما جه في إجازته للسعودية، قعد معايا واتكلمنا كتير، كان كويس أو بيحاول يكون كويس، وغلطة عمري واللي بدفع تمنها لحد دلوقتي أني حكيت بحسن نية وبمحاولة مني من التخلص من كل ماضي، وإني أخدت عهد على نفسي إني أبدأ بداية جديدة حكيت له عنك، على الرغم من إني سعتها حسيت إنه متفهم موقفي، أو إنه عذرني زي ما قال لقلة خبرتي وصغر سني، وخصوصًا إني حكيت له بس الخطوط العريضة بدون تفاصيل، إلا إني اكتشفت بعد كده إن الموضوع دا كان ليه أثر كبير في حياتنا وإنه عمره ما سامحني عليه زي ما بيقول، معرفش الفترة اللي قضتها في السعودية عمل لي فيها إزاي غسيل مخ، مبدئيًا أقنعني إننا نتجوز على طول، هو فاضل له كام شهر ويخلص سنة الامتياز، وكل حاجة جاهزة في أمريكا لاستقبالنا، البيت والعربية والجامعة اللي حيعمل فيها الماجستير والدكتوراه، والمستشفى اللي حيشتغل فيها وكل حاجة، وأقنعني معرفش إزاي أن الجامعة دي حاجة ملهاش لازمة وخصوصًا فنون جميلة دي، وإني أقدر في أمريكا ألتحق بأي معهد في نفس التخصص

وأدرس هناك، وإني حيبقى عندي الوقت الكافي لدا، وطبعًا دا في الحقيقة محصلش، المهم، رجعت مصر وكانت فرحة أمي لا توصف وخصوصًا أنها كل اللي طلبته اتنفذ بدون أي اعتراض، وخصوصًا أنها كانت متوقعة أن أمه حتعترض ولكن كل حاجه تمت بسرعة وسهولة غريبة، نزلوا في الصيف، جابوا الشبكة الألماس المحترمة واللي ماما اختارتها بنفسها كأن هي اللي حتلبسها، حتى وإحنا بنشتري قاستها علي إيديها هي وأنا كنت واقفة اتفرج كأني واحدة غريبة، مجهزتنيش بأي شيء زي كل العرايس ما بيتجهزوا، أخدني فعلاً بشنطة هدومي زي ما بيقولوا، وعملوا هما الفرح والتجهيزات وعزموا شيوخ وأمراء وناس كبيرة من مصر والخليج، وأنا كنت كأني معموللي عمل، حسه إني مش أنا اللي بتجوز،حسه كأني بتفرج علي فيلم ، لبست الفستان الأبيض وسمعت كلام أمي وخالتي وابتسمت في الصور، وطلعنا بعد الفرح بكام ساعة علي المطار علي طول، مش عاوزه أحكيلك علي أبويا وحضنه لي في المطار، و كلامه اللى فهمته من عينه إنه حاسس بيا وقلبه معايا وبيوصيني على نفسي، ودلوقتى فهمت بعد ما أنت حكيت لي إنه يمكن كمان كان بيعتذرلي على اللي عمله معاك، بس هو مكنش عنده أي حل تاني ينفع يساعدني بيه، الصدمة الأولى لي مع خالد كانت وإحنا في الطيارة، وبداية كلامه معايا كزوج أنا حاليًا بحمل اسمه وتحت رحمته، قصدي مسئوليته زي ما قاللي.

وإنه في عنده أساسيات لازم اتبعها بالحرف، وما أتناقش معاه فيها نهايي، وأولاها كانت الشنطة اللي أمه كانت مسكاها في المطار وإديتهاله قبل ما ندخل على طول وفضلت في إيديه لغاية ما قعدنا في الطيارة، فتح الشنطة وطلعلي منها إيشارب كبير، وحطه علي شعري بدون حتي ما يسألني، وقالي إحنا مسلمين، والست المسلمة لازم تكون محجبة، وأنا دلوقتى راعي الأسرة دي وحتحاسب عليكي، وحط الطرحة علي راسي وقالي شوية شوية حتعرفي تربطيها وأنا جايبلك كتير معايا في الشنط الكبيرة، وكمان لبس يناسب الحجاب، انسى لبسك دا خالص، زي ما لازم تنسى حاجات كتير أوي من حياتك قبل الجواز، مكنتش قادرة حتي اعترض، أو افتح بقي، ودي غلطتي التانية، بنت يا دوب حتتم العشرين، مجروحة مهزوزة، قالوا لها إن دا طوق نجاتها، داخلة على حياة جديدة، بتحاول تنجح فيها بأي شكل، لعل وعسى تداوي جرحها وتقدر تنسي حب عمرها، ولما وصلنا فرجني علي البيت وقبل ما نستريح من سفر ١١ ساعة وقبله فرح وتعبه، أخدني بشكل فاجئني، ومهتمش بأي حاجة غير إشباع رغبته مني فقط، حسيت بخنقة وإني عاوزه أصرخ أعترض وأبكي، بس مقدرتش سكت سكوت اللي عامل عاملة وحد بيداري عليه، وبعد يومين بالظبط بدأ خالد شغله ودراسته، وبدأ تحكمه الواضح في، حسيت كإنه اتجوزني بس علشان يصون نفسه بالحلال في الغربة

وسط كل المغريات، وعلشان يلاقي هدمه ولا أكلة نضيفة، وبالرغم إنه معاه فلوس ومرتاح، إلا إنه رفض يجيب شغالة في البيت، قاللي إنا أحب مراتي هي اللي تعملي كل حاجة بإيدها، ودا كمان أحسن ليكي علشان يسليكي متخيل حالتي كانت إزاي بلد غربية كئيبة، لوحدي طول اليوم، بكلم أهلي مرة واحدة في الأسبوع لازم يكون جنبي فيها.

ممنوع أخرج لوحدي، ممنوع أعرف حد من الجيران، ممنوع ممنوع، كل حاجة ممنوع.. حتى الدراسة اللي كدب عليا وقاللي سيبي الجامعة وادرسي هناك، من وإحنا في الطيارة، قاللي الرسم أصلاً حرام، يعني إيه ترسمي؟ وكمان تدرسي في معاهد للرسم في أمريكا، دي كلها شواذ جنسيًّا ومنحرفين، لأ مفيش رسم، خليني أبقي أدورلك لما أفضى علي معهد ديني تدرسي فيه فقه وشريعة أهي حاجة تفيدك بدل الكفر دا...

وبرضه منتطقتش كأني بالظبط منومة أو معمولي عمل.

أما بقي يومين الإجازه فكان متفرغ فيهم لحاجتين اتنين، ينام معايا أكتر وقت ممكن، وبقوة وعنف غريب، كأنه بينتقم مني أو بيعاقبني على شيء، وإنه ينفرد بنفسه بالساعات يتكلم فيها مع أمه.

وآخر اليومين ينزل معي لشراء مستلزمات البيت.

كنت قربت أنهار وأفتح باب البيت وأمشي ومعرفش حاروح فين، لإنه كان واخد بسبوري وبيسيبلي فلوس قليلة جدًّا ، ويقولي إني مش محتاجة الفلوس في حاجة، لكن كنت بصلي وبدعي ربنا من قلبي، هو الوحيد المطلع عليه وحاسس بيا، مافاتش تلات شهور وعرفت إني حامل، صحيح من ساعة ما عرف وهو إتغير شوية معايا، بقي علي الأقل بيكلمني أكتر يطمن عليا وعلى الحمل، يخرجني يشتري لي هدوم وهدايا ويشتري حاجات للبيبي، يمكن دي أكتر فترة كان كويس فيها معايا في حياته، خلفت ابني كريم ولما عرفنا إنه ولد سألني عاوزه تسميه إيه؟ ترددت شويه علشان ميحسش إني كنت ناويه على الاسم دا، ولما قلت له كريم وافق على طول وقالي ، الله كريم.

حقيقي كريم شغلني وشغل وقتي وسعادتي بيه كانت كبيرة، وبسببه خالد فرجها على شويه، أو لإن كانت مشاغله كترت أو لإنه كان اطمأن إني حفظت دروسه وإني طالبة شاطره وبسمع الكلام ومش بجادل أو أعارض، فاشترى لي عربية علشان اتحرك بيها، وأجيب طلبات البيت وأودي الولد للتطعيمات ومتابعة دكتورة ، لأ وكمان بعد شويه من نفسه ولما بقا مطالب منه إني أحضر معاه عشا أو أي إيفنت خاص بالجامعة أو بمجموعة الأصدقاء اللي

أتعرف عليهم، جاب لي ست مكسيكية كبيرة في السن تساعد في البيت وفي مراعية كريم لما نخرج، حاولت اتأقلم واقنع نفسي إن هو بيحبني وخايف علي وإنه بيعرف ربنا وبيحافظ علي دينه وعليا،حبيت كريم حب لا يوصف وكنت بنده له بيني وبينه بميكي علشانك وعلشان اسمك يبقي دايمًا علي لساني، انشغل خالد أكتر بعد الماجستير وشغله وانشغلت أنا بكريم ومن بعده بتلات سنين جبت سلمى، بالرغم من أن خالد هو اللي سماها، لكن محستش بفرحته بيها زي كريم، يمكن علشان ولد وأول فرحته، أو يمكن علشان سلمي جت في عز ما كان خالد بيشق طريق نجوميته وابتكاره لعملية فريدة لاصلاح صمامات القلب أخد عليها درجة الدكتوراه، وانطلق نجمه في سابع سما وبدأ ينشغل عنا بعمله ونجاحه ونجوميته، أنا بصراحة كنت مبسوطة جدًّا في الأول، أنا معايا أحلي هديتين في الدنيا، ولد وبنت زي القمر، أبوهم مش بيبخل عليهم ولا عليا، نقلنا فيلا كبيرة على منظر رائع في أحلى مدن أمريكا في نظري ميامي، ولادي دخلوا المدرسة والحضانة أخدو الجنسية لأنهم مولدين هناك، أصبح لي صديقات وبخرج معاهم، ولكن برضه في أضيق الحدود وكتير بحضر مع خالد ندوات ومؤتمرات، فأنا كنت زي ما بيقول وجهة كويسه ليه!

قعدت في أمريكا تقريبًا أربع سنين ورجعنا بعد الدكتوراه علي طول على جده، بيتهم الكبير اللي فيه جناحين واحد لينا وضبوه وإحنا مسافرين، باباه مقاول كبير أوي في الخليج كله، وجناح تاني كبير فيه مامته وباباه وإخواته البنات التانيين

وهنا تبدأ تاني فصول مأساة حياتي،

ثم فجأه قالت:

- إنت نمت؟

- لا يا مريومة معاكي يا قلبي، كملي

رد عليها مكرم:

- لأ تعبت كفاية عليك كده النهارده، دي قصة طويلة أصلها. عقبت مريم
- وأنا لازم اسمعها كلها ومعنديش أي حاجة، كملي يا مريم أنا معاكي. جاوبها مكرم:
- طب أنا حأقوم شويه اطمن على سلمى وسنيه وارجعلك، إديني ساعة كده.
- لأ ساعة كتير، مقدرش علي بعدك ساعة يا قلبي . رد عليها مكرم ضاحكًا:

obeikan.com

ضحكت مريم وقفلت علي وعد بالاتصال بعد نصف ساعة،

ولكنها بعد أن أغلقت الهاتف ظلت ممسكة به بيديها واضعة إياه فوق صدرها، تسيل دموعها بصمت، حبيبتي وقلبي وحياتي، لماذا لم تسمع تلك الكلمات الجميلة التي تحرك القلب من زوجها أبو أولادها؟

- إنتي خاينة... فاجأتها تلك المزعجة،

- أيوه خاينة بتسمعي كلام حب من واحد غير جوزك، وليه متقوليش إنه هو السبب، اعتدلت مريم في جلستها وتركت هاتفها وقررت مواجهتها،

- هو اللي عاملني وحش، هو اللي كان كل شويه يفكرني إني خاطية وإنه أنقذني من الرزيلة وإني لازم اسجد لربنا شكر علشان رضي يتجوزني ليه ؟ وهوعارف إني معملتش حاجة غلط، بالدليل لما أخدني أول مرة وعرف إني بنت، إيه كان شاكك ؟ طب اتجوزني ليه؟ إيه اللي يغصبه؟ ولا لأنه عارف إنه معقد ومش أي واحدة حتردي بعقدة وأوامره المستفذة ولا طريقة حياته اللي محدش يرضى بيها حتى لو كان أغنى واحد في الدنيا، ولا أمه، أمه المتسلطة الجبارة، اللي عندها خالد دا إله في السما، أمه نسيت عملت في ايه ؟ نسيت الأيام

والسنين اللى شفت فيها مرارة وقسوة محدش في الدنيا يستحملها.

- وسكتي ليه؟ رضيتي ليه؟ سألتها تلك الضمير الحي بداخلها
- سكت علشان ولادي، علشان أفضل جنبهم، علشان ميعيشوش بين أم وأب مطلقين، ردت مريم.
- ولا علشان الفلوس، الدهب والألماس والفلل والخدم والمظهر
- الاجتماعي،؟؟ ولا السفر والقاعده مع أهم ناس في العالم، مش دا اللي كنتي بتفتخري بيه وتقولي أنا مرات الدكتور خالد الصيرفي،؟. سألتها:
- وماله، منكرش اني كنت بستحمل كتير وبرضه علشان ولادي ، وعشت، اهو عشت علي ايديك عشت اكتر من عشرين سنه، وسكت شفتيني فتحت بقي في يوم،؟ شفتيني اعترضت،؟؟

بداءت مريم في النحيب بصوت مسموع وهي تتخانق وتنفعل علي نفسها ما أنا حطيت جزمة في بوقي وعشت وربيت ولادي وفضلت تحت رجليهم كلهم، وحتى لما أهملني كزوجة حاولت أعالج الموضوع وأحله، فشلت حتى لما كنت بسمع بودني إنه متجوز مرة من مغربيه ومره من اميره خليجيه، كام مره اعرف وبطرق غريبه كانها مقصوده .... إنه متجوز ولا له في كل بلد بيت وزوجة وأولاد؟؟ ها كام مرة؟؟

دي يا شيخة المرة الوحيدة اللي اتجرأت وسألته مأنكرش، وقالي بكره لما أموت حتبقي تعرفي من الورثة إذا كنت متجوز ولا عندي عيال تانية..

هو في كده، في واحدة تستحمل كده؟ سألتها مريم

- عمره ما بخل عليكم ومعيشك إنتي وولادك عيشة الأمراء والملوك، عمره ما قالك بتصرفي فين ولا كام..

- مهو من كتر اللي عنده، دا لو قعد على فلوسه يشوف بيها على مرمي عينيه يا شيخة

- طب بس قولي الله أكبر، مهو كله ليكم

- انا مش عاوزة فلوس مش عاوزة الماس وسفر ويخوت وفلل، أنا عاوزة أحب وأتحب، عاوزة حد ياخدني في حضنه، يهتم بيا..

- دا مخليكي ملكة وسط الناس.

- أنا عاوزه أبقى ملكة قلبه هو وبس، عاوزه أحس بقلبه وأنا مليا، أنا وبس، دا حرام في إيه؟ سألتها مريم في استعطاف لعلها تخرص..

- إنتي مجنونة والكلام معاكي تضييع وقت، تقدري تقوليلي إيه الاي إنتي لابساه ده؟؟ ولابساه ليه ؟؟ هو إنتي كنتي ناوية توريله نفسك كده؟!

- لا طبعًا
- آمال لابسه كده ليه؟!
- برضي غروري يا ستي، بحس إني أنثي مرغوب فيها، أنا بني آدمة عندي مشاعر وأحساسيس، حرام عليكي بقى، اسكتي شوية، أنا بخاف ربنا زيك بالظبط ، بس أنا عارفة إن ربنا مطلع على قلبي، ربنا بيغفر ويسامح، ربنا مطلع على قلبي..

تقولها مريم وهي تلقي بنفسها على مخدتها تنسال دموعها بشدة وسرعان ما تخلد إلى نوم عميق كأنها انتهت للتو من معركة حربية.

●●●

الصحوة

توالت المكالمات الصباحية والمسائية بينهما، بل إنها أصبحت تأخذ شكلا مختلفًا فعندما أصر مكرم على رؤيتها فتحت الكاميرا بالهاتف وكذلك هو، فأصبحا كأنهما يعيشان سويًا تحت سقف واحد، فكانا ينزلان للتمشية في الصباح الباكر واضعين سماعات الأذن في أذنهما وموجهين عدسة الكاميرا لكل ما حولهما، وهكذا في كل تفاصيلهما الحياتية، بل إنها كانت تقف معه وهو يحضر العشاء لنفسه وتعلمه وصفات جديدة، كان يذهب معها إلى المحلات ويختار لها ملابسها،تكون معه في سهراته وخروجاته، تحاسبه علي عدد كاسات الخمر التي يشربها وتصطحبه إلى السرير تطمئن أنه قد نام فتغلق الموبايل وتنام، عاشا كأنهما أزواج لا ينقصهما سوى التلامس الفعلي، وحبست مريم تلك التي بداخلها غصبًا واقتدارًا أطول فترات قدرت عليها، لأنها فعلا تمادت وأزاحت كل الحواجز بينهما كأنها كانت تحاول أن تنتقم مما حدث لها وأضاع منها شبابها وحبها، ولكن تنتقم من تحديدا ...؟؟؟

لا تعلم ولكنها كانت سعيدة، سعادة كادت أن تنساها، سعادة كانت تحتاجها وتحب أن ترى نفسها غارقه فيها، استعادت كل الحب الذي كان يحييها وحيت من جديد، كانت كالتائه بصحراء

عده أيام تكاد عروقها تتكسر من قلة الماء وشارفت على الفناء وفجأة هطل المطر بغزارة من السماء وتجمع في حفرة تحت قدميها فانهالت منه أنهار، هكذا كانت تفتقده وتفتقد حبه وقلبه وحنانه، تفتقد ذاتها معه عادت مريم بنت العشرين صبية، جميلة متحررة منطلقة سعيدة، والأهم عاد قلبها ينبض بالحب ويصرخ به، بعد أن كان محبوسًا بين ضلوعها..

توالت المكالمات والحكايات..

فحكت له مريم ذات نهار عن كريم وكيف أنهى دراسته بالثانوية الأمريكية بالقاهرة بعد أن درس كل المراحل السابقة بالسعودية، وكان أبوه منذ صغره يدربه ليكون طبيبًا ممتازًا مثله ويرثه في عمله قبل ماله، وأنه الآن يدرس الطب بأمريكا كرغبة أبيه أيضًا، وأنه يزورهم في إجازات الكريسماس وإجازات الصيف،والتي يقضونها عادة في إحدى الدول الأوروبية وخصوصًا باريس..

- باريس؟؟ بتيجي باريس؟؟

سألها مكرم في لهفة

-كتير وياما دورت عليك، دا أنا كان هاين عليا أوقف الناس أسألهم عليك، أو أشيل صورتك وأقول تايه يا ولاد الحلال، تضحك مريم بخفة وهي تجاوبه:

- أنا لازم أشوفك يا مريم، لازم...

وتكلم مكرم وكأنه يحدث نفسه، وحكت له عن سلمى وأنها بعد أن سافر كريم إلى أمريكا كان قد فاض الكيل بيهما معًا في العيش في جدة، وخصوصًا بعد وفاة أبو خالد والتي أحدثت هزة أثرت على مريم بشكل كبير.

فاكتشفت بعد سماع شجار حاد بين خالد وأخواته البنات فهمت منه أن الأب قد كتب كل ما يملك لخالد، ولم يترك للبنات سوى بعض الأملاك البسيطة، بحجة أن عاداتهم تقضي ألا يرث البنات ويجي أزواجهم للاستمتاع بشقا عمر أبوهم، وأنه تارك لهم مع خالد نصيبهم يعطيهم هو ما يترائى له منه، هذا ما حدث معها ولكن بشكل مختلف، فآمال أمها قد أوزعت إلى المهندس محمد بترك ما يملكه وهو قليل جدا بالنسبة لأموال أبو خالد، لأحمد وإبراهيم بحجة أن مريم متزوجة من رجل غني ولا تحتاج إلى تلك الأموال..

كم رأت من غضب من أختيه والغريب أن امهم لم تحرك ساكنًا فهي قوية لم تر امرأة من قبل في قوتها وجبروت قلبها، حتى إنها لم تبال عندما طلقت البنتين بعد جوازات قصيرة، أحدهما طلقت مرتين، والصغرى بعد هذا الموقف وبعد أن رأت من خالد تعنتًا واضحًا في أخذه الميراث كله، استيقظوا بعد وفاة

والدهم بشهرين ليجدوها قد هربت من المنزل، بل من المملكة كلها، ولم يعرفوا إلا بعد عدة أسابيع أنها قد سافرت إلىألمانيا واستقرت هناك ، لتعمل وتسكن في منزل ذو غرفة واحدة، ولم تستغرب مريم من فعلتها، بل إنها كانت تحدثها سرّا، فقد كانت علاقتها بها دائمًا جيدة، عكس الكبرى المطلقه مرتين والتي كانت تحت طوع أمها دائمًا، بل إنها كثيرًا ما ساعدتها على إيذاء مريم ومعاملتها معاملة سيئة، شعرت مريم بالغيرة من تصرف الأخت الصغرى، فهي قد نجت بنفسها، حره طليقة سعيدة، لم تهتم بمال أو جاه أو ميراث، فاشترت حياتها وبعدت، وكان قرار خالد وأمه باعتبارها ميتة هو ما حرك مريم في طلبها بعده بقليل.

كانت الإجازه الصيفية قد بدأت وسلمى لا تطيق المكوس بجدة في الصيف وخصوصًا بعد هروب عمتها الحبيبة إلى قلبها أصبح البيت كئيبًا والأب غير موجود باستمرار والجدة والعمة الكبرى يأذينهما هي وأمها بشكل مستمر.

فانتهزت سلمى فرصة وجود خالد وطلبت منه الانتقال للعيش بفيلا التجمع والتي صرف عليها خالد وجهزها منذ سنتين الكثير، بل إنها من شياكتها كانوا يطلبون أن يضعوها في مجلات الديكور.

لم يوافق خالد ولكن زن سلمى وإلحاحها عليه وكآبة مريم المستمرة في وجهه مع ضغوط العمل جعله يوافق على شرط أن يصطحبوا سيد وسنيه للإقامة الدائمة وليكون سيد حارسًا وسائقًا لهم، كما أنه قال إنه ليس هناك داعي لأعيد على مسامعكم تحذيراتي وقواعدي.

وافقت مريم وسلمى، وكانوا على استعداد بالموافقة على أي طلب يطلب منهم في سبيل الهرب من هذا البيت، فبعد وفاة الجد وسفر كريم وهروب العمة الصغرى أصبح سجن بثلاثة سجانين.

هكذا رجعت مريم وسلمى إلى القاهرة منذ أربعة أشهر فقط، وشاء القدر أن تجد مكرم بعد أن استقرت بعيدًا عن خالد والذي كان في العشر سنين الأخيرة وجوده كعدمه، فهو غير موجود في أغلب المناسبات والأعياد ولا يعترف بهم أيضًا، كم من مرة تحدثه لتجده في بلد أوروبي أو في بلد عربي، هكذا بدون أن يقول لها..

- ليه حاستأذنك ولا إيه؟؟ وبعدين عندك كل حاجة وناس تحت إيديك في البيت وفي المستشفى يعملولك اللي إنتي عوزاه، ومعاكي بدل الفيزا عشرة، عاوزة إيه بقى؟ هكذا كان رده، فأصبحت لا تسأل، إذا حضر وطلبها تكون طوع يديه، إذا أمرها بتجهيز حقيبتها للسفر بعده عدة سويعات لحضور إحدى المؤتمرات والتي يكون فيها زوجات، تكون طوع يديه، وهكذا كانت دائمًا جاهزة

لأي مفاجـأة، وكانـت كمـا قـال لهـا ذلـك الشـيخ في الطائـرة في أول عمرهـا، إذا لـم تسـتطع أن تبكـي فتباكـي، وإذا لـم تسـتطيعي أن تضحكي فتضاحكي، أي مثلي حتى يصبح التمثيل حقيقة، وبالرغم من أنه لم يصبح حقيقة في وقتها ولكنها استمرت على النصيحة.

قالت ذات مرة لأخته الصغرى.

- أنا واحدة بحب الحياة، بحب الضحك، بكره النكد والزعل والخصام ، وبالرغم من اللي أخوكي وأمك عملينه فيّ، لكن عارفه إن الجاي أحلى، ومعرفش إزاي. بس ربنا حيعوضني خير عن كل جرح وظلم اتظلمته..

بعد أن أغلقت الهاتف سرحت مريم في هذا اللقاء الذي بدأ يلح عليه مكرم، قد أذابه حبه وحنيته وهما يتذكران حبهما في الأيام الصافية الفائتة، نعم فهي تحبه وتتمنى أن تراه، تتمنى أن تلقي بنفسها في حضنه، طول الثلاثة أشهر الماضية يتحدثان يوميًا ويتخيلان هذا اللقاء وطوال هذه الأشهر لم تر مريم خالد ولا مرة واحدة.

●●●

الحب

مضت ثلاثة أشهر على بداية مكالمتهما، ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع يومًا واحدًا، فإحساس السعادة التي شعرا بها كانت تدفعهما إلى المزيد، فأصبحت مكالمتهما المسموعة والمرئية أسلوب حياتهما الجديد..

وجد كل واحد فيهما ما كان يفتقده، وجد نفسه..

أن يكون لك قلب في مكان ما في العالم يحبك،، يهتم لامرك، ينشغل بمشاغلك،، ينتظرك في لهفه وشوق لا يهدأ،، قلب يتمنى رضاك،، يخشى حزنك

يبتكر كل جديد لك وحدك ليسعدك،،

تتمحور حياته عليك دون البشر،، تفكر فيه في كل لحظة في يومك،، ترى الكون أصبح جميلا وتسمع صوت العصافير تغني لحنا خصيصا له،، تنظر إلي النجوم فتشعر أنها تتقارب لتصنع عقدا له، تراه في أحلامك حين تنام،، وتستيقظ على صوته فتشعر أن الكون كله يلقي تحية الصباح على مسامعك،، تدمع عيناك من ضحكة عندما تراه يضحك، ويعتصر قلبك ألما لحزنه،، وحين تتنفس تشعر أنك تتنفس هواءه ،،

obeikan.com

وحين تنظر إلى المرآة تجد هناك شخصًا مختلفًا، مبتسمًا، ربما لأول وهلة لا تتعرف عليه، وعندما تلقي تحية الصباح على الأصدقاء، تشعر أنهم استوقفوك لقراءة قصة حبك المكتوبة بوضوح على جبينك، فتستشعر أنك قد نقلت لهم عدوى حبك من أول سلام ، فيتركونك وقد سرى الحب إلى عروقهم، وتبدأ العدوى في الانتشار،،

ذلك هو الحب،

الحب الصافي الحقيقي، المنزه عن أي أغراض ، حب بدون مشاكل أو تعقيدات، غير خاضع لقوانين أو حسابات،

حب باق خالد ضاربة جذوره في أعماق سحيقة ، يسري في جسدك ببطء سريان مخدر قوي شديد ذي تركيز عالي ونوعية فاخرة،، فتنتشي وتظل النشوة عالقة بك لا ترحل،،

حب قلب لقلب روح لروح، بدأ قبل الحياة ولا ينتهي بأي نهايات كانت

- ألو.. جاوبت مريم على تليفونها

- أيوه يا أم كريم ،، أنا في القاهرة وجاي على البيت بليل، جاوبها خالد.

قفلت مريم التليفون وعلى وجهها ذهول من المفاجأة وقامت من فورها تنظر إلى المرآة، و كأن خطيئتها مع مكرم مكتوبة على جبينها.

- خايفة ليه كده؟؟ هو إنتي عاملة عملة؟؟. سألتها تلك التي بداخلها تتنفس مريم بصعوبة، وتتهدت بغيظ مكتوم، حتى بكلمات فقط، ولكنها أعادت لها الحياة، كأنه هويس ماء قد فتح على أرض قلحاء كادت أن تموت من شدة الظمأ فروته..

- أنا إتغيرت، أنا مش زي ما سبني، مش زي ما رباني وخوفني، أنا رجعت مريم حبيبة مكرم، رجعت مريم اللي أنا أعرفها، وخلاص مش خايفة منه.

قالت مريم محدثة نفسها

ثم طلبت مكرم

- خير يا مريومة؟ سألها مكرم من توه.

- عرفت من فين إن فيه حاجه؟ سألته مريم باستغراب

- أنا بحس بيكي يا قلبي، من ألو بس،، فأكيد في حاجة. جاوبها مكرم في حنية.

- خالد في مصر، وجاي بليل. قالتها مريم وهي منهارة

opelkan.com

- وإنتي ناويه تعملي إيه؟ سألها مكرم في شبه عصبية وتحدي.

- مش عارفه يا ميكي، بس أنا مش حاقدر أفضل كده ولا حاعرف أعيش من غيرك،

- اطلبي الطلاق يا مريم ، كفاية اللي شفتيه في حياتك، وتعالي، إحنا مش ممكن نعرف نعيش من غير بعض، إحنا دلوقت أكبر وأعقل من ما كنا، والزمن علمنا كتير، سعادتنا مع بعض، إيه الحكمة إن ربنا يخلقنا ويقرب قلوبنا ويخلينا نحب بعض بالشكل دا، وبعدين يقولنا مينفعش ، صرخ مكرم بانفعال

- أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم، متقولش كده ، بكت مريم وهي ترد عليه

- مريم أنا مش حاعرف أعيش من غيرك، أنا عاوزك ، تعالي، أنا حاخليكي أسعد إنسانة في الدنيا، حنخرج ونسهر ونتبسط ونرجع ننام في حضن بعض ، كفايه يا مريم ، كفايه العمر اللي فاتنا، فاكره الفندق اللي في تايلاند اللي قلت لك عليه، أنا حاحجز فيه، ونسافر سوا، تعالي يا مريم أرجوكي تعالي استفاض مكرم في طلبها هذه المرة سكتت مريم مدة قبل أن تجاوب بصوت يخنقه الدموع،

- عاوزنا نعيش مع بعض في الحرام؟؟

obeikan.com

- لا طبعا، مريم .. أنا مش حاقولك اتنصري ولا أنا حاسلم،

لأني من كتر حبي ليكي مرضاش إني أغير لك في معتقداتك ودينك دي حاجة بينك وبين ربنا،

وأنا كمان، أنا عارف إني ممكن أتجوزك ومتهيألي دلوقت أنا حر نفسي ، مش حاخاف، ومعنديش حد أعمل حساب زعله،ومعنديش في ديني ما يمنع أن أتجوزك، هو غير مقبول لكنه مش حرام، ميخرجنيش من الملة،

- أنا يخرجني..... ضحكت ضحكة بأسى بالغ عندما قالتها مريم

- بصي يا حبيبة قلبي أنا من زمان من أول ما بدأت أفهم وأستوعب بدات أقرأ وأبحث وأسمع وأشوف ، أنا مكنتش زي ما إنتي قلتي مبفكرش في لكن .. ولا لحظة المواجهة اللي أكيد جاية، بالعكس أنا عملت المستحيل علشان أعرف إجابة سؤال مكنش عقلي قادر يستوعبه، ليه حلال للمسلم يتجوز أختي المسيحية وأنا أخوها مقدرش أتجوز أخته هو نفسه المسلمة .. بأي منطق؟؟ بأي عقل؟؟ فين العدل؟؟ صدقيني أنا عرفت إجابات كتير ومستعد أقنعك بيها، بس أنا مش حاعمل كده.

- مريم أنا بحبك، عارفه يعني إيه، مَش قادر أستحمل بعدك عني، أنا استحملت كل ده وبعدت علشانك علشان تكوني سعيدة، وسبتك لجوزك وولادك، لكن إني أعرف إنك مش سعيدة؟؟ لا وكمان متعذبة وأسيبك؟؟لا.. على جثتي، إنتي من حقك تعيشي وتتمتعي وتعوضي اللي فات، يا مريم حبنا دا حب يتكتب في كتب، إحنا روحنا في بعض، فاكره أول ما إتكلمنا وقلت لك أنا عارف عنك كل حاجة؟؟ إنتي بس نسيتي زمان لما كنتي بتعيي كنت بعيا معاكي، لما كان بيجيلك مغص كنت بعرف وأعدي على الصيدلية أجيبلك دواء من غير ما تقوليلي، أنا يوم ما عمي محمد مات عرفت لوحدي لما لقيت قلبي بيوجعني وحاسس إن شيء جوايا بيصرخ وعاوز يبكي، حسيت بيكي وإن في حاجة حصلت زلزلتك كده،،

كل آه كنتي بتقوليها كان صداها بيهزني، كل دمعه نزلت على خدك حرقتني قبلك، كانت عايش معاكي وأنا مش شايفك ، حاسس بألمك وأنا مش عارفه،،

إحنا يا مريم مش زي أي حد،، واللي قدر يخلينا نحافظ على الحب دا جوانا وبنفس القوة طول العمر دا،، وبعد البعد ده كله يبقى مكتوب لنا نتجمع تاني، نبقى مجانين لو سبناه يضيع أو بايدنا نقتله تحت مسميات بشريه ليها أخطاءها ، قوانين

أرضية منعرفش مبنية على أي سند؟؟ أحكام وأعراف ليها ردود تترد عليها بيها،، بس إحنا اتولدنا في مجتمع جبان، خوفنا نفتح عقلنا ونفكر وندور، مجتمع عنصري بيناشد بحريات معتقلة وهو السجان أصلا، مجتمع كذاب وبيدعي الشرف والفضيلة واللي يدور عليه في الحقيقة يعرف إنه عامل زي القواد اللي لابس عمة وقاعد بيدعي الناس للصلاة.

زي النعام دافن راسه في التراب خواف، كلمه مسيحي ومسلم بيصوروها في صور الهلال مع الصليب والشيخ بيبوس القسيس ،، وفي جوه كل واحد منهم جبل من التكفير،،

وبعد كده مطلوب منا الانصياع، ونحط جزم في بوقنا ونخرص ومنفكرش ومانتكلمش؟؟؟؟

مش إحنا ربنا اللي خلقنا؟؟ شايفنا ؟؟ ماسك قلوبنا بإيده؟؟ خلاص... ليه بنخاف من الناس وكلام الناس، إحنا اللي بنحب أو بنتعذب،، والناس أصلا مش حاسه بينا،، ولا حتدينا ولا حتاخد منا.. كفاية بقى، كفاية العمر اللي فات وإحنا مش في حضن بعض، دا لو مكتوب علينا الشقا والعذاب مش حنعمل في بعض كده، بعدك عني عذاب رهيب وبعدي عنك هو الموت ،،

أرجوكي يا مريم تعالي ، محدش في الدنيا بقي لنا، إحنا ملناش إلا بعض، أنا بحبك يا مريم حب لو إتوزع على كل عشاق الأرض لأخدوا منه وفاض،،

أنا مش عاوزك تردي عليا دلوقت، خدي وقتك، وأنا حاستناكي قالها وتركها تفكر، يالهوي، إيه اللي هو بيقوله دا؟؟ أستغفر الله، أستغفر الله، عاوز يَخسرك دنيا ودين؟؟ تتطلقي من جوزك أبو عيالك وتدخلي النار،، ياااا سلام، لا فعلا بيحبك أوي..

صامتة مريم كأن وقف على رأسها الطير لا تنطق

- يا بنتي يا حبيبتي، استهدي بالله كده وقومي صلي ركعتين واستغفري ربنا، وقومي وضبي نفسك واستقبلي جوزك، دا بقاله٤ شهور مشفكيش..

-وليه؟؟ بقاله ٤ شهور مشفنيش ليه؟؟ وكلمني كام مرة في الأربع شهور دول؟؟ ٤-٥ بالكتير، دا لو مربي كلب كان سأل عليه أكتر من كده؟ وبعدين هو كان عايش إزاي في الأربع شهور دول؟ معقول عايش من غير واحدة ست في حياته؟؟ هو فعلا ليه في كل بلد زوجة، أنا متأكدة..

فهو دلوقت عايش ومنطلق وسعيد وناجح ومحقق كل اللي نفسه فيه لكن أنا لا، أنا لازم أموت أو أتحرق شمعة تحت رجليهم

كلهم، المهم هما يكونو مبسوطين، لكن أنا (تخبط بيديها على صدرها بعنف) أنا مين يتحرق علشاني ، بلاش يا ستي يتحرق، مين يضحي علشاني، زي ما أنا ضحيت علشانهم كلهم، مش مهم حتى يضحي، مش عاوزة حد يضحي علشاني، أنا عاوزة أعيش، أنا بحبه، بحب مكرم ومش عاوزه حاجة من الدنيا كلها غير إني أكون بس جنبه، معاه، مش عاوزه غيره، فهمتي؟؟ أنا بحبه وروحي معاه هو، هو دنيتي فرحتي ضحكتي هو قلبي، بحبه.

تتحدث مريم مع نفسها بانفعال وبكاء وغضب شديد

- طب إهدي طيب دلوقت معلش، قومي بس اسمعي كلامي، صلي ركعتين واستهدي بالله كده واستغفري كتير، وربنا حيجعلك مخرج إن شاء الله..

بس متعمليش حسابك إنك حتروحي لمكرم بأي وضع كان قالتها تلك التي بداخلها بهدوء وسكينة حتى تهدأ مريم.

●●●

obeikan.com

اللقاء

تجلس في قاعة المسافرين ذات الأهمية بمطار القاهره الكبرى، ترتدي فستانًا أسود قصيرًا مفتوحًا من الصدر والحذاء ذا كعب عالي، وشعرها أسود ناعم كثيف يغطي كتفيها، تدخن سيجارتها البنية الرفيعة في انفعال واضح، وتضع نظارتها الشمسية سوداء اللون عريضة تغطي نصف وجهها، وأحمر شفاه نبيتي بلون الكرز، تضع ساقًا على ساق وتخبط بطرف حذائه خبطات منتظمة.

تنظر إلى الزجاج بعرض الحائط الذي أمامها ومن خلفه ترى مهبط الطائرات، تسرح بخيالها، بعد دقائق ستكون في إحدى هذه الطائرات متجهة إلى مكرم،نعم لقد اتخذت قرارها فهي لا تقوى على العيش بدونه ولا تستطيع، وقد عملت حساب كل شيء، فتركت لخالد خطابًا تطلب فيه الطلاق ثم تختفي كما اختفت أخته من قبل وحتى إن اعتبرها ميتة كما فعل بأخته فلن تبالي، الميتة في نظرك دائمًا وجدت ترياق الحياة والسعادة الأبدية وفي طريقها الآن لتناوله.هكذا كانت تحدث نفسها.

أما بالنسبة لأولادها كريم وسلمى فهي تحدثت معهما مباشرة وشرحت لهم كل شيء ولأنهما أولادها فإن سعادتها وراحة بالها تهمهما في المقام الأول وقبل أي شيء،وقد اتفقوا على مواعيد

ثابتة للزيارة واللقاء سواء في مصر أو فرنسا أو أمريكا عدا ذلك لم تكلم مريم أحدًا آخر في قرارها ولم تهتم بإبلاغ أي من أفراد عائلاتها.

يحضر إليها بعد برهة المضيف الأرضي للصالة ليخبرها أن ميعاد إقلاع الطائرة المتجهة إلى باريس قد أذن، تصعد مريم إلى الطائرة وكانت قد ربطت تلك التي بداخلها وسلسلتها بسلاسل من حديد وألقتها في بئر عميق، ثم اتصلت بمكرم تخبره أنها لن تنتظر خالد وأنها سوف تجهز شنطتها في التو وفي طريقها إليه، تعتدل في جلستها على كرسي الدرجة الأولى وتعتذر للمضيفة عن شرب أي شيء، ثم تضع يديها لتصفف شعرها وتخرج مرآتها الصغيرة لتنظر إلى وجهها، نعم تلك مريم التي أعرفها حتى وإن كان عمرها أربعين سنة، ولكن روحها روح العشرين، لقد اتخذت القرار الصحيح، ما الحكمة بأن نعيش تعساء وفي يدنا جلب السعاده لأنفسنا والاستمتاع بها،، تحدث نفسها قبل أن تضغط على ذر طلب المضيفة، فتهرول إليها فتسألها عن المدة المتبقية علي الوصول؟؟ فتجاوبها المضيفة أنه قد تبقى ساعة واحدة للوصول إلى مطار شارل ديجول بباريس،،

تسند رأسها على النافذه تنظر إلى اللا شيء، فبعد ساعة من الآن سوف ترى مكرم..

إن مجرد ترديدها لاسمه فقط بين جنباتها يجعل قلبها يرقص فرحًا، ويدق بدقات ليست كدقات كل القلوب، فالمحبون لهم دقات خاصة،، كأنه لحن خاص لا يعزف إلا لهم، ترتعد فرائصها من مجرد تخيل لحظة اللقاء الأولى. تبتسم وتمسك بيديها القلادة الذهبية المدلاه حول رقبتها والمزينة بحرف M هديته لها، تضغط عليها بشدة وهي تعض على شفتيها من فرط الإثارة واللهفة والشوق..

تعلن الطائرة بضرورة ربط الأحزمة لقرب الهبوط فيهبط قلبها معها بشدة، وتشعر أن روحها تحاول الخروج متعجلة للوصول إليه قبلها، فتضغط بيديها على صدرها تحاول تنظيم نفسها، لا تعرف كيف خرجت من الطائرة ولا كيف وصلت إلى ظابط الجوازات ولم تنتبه إلا لثانيه صوت ختمه يطبع على بسبورها قائلا لها بالفرنسية: إقامة سعيدة بباريس، لم يكن معها غير شنطتها وشنطة سفر صغيرة بها احتياجاتها الخاصةالضرورية، فخرجت من توها إلى الخارج بسرعة البرق فقد كانت تحفظ مطار شارل ديجول..

فتح الباب الكهربائي الفاصل بين داخل المطار والشارع، استنشقت الهواء البارد كأنه أول دفعة أكسجين تدخل إلى رئتيها، خلعت نظارتها السوداء ولم تهتم بلبس جاكت على كتفيها العاريتين

فقد كانت لا تشعر ببرد أو حر فقط كانت تشعر بشعور واحد فقط، أن تقع عينيها على مكرم، نعم فقد رأته على شاشة الموبايل كثيرًا ولم تشعر بأي تغير قد طرأ على ملامحه بفعل السنين، كما أنها أيضًا لا ترى نفسها إلا بالشكل الأخير لهما معًا،،

تتلفت يمينًا وشمالا، حدقت في الوجوه، انطفأت ابتسامتها قليلا، نظرت في ساعتها لعل يكون الطيار عالم بحالها فوصل مبكرًا عن موعده، إن الميعاد مظبوط!!!!! أنزلت يديها الاثنتين اللتين تحملان شنطتيها في تأفف مصاحبة خوف وقلق، وعندما هدأت من هول صدمة عدم وقوع عينيها على مكرم لحظة خروجها، تذكرت أن تخرج هاتفها لتحدثه، ربما كان يقف في مكان آخر لا تعلمه،، وعندما وضعت شنطة السفر الصغيرة أرضًا وتمد يديها إلى حقيبتها لتخرج هاتفها،،

وجدت من يضع يدها على كتفها من الخلف، لتلتفت خائفة مضطربة فجأة ناظرة وراءها لتقع عينيها على عينيه المبتسمة مباشرة،،

تلتفت بجسدها لتجد وجهها ملاصقًا لوجهه، مبتسمة تأخذ نفسًا عميقًا كمن خرج لتوه من أعماق البحر ولم يكن معه أكسجين،،

لم ينطقا ببنت كلمة، نظرا إلى بعضهما البعض ثواني قبل أن يندمجا في حضن شديد،

ثم غاصا في قبلة واحدة ولكنها تعوض كل تلك السنين،

- وحشتيني وحشتيني .....ظل يرددها مكرم وهو يضع يديه على كتفيها ويلف بها،

أنا مش مصدق إنك جيتي ،، مريم.. ناظرًا إلى عينيها بكل حب واحتواء ،، حبيبتي .. بنتي.. ثم يحضنها بشدة كأنه يؤكد على نفسه حضورها،

- أنا كمان مش مصدقة إني جيت وإني بين إيديك،، بس إنت موحشتنيش، إنت أصلا معايا علي طول ،، عمرك ما رحت عن بالي يوم، قالتها مريم وهي تمسك وجهه بكلتا يديها،

- زي ما إنتي متغيرتيش حتى لما شفتك على الكاميرا كنت متاكد إنك زي ما إنتي،، بس أنا إتغيرت شوية صح؟؟ سألها مكرم وهو يستعد لحمل حقيبتها الصغيرة بيد وياخذها في حضنه باليد الأخرى ويستعدان للذهاب..

- خالص إنت متغيرتش خالص، بالعكس حساك إحلويت زيادة، تطبع قبلة على خده وهي تجاوبه وتمشي معه ضاحكة..

- أنا عامل لك بروجرام فظيع ،، الليلة دي حتشوفي باريس كأنك أول مرة تجيها، حنسهر ونضحك ونرجع أيام السطح تاني، بس المرة دي من غير خوف ولا حد بينده علينا،، إنتي مصدقة يا مريم، مصدقة إننا مع بعض، لوحدنا ، في باريس؟؟؟؟؟ ياااه دا ولا كان حتى يخطر على أحلامنا،،

وبكره حنسافر على تايلاند،، حتشوفي مكان ملوش مثيل في العالم كله، يصلا إلى سيارته ويتقدم ليفتح لها الباب وينحني في شكل كوميدي قائلاً لها بالفرنسية، تفضلي يا سيدتي لتبدي أول أحلى أيام عمرك.

ما أجمل أن يعيش الإنسان سعيداً مع من يحب بالتأكيد، السعادة قرار، وأنا قررت أن أعيش سعيدة، والحياة لا تقف لتنتظر أحد فالقطار منطلق والذكي هو الذي يعرف متى وكيف يغير المحطات ويسير مع القطار بنفس سرعته،

لم نخلق في هذه الدنيا لنكون تعساء، محزونين، مكسورين القلوب، الحياة جميلة وهبها الله لنا لنستمتع ونعيش سعداء، إذن هو القرار وأنا قد اتخذته وغير نادمة عليه..

مبتسمة مريم في خيلاء وثقة تحدث نفسها.

إن السعادة ليست حظّا ولا بختًا وإنما هي قدرة، أبواب السعادة لا تفتح إلا من الداخل من داخل نفسك، السعاده تجيئك من الطريقة التي تنظر بها إلى الدنيا، ومن الطريقة التي تسلك بها سبيلك

د. مصطفى محمود

كتاب: الخروج من التابوت

●●●

obeikan.com

obeikan.com

الواقع

تستيقظ أثر قبلة على جبهتها يحوطها ذقن كثيفة، فتفتح عينيها لتجد خالد ينظر إليها مبتسمًا بعدما طبع قبلة على خدها،

- خالد؟

تقول مريم وهي تقوم مفزوعة تنظر حولها، فتجدها في غرفة منزلها وعلى سريرها،

- سنية قالت لي إنك كنتي تعبانة جدّا وأخدتي مسكنات كتير هي اللي خلتك تنامي كده؟؟ سلامتك! إيه لسه أسنانك برضه؟ أنا كلمت د. عبد العظيم وأخدت لك منه ميعاد..

قال خالد وهو ينظر في هاتفه المحمول بعد أن اعتدل في جلسته على طرف السرير بجوار مريم التي مازالت مصدومة،

وقبل أن تجيب تخبط سلمى على الباب خبطة واحدة وتدخل بعدها في أندفاع لتلقي بنفسها في حضن والدها:

دادي، وحشتني وحشتني وحشتني، كل دا؟؟

إيه إحنا موحشنيكش ولا إيه؟

يقهقه خالد بصوت عال مقبلا إياها بشدة ويقول:

- إنتي مَش حتكبري أبدًا يا بنت إنتي؟ ها عامله إيه؟؟ خلاص قربتي تخلصي أهو، وأنا منتظر النتيجة، وعاوز أعرف ناوية على إيه؟ يسألها خالد وهو يأخذها من يديها ليجلسها بجواره في حنية أيضًا على حافة السرير، والتي ما زالت عليه مريم بنفس هيئتها الصامتة المصدومة، تتلفت لتنظر إلى هاتفها لتجده قد نفذ شحنه فتطمئن قليلا،

- بص يا دادي أدخل كلية الطب لاااا... أنا مَش حاقدر موعدكش، كفاية عليك كريم، أنا والله كان نفسي بس هي قدرات بقى، تضحك سلمي في صوت عالي..

بس أنا حابه إعلام وسواء أكمل هنا في الجامعة الأمريكية أو أسافر عند خالو إبراهيم وكريم وأظبط هناك وأبقى جنبهم وأخود مريومه الحلوه دي معايا،

ها إيه رأيك؟؟ تسأله سلمى

- انجحي بس الأول وبعدين نقرر ، سوا هنا أو هناك أنا كده كده مَش حاكون موجود غير قليل جدًا،إنتي عارفه إن دلوقت العملية اللي باسمي بتدرس في كل جامعات العالم ومطلوب مني أعمل محاضرات ولقاءات دا غير متابعة المستشفيات ومليون

حاجه تانية، رد عليها خالد وبدأ في النهوض نظره لم يفارق شاشة هاتفه طيلة حديثه الأخير مع سلمى، ثم أردف قائلا، طب أنا حانزل عندي ميعاد مهم ، بس ممكن لو خلصت نتعشى سوا، هنا أو في أي مكان تختاروه، لإني مسافر على بيروت بكره الصبح بدري فدا الوقت المتاح لي، بس متجهزوش إلا لما أكلمك علشان مَش عارف حاخلص إمتى بالظبط،

- آه يبقى فاكس،

قالت سلمى وقد بدأ وجهها استعاده شكله الطبيعي بعد أن خفت حدة فرحتها بلقاء والدها،

- يبقى إيه؟ سألها خالد في استغراب،

- لا متخدش في بالك حضرتك،

تقولها سلمى وهي تطبع قبلة على خده وتنصرف من الحجره قبله، استفز مريم الكلام كما استفزها أن كان لقاؤها بالأمس مع مكرم مجرد حلم طويل، بدأ خالد في التحرك للانصراف من الحجره عندما قالت له مريم فجأة وبدون تردد:

- خالد، أنا عوزه أطلق.

رفع خالد عينيه من على هاتفه ونظر إلى مريم نظرة تخلع القلب من الرعب،

-تتطلقي؟؟؟. سألها خالد وعيناه تطلق شرارًا مسلطًا كله على عينيها فقط

- أيوه أطلق، قالتها مريم وهي تنزل من على سريرها وترتدي روبها ، وتحكم غلقه كما حكمت قرارها، وأخذت نفسًا عميقًا كمن بدأ للتو مباراة يعلم فيها قوة خصمه ولكن من أين أتت له هذه الشجاعة المفاجئة لا يعلم، ربما يساعدها النفس العميق ونظرتها الثابتة القوية في عين خالد وجلساتها على الكرسي المقابل للشرفة ووضعها ساقًا على ساق،

جعلت خالد كل هذا الذي رآه من مريم يغلق هاتفه ويجلس أمامها بعد أن استوعب سريعًا حدة موقفها وثبات انفعالها،

- ليه يا مريم؟ سألها بصوت رزين كأنه محقق متمكن يعلم ضعف المتهم الماثل أمامه، ولكنه يتظاهر أمامه بأنه لا يعلم ضعفه ليستخرج منه كل الحجج قبل أن يبدأ في استعمال القسوة والصوت العالي، فيكون قد أعطاه فرصته العدالة هكذا من وجهة نظره،

- علشان أنا مَش سعيدة في حياتي دي، إنت مَش موجود، أنا .. وقبل أن تكمل جملتها مريم ، وضع خالد ساقا على ساق

قائلا بسرعة وبحدّة:

- مَش مبسوطة؟ ليه ناقصك إيه؟؟ دا إنتي عايشه عيشة الملوك

- مَش عوزاها ، مَش عوزة أعيش زي الملوك، عيشني في عشه بس أكون ...

وأيضًا قبل أن تكمل جملتها أردف خالد في حدة:

- عشه وعصفور وكلام أفلام وأغاني بيضحكوا بيها على العقول الضعيفه اللي زيك،

نهضت مريم من جلستها واقفه وقالت بصوت عالي لم يعتاده خالد من قبل:

- متقولش ضعيفه، أنا مَش ضعيفه، أنا إنسانة عندي مشاعر وعوزه أحس إني ليا راجل يحتويني ويحبني، يرجع من شغله يلاقيني مستنياه ، ولما أحتاج له ألقى صدره مفتوح لي أحط راسي عليه وأنسى الدنيا، أنا مَش متجوزه بنك بيصرف عليا، ولا موظفين وخدم بيعملولي كل حاجة أنا عوزه راجل يحبني وأحبه فاهم يعني إيه؟

صمت خالد قليلا ناظرًا إلى الشرفة وما بعدها من خضار وسماء واسعة، يحاول أن يستوعب ما قد قيل منذ قليل أو يحاول

أن يكتشف تلك الشخصية الجديدة التي يراها أول مرة منذ زواجه من مريم، ثم نظر إليها بنظرة هادئة متسائلا: حب؟؟

هو فين الحب دا ؟؟ مسألتيش نفسك في يوم هو مين اللي قتل الحب دا قبل ما يتولد؟؟ مفكرتيش فيا وأنا بتجوز واحده من أول يوم وأنا عارف إن قلبها مَش معايا؟ إنتي للأسف شايفه الجانب اللي يخصك بس.. أنا حاولت معاكي كتير، صبرت عليكي كتير، كنت مستعد أنسى وأسامح وقلت بعد ما خلفنا كريم إنك حتتغيري، حتبطلي سرحان حتى وإحنا نايمين مع بعض، حتبطلي تندهي لمكرم بصوت مسموع في منامك وأقوم من النوم على اسمه قلت حتنسي وتخليني أنسى، مكرم ؟؟ شفتي أنا فاكر اسمه إزاي؟؟

إنتي السبب يا مريم مَش أنا، إنتي اللي قبلتي تتجوزي واحد مبتحبيهوش، واخدتيني ستار تستخبي وراه من أهلك أو كوبري تعدي عليه محنتك،

- لازم طبعًا تطلع مش غلطان، وترمي الغلط كله عليا أنا؟؟ وليه؟؟ ليه إتجوزتني وإنت عارف إني بحب غيرك؟؟ ليه وافقت؟؟ ليه حطتني وحطيت نفسك في اختبار عارف إننا حنسقط فيه؟؟

سألته مريم في حدة وانفعال:

- علشان أنا مش بخسر أبدًا ولا أعرف أبدًا طعم الهزيمة.

رد عليها خالد في ثبات..

ثم أطرق رأسه ونظر إلى الأرض ثم قال مستردفًا:

- من حقك تطلبي الطلاق، كنت منتظر الطلب دا من زمان، ولأني أعرف الأصول معملتوش أنا، علشانك وعلشان كريم وسلمى وانشغلت بدراستي وشغلي، وسبتلك الطريق ترسميه زي ما تحبي،

ثم نهض خالد يعدل بذلته في وقار مستكملا، بلغي الأولاد بطريقتك، وأنا حابعتلك المحامي يعملك كل اللي إنتي عوزاه وحأوصيه ينفذ كل طلباتك بدون نقاش، مهما كان إنتي أم أولادي،

اللي معنديش غيرهم على فكرة، البيت هنا بيتك ومصاريفكم حتوصلكم زي ماهي، ثم أعطى لها ظهره ليخرج مباشرة من الحجرة ملقيًا عليها تحية الإسلام..

أسقط الحديث في يد مريم فجلست مبهوتة مما سمعت، كل هذه السنين، كل هذا بداخله ولم يتكلم ، لماذا؟ ليته واجهني، ليته ضمني إلى صدره وصارحني، من المؤكد أنها كانت رضخت ونسيت وبنيت بيتًا مقامًا على الحب والود والتفاهم..

لا، لست وحدي المسئولة، هو أيضًا ساعد بشكل كبير في وجود هذا الشرخ وشاهده بعينه ولم يحرك ساكنًا لإصلاحه، بل تركه يكبر ويتشعب حتى تهدم البيت، تنظر لها في شماتة واضحة تلك التي بداخلها قائلة:

- يا سلام على كرم أخلاقه ونبل أصله ومعدنه، حتلاقي فين راجل زي دا؟ لا وكمان سايبك في البيت ومديكي كل حاجة، و..

وضعت مريم كلتا يديها على رأسها محاولة إسكاتها وإسكات ذلك الصداع الذي كاد أن يفقدها الوعي من شدته...

●●●

obeikan.com

وسلامًا على مريم

بعد ستة أشهر من إتمام إجراءات طلاقها من خالد والتي تنازلت هي فيها بمحض إرادتها عن الإقامة بالفيلا أو بدفع أي نفقات لها فهي وكما قالت للمحامي تريد أن تبدأ الطريق من أوله، حتى وإن كانت تخطت الأربعين رسميًا ولكنها تشعر بعمرها العشريني بكل طاقته وجنونه، وأنها هي من تريد الطلاق فلا يحق لها الاستمتاع بأي شيء يخص خالد، وأجرت شقة صغيرة عبارة عن إستديو تقطن فيه وحدها، وكانت قد اطمانت على سلمى واستقرارها بأمريكا بجانب أخيها وخالها..

كانت مريم قد تحدثت صراحة مع أولادها واللذين يعلمان كم تحملت أمهما من اجلهما، وكانا على أتم استعداد للوقوف بجانبها حتى تحقق ذاتها وتجد سعادتها، مع وعدهما لها أنهما سيظلان دائمًا مصدر فخر لها ولأبيهما..

كان مكرم يعيش كل تلك الأحداث لحظة بلحظة معها، وكم من مرة عرض عليها أن ينزل هو إلى مصر بعد أن ذهب إلى قبر إيفون يطلب عفوها؛ لأنه سوف يخلف وعده لها، ولكن إصرار مريم على الرفض وإصرارها على أنه قد حان الوقت لتعرف قدراتها بذاتها ليس اعتمادًا على كائن من كان، وأنه ترجته أن يصبر عليها فهي لن تستطيع الآن اتخاذ أي قرار مصيري، وقالت له:

- كفاية عليا إني أحس إنك موجود جانبي، حتى لو بنا بلاد وبحار، كفاية دقة قلبي اللي بتزيد دقة لما أسمعك، كفاية فرحتي لما أشوف ضحكتك حتى لو على كاميرا، كفاية رعشتي لما أسمعك تقولي حبيبتي، كفاية أحس إن في حد في الدنيا بيحبني حبك ليا، دا لوحده كفيل إنه يخليني أسعد إنسانة على الأرض..

الحب مش جواز الحب إحساس، الجواز ممكن يكون إحدى طرق الحب وخصوصًا لو حابين يكون بينهم أطفال دا سبب بس مش نتيجة..

الحب كائن بذاته ، مترفع عن أي رغبات وقوانين ، أنا حابه الحب دا ومبسوطة بيه،مكرم.. أنا بحبك وبس..

مش عاوزه حاجة من الدنيا دي غير إني أحبك وإنت تحبني، دا يكفيني العمر كله حبك يكفيني العمر كله..

يمكن إحنا ممنوع علينا نعيش كازواج، وإحنا حنحترم ده، لأننا مؤمنين إن الكون دا ليه رب حاطط فيه قوانين لازم نحترمها ولكن مافيش حاجه تمنع قلوبنا إنها تحب.. بل بالعكس إحنا مأمورين نحب كل البشر كل الكون بكل مكوناته، إحساس الحب بيحيي، بيطهر، بينقي، واللي قلبه مليان بالحب، أي حب...

أكيد حيكون زي ما ربنا خلقه، وعاوزه يكون.

في صالة كبيرة تستعد للاحتفال ، وقفت ترتدي حلة بلون السماء الصافية، وعلى رأسها حجاب حريري ناصع البياض، وحذاء فضي لامع كالنجوم بكعب متوسط، وفي يديها باقة من ورود طبيعية مختارة بعناية فائقة شديدة الجمال، مبتسمة تلقي التحية على الحاضرين بابتسامة خلابة ومن خلفها وعلى جدران الصالة معلقة لوحاتها التي رسمتها كل تلك السنين، وتتوسطهم لوحتها المفضلة للسيده مريم العذراء تحمل وليدها، وخلفها بخطوة كريم وسلمي كأنهم حاملون الشموع خلف العروس، وعلى كرسي تجلس السيدة آمال، وفي يديها عكاز يساعدها على المشي في هذا السن مبتسمة وهي ترى ابنتها تلتقط الصور هنا وهناك مع المعجبين، وبجوار آمال يقف أحمد وبجواره عروسه الجديدة، يحدث إبراهيم على إحدى وسائل التواصل الألكتروني ويدير هاتفه ليجعله يرى المشهد كاملا، كما أن سنيه تمشي بجوار حاملي كاسات العصير تقدم بيديها للضيوف، ويقف سيد على الباب الخارجي بجوار إحدى الحسناوات التي تستقبل الضيوف وترشدهم إلى مدخل القاعة، تتقدم منال جارتها، والتي بالرغم من أنها تركت الفيلا فإنهما ظلا أصدقاء وساعدتها كثيرًا حتى أتمت معرضها الأول، تذهب مباشرة إلى مريم ناظرة في عينيها قائلة:

- مَش قلتلك متخافيش، والقاعة حتتملي كلها ويمكن كمان منلقيش مكان لكل الناس، إنتي فنانة بجد يا مريم وتستاهلي فعلا النجاح دا، ولسه إنتي مشفتيش حاجة، استعدي بقي علشان أنا جالي كام طلب دلوقت من قنوات تلفزيون وصحافة وخلاص أنا عينت نفسي مديرة أعمالك، تقولها منال وهي تضحك وتأخذ مريم في حضنها..

تحتضنها مريم مبتسمة قائلة:

- أنا فعلا مكنتش متخيلة الإقبال دا، أنا مش عارفه أشكرك إزاي يا منال على تعبك معايا طول الفتره دي، وكل اللي عملتيه علشاني دا! أنا فعلا ربنا بيحبني علشان حطك في طريقي، تنظر إلى كريم وتذهب إليه لتحتضنه حضنًا عميقًا وتربت على ظهره ممتنة لحضوره، فيرد عليها بقبلة على جبينها ذكرتها بقبلة مكرم لإيفون قائلا:

- ماما، أنا بجد فخور بيكي، ونفسي أقولك إنك أحلى أم في الدنيا، فتيجي سلمى مسرعة وتحضنهم الاثنين قائلة بطفولية وعفوية:

- إستنو إستنو الحضن دا لازم له سلفي، ممسكة بهاتفها تلتقط لهم صورة منه سويًا..

تغمض مريم عينيها لحظة، تاخذ نفسًا عميقًا، تستشعر السعاده قد طغت عليها من كل اتجاه، لم تكن تحلم أن يحقق الله لها مرادها ويراضيها ، فاليوم وجدت مريم نفسها، سعادتها، سببًا لوجودها في الحياه بعدما اطمأنت على أولادها، لم تعتمد على أحد الآن ولا تريد، فهي قد ولدت نفسها اليوم ورسمت لها طريقًا ممهدًا بكامل اختيارها وبإرادتها وبتوفيق من الله عز وعلا، وقررت بينها وبين نفسها أن تهب ربع ربحها في هذا اليوم خالصًا لوجه الله ، ممتنة للعلي القدير كل هذا النجاح والتقدير،يلفت نظرها شخص رزين في حلة زرقاء وقد اشترى عدة لوحات غالية الثمن، مما جعلها تبتسم وتحمد الله على عطاياه، بالرغم من أن مظهر الرجل لم يوحٍ إليها أنه يمتلك ليس فقط المال، ولكن أيضًا لم يكن من هؤلاء الذين يستهواهم الفن عمومًا، وعندما لمحته وهو يخرج وراء العاملين الحاملين اللوحات بعناية واضعين إياها في صندوق عربية مرسيدس كبيرة سوداء ورأت وجه سائقها فهمت، فقد كان هذا أحد سائقي خالد بالقاهرة، وهذه إحدى عربات خالد أيضًا، ابتسمت مريم ابتسامة رضا وهزت رأسها كأنها تشكره، وتحمد الله على كل شيء، وعندما همت بالدخول إلى القاعة مرة أخرى استوقفها شخص وبيديه طرد يريد أن يسلمه إلى السيدة مريم محمد كمال شخصيًّا.

وقفت مريم على إحدى الموائد العالية في إحدى الجوانب في طرف القاعة معطية ظهرها للحضور تفتح الطرد في ترقب،

لتجد صندوقًا أحمر صغير تفتحه فتخرج منه أشعة قوية خارجة من ماسة زرقاء مدلاه من سلسلة مصنوعة بحرفية عالية،

فيدق قلبها بشدة وهي تقرأ الكارت المرافق مكتوبًا عليه سأظل دائمًا ملاكك الحارس..

●●●

opeikan.com

#باب_الرحمة.

تائهة تبحث وسط الأبواب عن باب تحبه..

تعلم منذ الصغر أنه باب الوصول إليك..

أبواب كثيرة ومفاتيحها ضائعة بين آراء وأفكار وأزمنة..

لكل محب وعاشق.. تظل أنفاسه شاهدة عليه.. باحثًا عن مفاتيحه. طارقًا كل المدارات.. تائهًا بين النجوم..

رابضًا فوق الجبال.. باحثًا بين مئات الكتب والمجلدات.. صائمًا.. تائبًا.. حامدًا.. حاجًا.. مستغفرًا..

فكل منا له باب.

ولكنها تعلم أي باب هو باب النجاة.. هو باب الخلاص.

تقف عليه ذليلة منكسرة.. يرتجف قبلها عشقًا وشوقًا.. تبكي بكاء الأم بعد رحلة المخاض وطفلها بين ذراعيها متعافٍ..

بكاء المحب المولع بشوقٍ لحبيبته..

العائدة إليه بعد غياب..

بكاء الغريق الذي شارف على الموت.. ولاح الشط فجأة أمامه..

obeikan.com

ولامس طوق النجاة..

أقف على بابك سيدي ومولاي.. أرجو رحمتك.. أتشبث بأحباله.. أنام تحت جدرانه ما تبقى لي من أنفاس..

الأبواب كثيرة.. ولكن ليس لي منقذًا سواه..

مخطئة أنا.. مذنبة.. عاصية.. مسلوبة العقل.. تخالجني الشياطين ليل نهار.. وتسحبني سحبًا سحيقًا..

لتبعدني عن الباب.. ولكنها لا تعلم أنها تسحب جسدًا عقيمًا فانيًا.. وأن روحي ذائبة عندك هناك..

فيا سيدي ومولاي وخالقي..

اقبلني.. افتح لي باب رحمتك..

فأنا قابعة تحته منذ خلقتني، لا أعلم غيره سبيل..

فمن باب الرحمة ننجو.. ويُشفى كل عليل..

فمن باب الرحمة نعلو.. ويسعد كل قلب حزين.

فمن باب الرحمة نفوز.. فوزًا يليق بالمتعلقين..

فيا ربي افتح لي ولكل مسكين..

فرحمتك وسعت كل شيء.

وهذا قولك الكريم..

النهاية

☺

obeikan.com

عزيزي القارئ:

إذا كنت تحمل الآن هذه الرواية بين يديك، فاعلم أنَّ إحدى أحلامي قد تحققت.

دعني أخبرك أولاً عن نفسي قليلاً علَّ وعسى أن أكون سببًا في تغيير تفكيرك ومساعدتك على تحقيق أحلامك مثلي، فربما كانت قصتي خارطة طريق لك،

فأنا حتى سبعة أشهر مضت كنت سيدة أعمال، متزوجة منذ اثنين وعشرين عامًا ولديَّ من الأبناء ثلاثة...أعمل في مجال التسويق منذ كنت في السابعة عشر من عمري، أهوى القراءة بشكل عام وقراءة الشعر بشكل خاص منذ الصغر، ولكن بعد عملي ومراعاة أولادي وزوجي تَبَقَّى وقت قليل لي للمطالعة وقراءة القليل مما تقع عليه يدي أو رواية أحضرتها إحدى بناتي وأثنت عليها،،،بعد أن كبرت البنات واعتمدوا على أنفسهن قليلاً؛ أتيحت لي الفرصة أن أنشئ شركتي الخاصة والتي كانت تقوم على تنظيم المؤتمرات والندوات الثقافية، وكنت من أول من نظم بمصر الرحلات الاستشفائية والتي تخصصتُ بها في مدينة دهب؛ لعشقي وولعي لها ولسحرها الخاص،،، وبعد أن سارت الأمور على ما يرام وبدأتُ في حصد نجاحاتي وكنت قد أتممت

للتو تنظيم مؤتمر طبي لمنظمة الصحة العالمية لاقى نجاحًا مبهرًا، كما بدأت رحلات دهب تأخذ حَيِّزًا لدى الكثيرين مِنْ مَنْ يهتمون بمثل هذه النوعية من الرحلات وبدأت الصحافة تتحدث عنها وشعرت أنَّ موج الحياة قد هدأ ولاح شاطئ النجاح جليًّا أمامي،،،

تعرضت لمحنة مرضية شديدة أوقفت كل مشاريعي وخططي؛ واضطررتُ على إثرها أن أتوقف عن العمل نهائيًّا،،،لم يكن في مخيلتي أن تلك المنحة سوف تفتح لي بابًا لم أكن أعلمه أو حتى استشعر وجوده من قبل، ولكن هو الله قد أراد أن يظهره لي ولكن من خلال محنة؛ حتى أقدرها وأرعاها أو ربما لأكون نموذجًا يقتدي به البعض؛

فمن خلال عملي في تنظيم المؤتمرات والندوات كنت قد حضرت الكثير من اللقاءات مع دكاترة في علوم الطاقة والعلوم النفسية، وما يخص الإنسان بوجه خاص؛ مما أتاح لي الفرصة للتعرف عن قُرب على مثل هذه العلوم والتي تندرج جميعها على بناء الإنسان من الداخل وتفعيل قوة عقله الباطن، ومساعدته على إيجاد ذاته الحقيقية وتنميه مهاراته التي يجهلها ومن ثم تحقق أهدافه وطموحاته.

اقترح عليَّ صديق عزيز وإحدى هؤلاء الدكاترة عندما رآني محبطة حزينة لفقدي عملي أن أكتب، كانت النصيحة بالنسبة لي

أن أكتب ما يخالج صدري من أوجاع وغضب ؛لأخرجهم على ورق ومن ثم أحرق هذا الورق بما فيه؛ فأكون قد تخلصت من الشحنة السلبية التي بداخلي،

غير أنه لم يعلم أنَّ نصيحته قد قلبت لي حياتي رأسًا على عقب، فأخذتُ بالنصيحة بالفعل وكان أول ما كتبتُ هي ما يشبه الخطاب لأبي، أُعَبِّرُ له فيه كم أشتاق إلى حضنه الآن وأفتقده، كتبتُ ما كتبتُ ورُحتُ في نوم عميق وعندما استيقظت وقرأت لأول مرة ما كتبت بنفسي؛ صُعِقْت...فلم أصَدِّقُ أنني أنا من كتب مثل هذا الكلام بهذا الإحساس، وتوالت من بعدها كتابتي التي كنت أعتقد في كل مرة أنها الأخيرة، فحتمًا ليس لديَّ ما أكتب عنه ولا أعتبر نفسي كاتبة من الأساس، فما هي سوى بعض الخواطر التي سوف تنتهي بالتأكيد وأنَّ آراء مَنْ حولي عندما قرءوا ما كتبت ما هي إلا مجاملة لي ليس إلا...

ولكن ولأنني كنت قد سألت الله في كل دعاءٍ أن يجعلني سببًا في سعادة الناس وأن أستطيع أن أُؤَثِّر في البعض باتخاذ المنهج الإيجابي هدفًا لهم، لم أكن أعرف أنَّ الكتابة هي رسالتي في الحياة، كتبتُ وكتبتُ وما زلت أكتبُ...

والآن عندما أنظرُ إلى نفسي وعمري يقترب على الستة والأربعين، أعلم أنَّ عطايا الله لا تنفذ وأنَّ من سأله بإخلاص حتمًا سيجد ضالته.

الحكمة:

أنه ليس هناك سِنّ للإبداع، وأنَّ ليس للإنسان إلا ما سعي. علينا أن نبحث عما بداخلنا ونجتهد وننتظر عطايا الله لنا وفقنا الله جميعًا لما يحبه ويرضاه

منار حجازي

obeikan.com

obeikan.com

الفهرس	الصفحة

الإهداء:..... ٥

مريم:..... ١١

مكرم الأخ:..... ٢١

طفولة مريم:..... ٢٥

خمس سنوات:..... ٣١

مريم في الرسم:..... ٣٥

المرحلة الإعدادية:..... ٣٧

البداية:..... ٤٣

الاهتزاز النفسي:..... ٤٩

منتصف صيف عام ١٩٨٣:..... ٥٥

شتاء ١٩٨٣:..... ٦٥

الرسالة:..... ٧٥

ثلاث سنوات:..... ٨١

صيف ١٩٨٨:..... ٩٣

مرحله الجامعة لمريم:..... ٩٧

obeikan.com

كليه الفنون الجميلة:..... ١٠١
المواجهة:..... ١١٣
الصاعقة:..... ١٢١
العشاء والليلة الأخيرة:..... ١٢٩
بعد ٢٠ عامًا:..... ١٣٩
طبيب الأسنان:..... ١٤٩
رقم التليفون:..... ١٥٥
المكالمة:..... ١٦٩
خالد:..... ١٧٩
صندوق الذكريات:..... ١٨٩
صوت العصافير:..... ١٩٩
القميص الوردي:..... ٢١٣
الحكاية:..... ٢١٩
الصحوة:..... ٢٣١
الحب:..... ٢٣٧
اللقاء:..... ٢٤٧

obeikan.com

الواقع :..... ٢٥٥
وسلامًا على مريم:..... ٢٦٣

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com